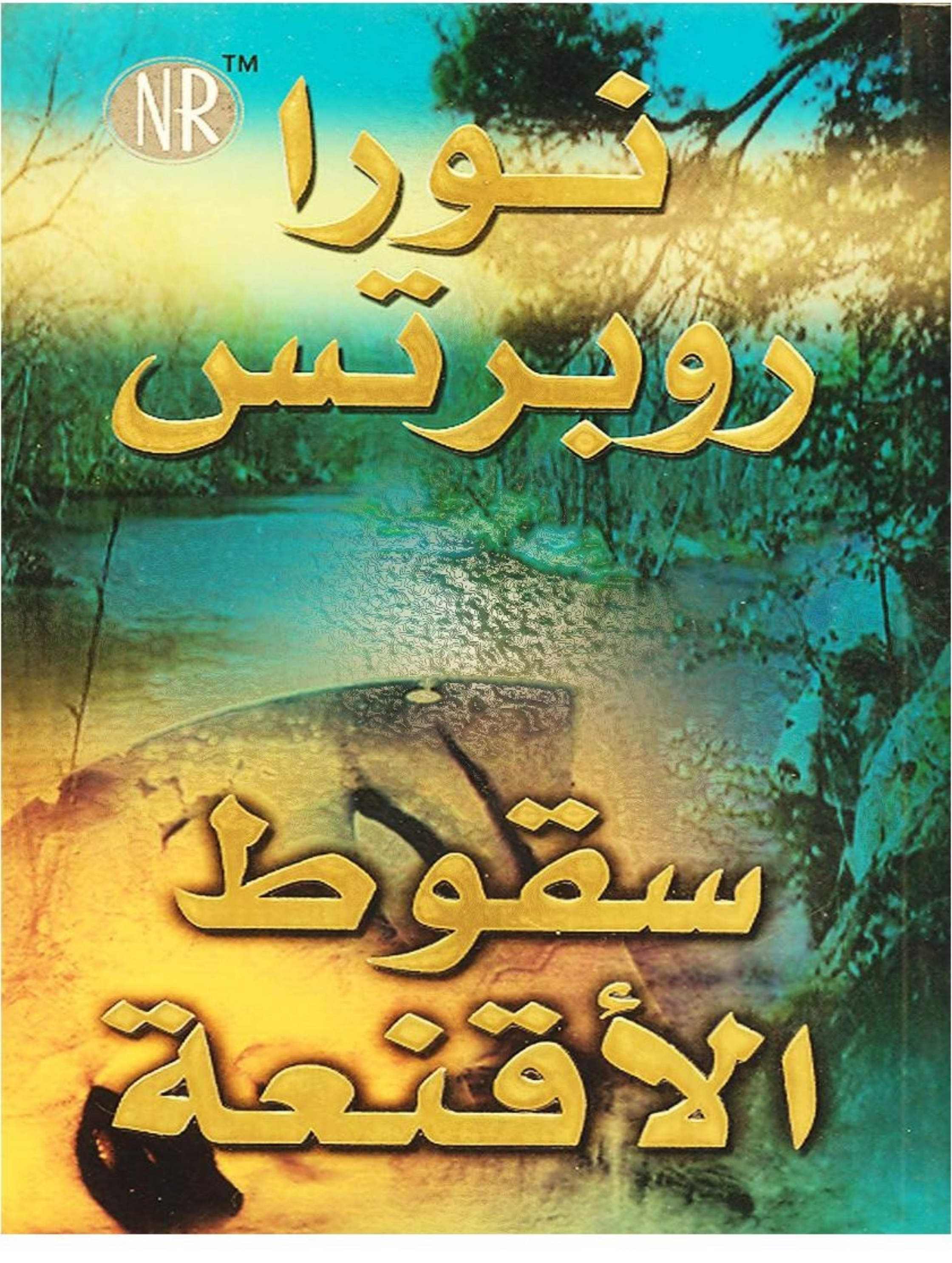
نورا
روبرتس
سقوط
الأقنعة

نورا روبرتس

سقوط الأقنعة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not Just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

للتعرّف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية ، قطر ، الكويت والإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

Copyright © 2006 by Nora Roberts.
All rights reserved.

ARABIC language edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2009.
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronical or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system without permission from JARIR BOOKSTORE.

المملكة العربية السعودية ص.ب: ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١
تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

NORA
ROBERTS

ANGELS FALL

JARIR BOOKSTORE

هذه الرواية من نسج خيال الكاتبة؛ بمعنى أن كل الأسماء والشخصيات والأماكن والملابسات من وحي خيالها وأي تشابه بين الرواية و أي شخصيات حقيقية، سواء على قيد الحياة أو متوفاة، أو رجال أعمال أو شركات أو أحداث أو ملابسات فهي محض صدفة.

بالرغم من أن الكاتبة بذلت أقصى جهدها لتحري الدقة في أرقام الهواتف وعناوين الانترنت في وقت النشر، فإن الناشر أو الكاتبة لا يتحملان مسئولية أي خطأ أو أي تغيير يمكن أن يظهر بعد النشر. فضلا عن أن الناشر لا يملك أي سلطة أو يتحمل أي مسئولية عن المؤلفة أو أي مواقع الكترونية خاصة بطرف ثالث.

إلى أمي

المعالم

آن مكان يشير لا مكان

سبيلا

١

كانت سيارة ريسى جليمور الـ "شيفى كافالييه" الملتهبة تنفث دخانها وهى تشق طريقها عبر ممرات أنجيل فيست الوعرة، ولم يكن فى جعبتها سوى مائة وثلاثة وأربعين دولارا وبعض العملات النقدية الصغيرة؛ وهو ما يمكن أن يكفى لإصلاح السيارة الـ "شيفى" وتزويدها بالوقود بل وإطعام نفسها، وإن حالفها الحظ ولم تكن السيارة فى حالة سيئة، فهذا يعنى أنه ربما يبقى معها أيضا من المال ما يكفى لاستئجار غرفة لليلة واحدة.

وهذا يعنى أنها ـ على أفضل احتمال ـ مفلسة.

عندما لاحت لها خيوط الدخان المنبعثة من أحد الأكواخ؛

اعتبرتها إشارة لوجوب التوقف عن مواصلة سفرها لفترة من الوقت، والبحث عن عمل.

لا مشكلة؛ لا داعى للقلق؛ هكذا قالت لنفسها. لقد كانت البلدة التى وصلت إليها تلتف حول بحيرة زرقاء باردة المياه ولا تقل جمالا عن أى مكان آخر، بل ربما تكون أفضل. لقد كانت البلدة تتمتع بجو مفتوح كانت تتوق إليه، كما أن السماء صافية هنا، فضلا عن قمم جبال الـ "تيتونز" المغطاة بالثلوج، والتى بدت لها وكأنها عمالقة تحتوى البلدة وتسهر على حراستها.

لقد كانت تشق طريقها نحو هذه القمم وهى تتأمل صور أنسيل أدمز للقمم والسهول على مدى ساعات. لم تكن تملك أدنى فكرة عما سوف تؤول إليه عندما بدأت رحلتها فى ذلك اليوم قبل طلوع الفجر؛ ولكنها كانت قد تخطت "كودى" مرورا بـ "دوبوا"، وعلى الرغم من أنه كان من المنطقى أن تواصل طريقها إلى جاكسون إلا أنها آثرت التوجه إلى الجنوب.

وهذا يعنى أنه لابد وأن هناك شيئاً ما يجذبها نحو هذه البقعة بعينها.

كانت ريسى ـ على مدى الشهور الثمانية الأخيرة ـ قد اكتسبت قناعة راسخة بوجوب اتباع العلامات الإرشادية والحدس. منعطفات خطيرة، ممرات زلقة عند ابتلالها. كان يروق لها أن تشعر أن هناك قوة ما تبذل كل هذا الوقت والجهد لإلقاء هذه العلامات والإشارات التحذيرية فى طريقها. من بين العلامات الأخرى التى كانت تعتد بها؛ انحراف أشعة الشمس على نحو مميز متجهة إلى أسفل الطريق الخلفى أو اتجاه الريح نحو الجنوب.

كانت تتبع إشارة الضوء أو الريح إن راقت لها إلى أن تعثر على ما يبدو لها المكان المناسب فى الوقت المناسب. قد تبقى فى المكان لأسابيع أو ربما لبضعة شهور كما حدث فى جنوب "ديكوتا"، وتجد لنفسها عملا وتدرس المنطقة جيدا ثم تواصل انتقالها إلى مكان تلوح لها تلك الإشارات أو هذا الحدس ليقودها إلى اتجاه جديد.

كانت قد أفسحت لنفسها قدرا كبيرا من الحرية فى النظام الذى وضعته لنفسها، كما أنها كثيرا ـ وهو ما أصبح يحدث أكثر

الآن ـ ما كانت تخمد همهمة القلق الدائمة التى تبقى دائما ملازمة لعقلها الباطن. إن تلك الشهور القليلة الأخيرة التى عاشتها مع نفسها، واعتمادها على نفسها، قد أسدت لها أكثر مما أسدى لها العلاج النفسى الذى خضعت له على مدى عام كامل.

ولكن إحقاقا للحق؛ عليها أن تقر بأن العلاج النفسى هو الذى منحها القاعدة التى يجب أن تنطلق منها لمجابهة حياتها يوما بيوم وليلة بليلة بل وكل الساعات التى تفصل بين اليوم والليلة.

وها قد وصلت إلى بداية أخرى جديدة؛ ها قد طالعتها أشعة الشمس الذهبية فوق أرض أنجيل فيست.

سوف تقضى ـ إن لم يجد جديد ـ بضعة أيام على الأقل للاستمتاع بالبحيرة والجبال واكتساب بعض المال لكى تواصل به رحلتها على الطريق. إن مكانًا كهذا ـ يصل عدد سكانه كما تشير اللافتة إلى ٦٢٣ نسمة ـ لابد أنه يعتمد على السياحة بسبب مشاهده الرائعة وقربه من المنتزه القومى.

لابد أن هناك على الأقل فندقاً واحداً إما درجة ثانية أو ثانية ممتازة؛ ربما تكون هناك أيضا مزرعة لركوب الخيل على بُعد أميال قليلة، وربما يكون من الممتع أن تعمل فى مزرعة خيول. إن كل هذه الأماكن سوف تكون بحاجة إلى شخص يتولى تنظيفها ورعايتها وخاصة مع اقتراب حلول فصل الربيع .

ولكن بما أن سيارتها الآن أصبحت تطلق دخانا أكثر كثافة مما ينذر بالخطر فإن الأولوية الأولى هى العثور على من يصلحها.

أخذت تشق الطريق المحيط بالبحيرة الشاسعة على مهل داخل سيارتها. كانت قطع الثلوج تشكل بعض المستنقعات المائية وتظهر عن بعد بينما كانت الأشجار مازالت ترتدى ثياب الشتاء البيضاء، ومع ذلك لاحت بعض القوارب القليلة على صفحة الماء. استطاعت أن ترى شخصين مرتديين سترتيهما وقبعتيهما داخل قارب أبيض وهما يجدفان فى اتجاه انعكاس الجبال.

فى الجهة المقابلة؛ لاح لها الحى الذى خمنت أنه الحى التجارى ؛ حيث كان يضم متجراً للهدايا ومتحفاً صغيراً ومصرفاً ومكتب بريد، ومكتب مأمور القسم.

انعطفت فى الطريق بعيدا عن البحيرة متجهة إلى ما بدا لها ساحة كبيرة لإيواء السيارات وكان تابعًا لأحد المحلات العامة. كان هناك رجلان يرتديان سترات قطنية يجلسان على كرسيين متينين يمكنهما من الاستمتاع برؤية الجزء الأكبر من البحيرة.

أومأ لها وهى توقف المحرك وتخرج من السيارة، ثم خلع الرجل الجالس على اليمين قبعته الزرقاء التى كانت تحمل اسم المتجر . ماك مركنتيل آند جروسرى . فى منتصفها.

"يبدو أن لديك مشكلة أيتها الشابة".

"بالطبع، هل يمكنك أن تدلنى على شخص يمكن أن يساعدنى؟".

وضع يده على فخذيه ودفع نفسه واقفا. كان ضخم البنية؛ أحمر الوجه، وكانت هناك بعض الخطوط التى تخرج من طرف عينيه البنيتين الدافئتين. عندما بادر بالحديث؛ خرج صوته بطيئا وكأنه يتثاءب.

"دعينا نرفع غطاء السيارة ونلق نظرة".

"شكرا لك". عندها جذبت هى المزلاج وفتح هو غطاء السيارة وتراجع إلى الخلف لما اندفع الدخان الكثيف فى وجهه. لأسباب لم تتبينها؛ أصابتها ألسنة الدخان والجلبة بحرج يفوق ما يسببه لها القلق. "لقد بدأت هذه الأدخنة تنبعث من السيارة منذ ما يقرب من عشرة أميال على ما أظن، ولكننى لم أنتبه إليها إلا عندما وصلت إلى هنا".

"هذا أمر هين. لقد كنت على أية حال فى طريقك إلى المنتزه؛ أليس كذلك".

"بالفعل. أعنى ـــ " لست واثقة؛ لم أكن أبدا واثقة؛ هكذا فكرت فى نفسها، وحاولت أن تركز على اللحظة الحاضرة بدلا من أن تركز على اللحظة السابقة أو التالية كدأبها دائما، فاستطردت: "ولكن أظن أن السيارة كان لها رأى آخر".

نهض زميله من على مقعده هو الآخر وانضم إليهما وأخذ الرجلان يتفحصان السيارة لتبين مصدر الأدخنة بالطريقة المعهودة للرجال، والتى كانت ريسي تعرفها جيدا؛ عيون فاحصة وتقطيبة وجه تنم عن تبينهما سبب المشكلة. شاركتهما فحص

السيارة بالرغم من أنها كانت تدرك جيدا أنها تقحم نفسها لأنها كانت مجرد أنثى، والأنثى التى تقف تحت غطاء سيارة تبدو غريبة وكأنها من كوكب بلوتو.

قال لها: "أنت بحاجة إلى خرطوم جديد للمبرد، سوف نكون بحاجة إلى تغييره".

لا يبدو هذا سيئا؛ لا يبدو سيئا بالمرة، كما أنه لا يبدو غاليًا.

"هل هناك مكان هنا أستطيع أن أشترى منه هذا الخرطوم؟".

"ورشة إصلاح (لينت). يجب أن نتصل بها الآن".

"أنت منقذى". منحته ابتسامة ومدت له يدها؛ كانت هذه هى أحد التصرفات التى تصدر منها بشكل تلقائى مع الغرباء. "أنا ريسى؛ ريسى جليمور ".

"ماك درابر. وهذا كارل سمبسون".

سأل كارل: "أنت آتية من الشرق؛ أليس كذلك؟". بدا الرجل لـ ريسى فائق اللياقة؛ فى الخمسينيات من العمر؛ صاحب دم أمريكى أصيل سبق له الامتزاج بجنس آخر فى وقت ما.

" أجل، من مكان بعيد؛ من منطقة بوسطن. إننى أقدر لكما هذه المساعدة".

قال ماك: "نحن لم نجر سوى مكالمة هاتفية، يمكنك أن تذهبى لتناول مشروب أو تقومى بجولة، فقد يستغرق لينت بعض الوقت إلى أن يصل إلى هنا".

"ربما يمكننى أن أقوم بجولة؛ إن كان هذا مناسبا. هل يمكنك إرشادى إلى مكان جيد للمبيت. لا أريد مكانا باهظ الثمن".

"يمكنك الذهاب إلى فندق ليك فيو؛ إنه على مقربة من هنا. هناك أيضا فندق تيتون هاوس؛ على الجانب المقابل من البحيرة وهو أكثر دفئا، وكلاهما درجة ثانية، كما أن هناك كبائن بطول البيحرة وكبائن أخرى خارج البلدة للإيجار الأسبوعى أو الشهرى".

لم تعد تفكر بالشهور، فقد كان يوما واحدا يكفيها، كما أن كلمة أكثر دفئا بدت لها شديدة الحميمية، فقالت: "ربما يجدر بى أن أذهب لتفقد الفندق".

"ولكنها مسافة كبيرة، يمكننا أن نوصلك بالسيارة ".

"لقد قدت سيارتى طوال اليوم. أفضل إعمال قدمى قليلا، ولكن شكرا لك يا سيد درابر على أية حال".

"لا بأس". بقى واقفا للحظات بينما كانت تشق طريقها إلى أسفل على الرصيف الخشبى، ثم علق قائلاً: "إنها جميلة".

أومأ كارل: "إنها نحيلة؛ إن نساء اليوم يتضورن جوعا لإنقاص أوزانهن".

لم تكن ريسى تجوع نفسها فى واقع الأمر، وإنما كانت على العكس تبذل جهدا مضنيا لاكتساب بعض الوزن الذى فقدته على مدى العامين الماضيين.

لقد كانت فى كامل لياقتها عندما كانت ترتاد النادى الصحى؛ ولكنها تحولت بعدها إلى شخص بالغ النحافة. أصبح جسدها ممتلئاً بالزوايا الحادة والكثير من العظام. كانت فى كل مرة تقف فيها أمام المرآة؛ تشعر بأنها ترى جسدا غريباً عنها.

لم تكن هى نفسها لتتفق مع ماك فى رأيه بأنها جميلة. كانت يوما ما تنظر إلى نفسها على أنها امرأة جميلة؛ مغرية ومثيرة، ولكن ملامح وجهها أصبحت شديدة القسوة الآن، كما أن عظام خديها أصبحت شديدة البروز والفجوات بالغة العمق، وبالرغم من تراجع عدد الليالى المؤرقة إلا أنها عندما تداهمها كانت تتركها بعينين تحيط بهما هالات سوداء، إضافة إلى أنها كانت تجعل بشرة وجهها شاحبة ورمادية اللون.

كانت تريد أن تستعيد نفسها ثانية.

تركت نفسها تسير فى تؤدة على الطريق؛ كان حذاؤها المهترئ لا يحدث أى صوت بينما كانت تسير على الرصيف. كانت قد تعلمت ألا تتعجل؛ وألا تثقل على نفسها؛ وألا تتسرع وإنما تتقبل الأشياء كما هى، تتقبلها بطريقة تجعلها تحتوى كل لحظة من لحظات حياتها.

لطمها الهواء البارد على وجهها؛ وتخلل شعرها البنى الطويل الذى كانت تعقصه إلى الوراء. كان هذا الشعور يروق لها؛ كانت الرائحة تعجبها؛ لقد كانت رائحة نظيفة ومنعشة كما كان يعجبها هذا الضوء القوى المسلط على جبال الـ "تيتونس" والمتلألئ على

صفحة الماء.

رأت ـ أثناء سيرها ـ تلك الكبائن التى أخبرها عنها ماك عبر الفروع العارية من الأوراق وأشجار الصفصاف وخشب الحور القطنى. كانت تلك الكبائن تظهر من وراء الأشجار؛ طويلة وزجاجية؛ ذات أرائك عريضة؛ يا له من منظر بالغ الروعة.

قد يكون من اللطيف أن تجلس على إحدى هذه الأرائك وتتأمل البحيرة والجبال ورواد تلك المستنقعات التى تفيض منها النباتات المائية. قد يكون من اللطيف أن تقتنى غرفة هناك؛ وسط كل هذا الهدوء.

ربما يوما ما، ولكن ليس اليوم.

وقع بصرها على بعض أوراق النرجس البرى الأخضر ، ربما تعثرت بعض الشىء بسبب هذا الجو البارد؛ ولكن هذا المشهد ذكرها بالربيع. كان كل شىء يبدو جديدا فى الربيع. ربما فى هذا الربيع؛ سوف تكون إنسانة جديدة هى الأخرى أيضا.

ثم حولت بصرها عن تلك البراعم الصغيرة. كان اقتراب الربيع بعد الشتاء الطويل يبعث فى نفسها الشعور بالراحة. سوف تتوالى معالمه تباعا عما قريب. كان دليلها يحمل مشاهد تمتد لأميال من الزهور البرية الملونة على السهول وحول البحيرات والمستنقعات المائية.

قالت ريسى فى نفسها: كانت على استعداد لهذا الازدهار. كانت على استعداد للتورد.

ثم حولت بصرها نحو النافذة الأمامية الواسعة للمطعم. كان أقرب إلى مطعم صغير؛ أخذت تتأمله وهى تخاطب نفسها: مناضد خدمة؛ مقاعد مرتفعة وطاولات باللونين الأحمر والأبيض. كان هناك حامل يعرض بعض الفطائر المحلاة والكعك، وكان المطبخ مفتوحا مؤديا إلى المناضد. كانت هناك نادلتان تجوبان المكان وهما حاملتان الصوانى وأقداح القهوة.

إنها جلبة وقت الغداء. لقد نسيت الغداء. ولما ألقت نظرة على الفندق؛ لاحظت ...

ثم رأت بعدها على النافذة؛ العلامة؛ مكتوبة بخط اليد.

مطلوب طاه
تقديم طلبات الالتحاق بالداخل

الإشارات؛ هكذا فكرت؛ بالرغم من أنها كانت قد تراجعت خطوة إلى الوراء قبل أن تتمالك نفسها. بقيت فى مكانها؛ وهى تتفحص المكان عبر الزجاج. ذكرت نفسها: مطبخ مفتوح؛ هذا هو المفتاح، طعام خفيف؛ يمكنها أن تتدبر ذلك بسهولة، أم أنها كانت قادرة على ذلك بالفعل فيما مضى.

ربما آن لها أن تعرف ذلك؛ ربما آن لها أن تتقدم خطوة إلى الأمام. إن لم تتمكن من تدبر الأمر؛ كانت تعرف جيدا أن الأمر لن يزداد سوءا عما هو عليه الآن.

لقد كان الفندق على الأرجح بحاجة إلى العاملين مع اقتراب فصل الصيف، أو قد يكون السيد "دروبر" بحاجة إلى موظف فى متجره.

ولكن العلامة كانت هنا؛ كما أن سيارتها كانت قد قادتها إلى هذه البلدة، وخطواتها كانت قد أوصلتها إلى هذه البقعة حيث شقت أوراق النرجس الخضراء طريقها وسط القاذورات وكأنها إشارة ربيع تبدى نفسها على استحياء.

عادت أدراجها نحو الباب؛ والتقطت نفساً طويلا ثم فتحته.

استقبلتها رائحة البصل وشواء اللحم ورائحة القهوة النفاذة وخزانة موسيقية تعمل بالنقود وصوت ثرثرة إحدى الطاولات.

كانت الأرضية الحمراء نظيفة؛ كما لاحظت؛ كما كانت المنضدة البيضاء نظيفة هى الأخرى. كانت الطاولات الخاوية كلها مهيأة للغداء. كانت هناك صور فوتوغرافية على الجدران؛ بدت لها جميلة. كانت صوراً باللونين الأبيض والأسود للبحيرة وصفحة الماء البيضاء والجبال فى كل فصل من فصول السنة.

كانت مازالت تسعى لاستعادة رباطة جأشها واستجماع شجاعتها عندما اقتربت منها إحدى النادلات قائلة: "مرحباً، هل تودين تناول الغداء؛ يمكنك الجلوس على طاولة أو على المنضدة".

"بل إننى؛ فى واقع الأمر؛ أبحث عن المدير، أو المالك، بخصوص هذا الإعلان على النافذة. وظيفة الطاهى".

توقفت النادلة؛ محافظة على توزان الصينية التى كانت تحملها، قائلة: "هل أنت طاهية؟".

مر على ريسى وقت كانت تستطيع انتقاء الكلمات المناسبة بشكل طبيعى، ولكنها نطقت بالكلمة هذه المرة كما عن لها: "نعم".

قالت النادلة وهى تشير بيدها الحرة: "هذا جيد، لأن جوانى كانت قد عينت طاهيا منذ عدة أيام، ولكنها طردته من العمل لأنها ضبطته وهو يعاقر الخمر".

"يا له من موقف".

"كانت قد عينته فى هذه الوظيفة فى شهر فبراير الماضى عندما جاء إلى البلدة باحثا عن عمل، وكان يتظاهر بالورع وحسن الخلق".

هزت رأسها وخصرها ومنحت ريسى ابتسامة مشرقة من وجهها الجميل، ثم قالت: "أخذ يعظ الناس جميعا وكأنه أحد الزهاد ولكن حينما عُثر على الزجاجة؛ افتضح أمره. أقترح أن تجلسى على المنضدة. سوف أرى إن كان بوسع جوانى أن تغادر المطبخ لدقيقة. أتودين تناول بعض القهوة ؟".

"بل بعض الشاى؛ من فضلك".

"حسناً".

ما كان ينبغى أن أتقدم لهذه الوظيفة؛ هكذا ذكرت ريسى نفسها وهى تغوص فى المقعد الجلدى وتفرك راحتى يديها المبتلتين فى بنطالها الجينز لكى تجففهما. حتى إن عرض عليها العمل؛ فهذا لا يعنى وجوب قبولها له. يمكنها أن تعمل فى تنظيف غرف الفندق أو تخرج باحثة عن مزرعة الخيول.

ترامى إليها صوت "شنيا توين" وهى تشدو بإحدى كلمات أغانيها.

عادت النادلة نحو مكان الشواء ونقرت على كتف سيدة قصيرة تبدو عليها علامات الجدية، ثم مالت نحوها وبعدها بلحظة أدارت السيدة وجهها، والتقت عيناها بعينىَ ريسى ثم أومأت. عادت النادلة ثانية إلى المنضدة حاملة كوباً من الماء الساخن وعبوة شاى لبتون فى طبق صغير.

"سوف تأتى جوانى فى الحال. هل تودين طلب الغداء؟ نحن نعد اليوم رغيف اللحم؛ إنه طبقنا الخاص لهذا اليوم. نقدمه مع البطاطس المهروسة والخضراوات وقطعة بسكويت".

"كلا؛ شكرا لك؛ يكفينى الشاى". لم يكن بوسعها تناول أى شىء فى هذا الوقت؛ كانت تشعر بالتوتر وبشىء من التوعك فى معدتها بسبب الاضطراب، كما شعرت برعدة وغصة فى صدرها.

يمكننى أن أنصرف؛ هكذا فكرت ريسى فى نفسها. يمكنها أن تمضى لحال سبيلها الآن وتعود إلى سيارتها. يمكنها أن تنصرف خارج المدينة بعد إصلاح خرطوم مبرد السيارة، ولتذهب كل هذه العلامات إلى الجحيم.

كانت جوانى صاحبة شعر أشقر؛ وكانت تلف جسدها بمريلة بيضاء ملطخة ببقع الدهون وتنتعل حذاء أحمر طويلاً. خرجت من المطبخ وهى تجفف يديها فى إحدى مناشف الأطباق.

وأخذت تُقَيِّمُ ريسى بعينين صارمتين أقرب إلى الرمادية منهما إلى الزرقة.

"هل تجيدين الطهى؟". أضفى صوتها الأجش شيئا من الخشونة على السؤال السريع المفاجئ.

"نعم".

"ولكننى لا أريد شخصا لا يستطيع التوقف عن الحديث لخمس دقائق".

اتسع فم ريسى فى دهشة ثم أغلقته ثانية كاشفة عن ابتسامة مقتضبة: "أنا لا أكف عن الثرثرة بالفعل عندما يصيبنى التوتر".

"ما الذى جاء بك إلى هنا؟".

"كنت مسافرة ثم تعطلت سيارتى، وأنا بحاجة إلى عمل".

"هل لديك أية شهادات خبرة؟".

شعرت بانقباض وبغصة فى الحلق، فقالت: "يمكننى أن أحضرها".

تنهدت جوانى وشقت طريقها عائدة إلى المطبخ: "هيا تعالى معى؛ وارتدى مريلة. الطلب التالى شطيرة لحم مشو نصف شواء وشرائح بصل مقلية ومشروم. أتمنى ألا يسقط أحدهم ميتا بعد

تناول الطعام؛ يبدو أنك حصلت على الوظيفة".

"حسنا"، هكذا قالت ريسى وهى تدفع نفسها ناهضة بينما تحاول أن تتحكم فى أنفاسها لكى تبدو منتظمة وبطيئة. شقت طريقها عبر الباب المتأرجح عند نهاية المنضدة البعيدة.

لم تلحظ هى ولكن جوانى لاحظت أنها كانت قد مزقت ورقة عبوة الشاى إلى قصاصات متناهية الصغر.

قالت لنفسها: إن تجهيز المكان بسيط؛ ولكنه بالغ الكفاءة. كانت هناك شواية كبيرة الحجم وفرن كبير الحجم وثلاجة ومجمد، بالإضافة إلى حاملة أوانى وأحواض ومناضد ومقلاة مزدوجة ونظام للتحكم فى الحرارة. فيما ارتدت المريلة كانت جوانى قد أعدت لها كل المكونات التى سوف تحتاج إليها.

قالت ريسى وهى تفرك يديها: "شكراً لك"، ثم بادرت بإنجاز المهمة.

لا تفكرى؛ فقط دعى الأمور تسر بشكل طبيعى، هكذا قالت لنفسها. وضعت قطعة اللحم على الشواية ثم قطعت البصل والمشروم، ووضعت البطاطس سابقة التقطيع فى سلة القلى وضبطت المؤقت.

لم ترتجف يدها مع أنها كانت تشعر بانقباض فى صدرها؛ ولكنها لم تسمح لنفسها أن تدير وجهها لتتأكد من أن الجدار لا يتحرك باتجاهها.

أخذت تستمع إلى الموسيقى الصادرة من الصندوق ومن الشواية ومن المقلاة.

ثم دست جوانى الطلب التالى فى المكان المخصص للطلبات وقالت: "إناء من حساء الحبوب. الآنية هناك. مع بعض المقرمشات".

أومأت ريسى ببساطة؛ ثم وضعت المشروم والبصل على الشواية، وبدأت تعد الطلب التالى لحين نضج الطعام.

"الطلب جاهز!" هكذا صاحت جوانى، ثم منحتها تذكرة أخرى، قائلة: "شطيرة لحم وطبقان من السلاطة".

أخذت ريسى تنتقل من طلب إلى آخر لتنجزه؛ هكذا بمنتهى البساطة. ربما كان جو العمل متغيراً؛ وربما كانت الطلبات مختلفة

ولكن الإيقاع بقى ثابتا. واصلى الحركة؛ واصلى العمل.

أعدت الطلب الأصلى وقدمته لجوانى لكى تتفحصه.

قالت لها: "ضعيه فى الصف، هيا أعدى الطلب التالى. إن لم نتصل بالطبيب على مدى الدقائق الثلاثين التالية؛ فهذا يعنى أنك قد حصلت على الوظيفة. سوف نحدد ساعات العمل والأجرة فيما بعد".

" ولكننى بحاجة إلى ـ"

قاطعتها جوانى، قائلة: "أعدى الطلب التالى. سوف أخرج لتدخين سيجارة".

واصلت ريسى العمل لتسعين دقيقة متتالية إلى أن بدأت الأمور تهدأ بما يكفى لتتراجع قليلا بعيدا عن الحرارة وتناول زجاجة ماء. عندما استدارت؛ وجدت جوانى جالسة على المنضدة؛ تحتسى القهوة.

قالت: "لم يمت أحد".

"هل يكون المكان مزدحما دائما إلى هذا الحد؟".

"إنه شديد الازدحام دائما فى وقت الغداء أيام السبت. سوف تحصلين بداية على ثمانية دولارات فى الساعة. إن بقى مستوى أدائك جيدا على مدى أسبوعين؛ سوف تحصلين على دولار إضافى مقابل الساعة. سوف نتقاسم العمل فى المطبخ على مدى سبعة أيام. سوف تحصلين على يومين عطلة أو لجزء من الوقت على مدى اليومين لهذا الأسبوع. إننى أعد الجدول فى خلال أسبوع مسبقا. نحن نفتح فى السادسة والنصف مما يعنى أن نوبتك تبدأ فى السادسة صباحا. يمكنك تقديم الإفطار على مدار اليوم؛ الغداء من الحادية عشرة حتى موعد الانتهاء، والعشاء من الخامسة حتى العاشرة. سوف تعملين لمدة أربعين ساعة أسبوعياً؛ سوف أتولى هذا الأمر، واعلمى أننى لا أدفع أجراً مقابل العمل الإضافى مما يعنى أنك إن عملت لساعات إضافية سوف تحصلين على ساعات راحة إضافية من ساعات الأسبوع التالى. هل أنت موافقة؟".

"أجل".

"إن تناولت الكحوليات أثناء العمل سوف تفصلين فى الحال".

"مفهوم".

"يمكنك تناول الشاى والقهوة والماء كما تشائين، ولكنك سوف تدفعين ثمن المشروبات الخفيفة وكذلك الطعام. نحن لا نقدم أى طعام مجانى هنا؛ أى لا تحاولى تجنيب بعض الطعام بدون علمى. أنت على أية حال مفرطة النحافة".

"أنا بالفعل كذلك؛ على ما أظن".

"يتولى الشخص المسئول عن نوبة العمل الأخيرة تنظيف الشواية والفرن وإغلاق المطعم".

قاطعتها ريسى قائلة: "لا أستطيع أن أفعل ذلك، بل يمكننى العمل لوقت إضافى عند الحاجة أو تقاسم نوبات العمل، ويمكننى أن أعمل لأكثر من أربعين ساعة إن كنت بحاجة إلى ذلك، ولكن إغلاق المطعم! كلا ؛ آسفة".

رفعت جوانى حاجبيها ورشفت آخر جرعة من القهوة: "هل تخشين الظلام يا فتاتى الصغيرة؟".

" أجل، أخشاه. إن كان إغلاق المطعم أحد شروط الوظيفة، فهذا يعنى أننى يجب أن أبحث عن عمل آخر".

"سوف نتدبر هذا الأمر. يجب عليك أن تملئى بعض الأوراق الرسمية، ولكننا يمكن أن نرجئ هذا الأمر. لقد تم إصلاح سيارتك وإرسالها إلى متجر ماك". ابتسمت جوانى مضيفة: "إن كنت تبحثين عن مكان للإقامة يمكنك استئجار الغرفة التى تعلو المطعم. إنها ليست غرفة فخمة؛ ولكنها تطل على مشهد رائع كما أنها نظيفة".

"شكرا لك ولكننى أفضل أن أجرب الإقامة فى الفندق أولاً. سوف يختبر كلانا الآخر لمدة أسبوعين؛ وننظر كيف تسير الأمور".

"أنت مترددة".

"نعم، أنا مترددة بعض الشىء".

"أنت حرة فى اختيارك". نهضت جوانى وهى ترفع كتفيها وتتجه نحو الباب الهزاز، مضيفة: "هيا اذهبى الآن وتسلمى سيارتك وتدبرى أمرك، وعودى ثانية فى الرابعة".

غادرت المكان وهى تشعر بشىء من الدوار. كانت قد عادت إلى المطبخ ثانية وقد سارت الأمور على ما يرام، ولقد أحسنت صنعا. الآن بعد أن نجحت فى الاختبار، شعرت بشىء من التشوش فى عقلها؛ ولكن هذا أمر طبيعى؛ أليس كذلك؟ إنه رد فعل طبيعى عند اقتناص فرصة عمل فى لمح البصر وإنجاز ما تدربت على القيام به ثانية. القيام بما بقيت عاجزة عن أدائه على مدى ما يقرب من عامين.

سارت فى تؤدة نحو سيارتها وهى تسعى لاستيعاب كل ما جرى. عندما وصلت إلى المتجر؛ كان ماك يقرع جرسا إيذانا ببدء التخفيضات عند إحدى المناضد الصغيرة المقابلة للباب. كان المكان كما توقعته. كان يضم أنواعاً مختلفة من البضائع. مبردات للطيور واللحوم، وأرفف للمنتجات الجافة، وقسم للأدوات المنزلية والأجهزة وأدوات الصيد والذخيرة الحية.

أتريد جالونا من اللبن وعبوة رصاص؟ هذا هو المكان.

قال ماك مخاطبا إياها: "لقد تم إصلاح السيارة".

"أجل؛ لقد عرفت وشكرا لك. ما هو المبلغ المطلوب؟".

"لقد ترك لين الفاتورة هنا. يمكنك التوجه إلى المرآب إن كنت تريدين دفع المبلغ المستحق بالبطاقة الائتمانية، أما إن كنت ستدفعين القيمة نقدا فيمكنك تركها هنا. سوف أقابل لين غداً".

"أجل هذا يناسبنى؛ سوف أدفع نقدا ". التقطت الفاتورة ولاحظت بارتياح أن المبلغ كان أقل مما توقعت. ترامى إلى مسامعها صوت ثرثرة فى مؤخرة المتجر، وصوت عمل ماكينة الأموال النقدية. "لقد حصلت على عمل".

هز رأسه وهو يستخرج حافظة نقوده. "حقا؛ بهذه السرعة".

"فى المطعم الصغير. إننى حتى لا أعرف اسمه". أدركت ذلك وقتها فقط.

" "إنجيل فود؛ هذا هو اسمه؛ ولكننا نطلق عليه اسم مطعم جوانى".

"إذن هو مطعم جوانى. أتمنى أن أراك هناك قريبا. أنا طاهية جيدة".

"أنا واثق من ذلك. إليك باقى الحساب".

"أراك هناك إذن. شكرا على كل شىء. أعتقد أننى سوف أمضى الآن للبحث عن غرفة فى الفندق ثم أعاود الذهاب إلى العمل".

"إن كنت مازلت تريدين الإقامة فى الفندق؛ أخبرى بريندا فى مكتب الاستقبال بأنك تودين معرفة الإيجار الشهرى. أخبريها أيضا بأنك تعملين لدى جوانى".

"سوف أفعل. سوف أخبرها". كانت تريد أن تأخذ إعلاناً له فى الجريدة المحلية. أضافت: "أشكرك يا سيد دروبر".

كان الفندق مؤلفاً من خمسة طوابق من الجص الأصفر الشاحب، وكان يطل على البحيرة من عدة جوانب. كان يضم متجرا صغيرا ومقهى صغيراً وحاملاً لعرض فطائر محلاة وغرفة طعام ذات فرش كتانى يوحى بالدفء.

كان هناك أيضا . كما أخبروها . خدمة إنترنت يمكن استخدامها طوال اليوم مقابل مبلغ بسيط وخدمة غرف من السابعة صباحا فضلا عن وجود مغسلة للاستخدام الشخصى فى الدور السفلى.

تفاوضت ريسى على سعر إقامة أسبوعى بغرفة لشخص واحد فى الطابق الثالث . كان أسبوع واحد فترة كافية تماما بالنسبة لها. كان أى طابق تحت الثالث قريب المنال إلى حد يؤرقها كما أن أى طابق أكثر ارتفاعا من الطابق الثالث يثير فى نفسها شعورا بأنها قد وقعت فى فخ.

بعد أن أصبحت خالية الوفاض؛ حملت حقيبتها وحاسوبها المحمول بنفسها لثلاثة طوابق بدلا من استخدام المصعد.

كان المشهد يستحق المبلغ المدفوع فيه. بادرت بفتح النوافذ واكتفت بالوقوف وتأمل صفحة الماء المتلألئ والسفن المارة والجبال الشاهقة التى تحيط بالمكان.

هذا هو مكانى اليوم؛ هكذا قالت فى نفسها. سوف تعرف ما إذا كان سوف يظل كذلك غدا. عندما تجولت فى أنحاء الغرفة؛ لاحظت وجود باب مشترك يؤدى إلى غرفة الضيوف المجاورة. تأكدت من إحكام غلقه ثم دفعت بكل ما أوتيت من قوة خزانة الملابس أمامه.

هذا أفضل.

لم تفرغ حقيبتها . ليس تحديدا . وإنما استخرجت الأشياء الأساسية منها؛ بعض أدوات الزينة وشاحن الهاتف المحمول. وبما أن حجم الحمام كان يزيد بالكاد عن حجم خزانة الملابس؛ فقد تركت الباب مفتوحا أثناء أخذ حمام سريع، بينما كانت المياه تنساب على جسدها؛ أخذت تكرر على نفسها جدول الضرب لكى تبقى مستقرة، ثم غيرت ملابسها وارتدت ملابس نظيفة؛ كانت تتحرك بسرعة.

إنه عمل جديد؛ هكذا ذكرت نفسها، ثم كبدت نفسها وقت وعناء تجفيف شعرها ووضع بعض المساحيق. لست شديدة الشحوب اليوم؛ كما أن عينىّ ليستا شديدتى الغور؛ هكذا قالت لنفسها.

بعدما نظرت فى ساعة يدها؛ فتحت حاسبها الدفترى؛ ومذكراتها اليومية؛ وأعدت مدخلا سريعا.

أنجيل فيست؛ وومينج

١٥ إبريل

طهوت اليوم. حصلت على وظيفة طاهية فى أحد المطاعم المحلية الصغيرة فى هذا الوادى الجميل بجوار تلك البحيرة الزرقاء الجميلة. إننى أحتفل مع نفسى بهذه المناسبة، وأطلق البالونات والأشرطة الملونة.

أشعر كما لو أننى كنت أتسلق جبلاً، كما لو أننى أحاول الوصول إلى القمم الرشيقة التى تحيط بهذا المكان. لم أصل إلى القمة بعد؛ مازلت عند القاعدة، ولكنه جبل شاهق وشاسع؛ يمكننى أن أستريح بعض الوقت قبل أن أشرع فى الصعود ثانية.

إننى أعمل لدى سيدة تدعى جوانى، وهى قصيرة وجادة وجميلة بشكل لافت. هى صارمة أيضا وهذا جيد. أنا لا أريد أن أدلل. أعتقد أننى كنت لأموت اختناقا هكذا؛ لعدم وجود الهواء الذى أتنفسه، تماما مثل هذا الشعور الذى ينتابنى عند الانتفاض من كابوس مزعج؛ ولكننى أستطيع أن أتنفس هنا؛ ويمكننى أن أبقى هنا إلى أن يحين وقت الرحيل.

لم أعد أملك سوى أقل من عشرة دولارات؛ ولكن من هو المسئول عن هذا الخطأ؟ لا بأس. لقد استأجرت غرفة لأسبوع تطل على البحيرة وجبال الـ "تيتونس "كما أننى حصلت على عمل وخرطوم جديد لمبرد السيارة.

لم أتناول الغداء وهذا أمر سيئ؛ ولكن لا بأس أيضا. لقد كنت منهمكة فى إعداد الطعام إلى درجة أننى لم أتمكن من تناول الغداء؛ ولكننى سوف أتدارك هذا الأمر.

إنه يوم جميل؛ الخامس عشر من شهر إبريل. سوف أذهب إلى العمل.

أغلقت حاسوبها؛ ثم التقطت هاتفها ومفاتيح سيارتها ورخصة قيادتها وثلاثة دولارات من النقود التى كانت قد تبقت فى جيبها. التقطت سترتها وتوجهت نحو الباب.

قبل أن تفتحه؛ تفحصت "ريسى" المكان جيدا؛ والبهو الخالى. تفحصت قفل الباب مرتين؛ لعنت نفسها وتفحصته للمرة الثالثة قبل أن تعود أدراجها نحو صندوق المستلزمات الخاص بها لتلتقط شريطًا لاصقًا. وضعته على الباب تحت مستوى النظر تحديدا قبل أن تخرج من الباب وتهبط الدرج.

أخذت تقفز وهى منهمكة فى العد. بعد حوار مقتضب؛ تركت سيارتها فى المرآب. إن السير سوف يوفر لها نقود الوقود بالرغم من أن الظلام سيكون قد خيم عند انتهاء عملها ليلا.

كان المطعم على بعد بناءين فقط، ولكنها مع ذلك بدأت تتحسس طريقها وهى ممسكة مفاتيحها وبدأ الخوف يداهمها.

ربما كان الأجدر بها أن تعود أدراجها وتستقل سيارتها؛ فقط حال وقوع أى طارئ. غبية؛ هكذا قالت لنفسها. كانت قد اقتربت من الوصول. فكرى الآن وليس فيما بعد.

عندما بدأت أعصابها تخونها؛ تصورت نفسها أمام الشواية. ضوء المطبخ القوى الساطع؛ الموسيقى المنبعثة من الصندوق وأصوات الزبائن على الطاولات.

أصوات وروائح وحركات مألوفة.

بالرغم من أن يديها كانتا نديتين عندما وصلت إلى باب جوانى إلا أنها فتحت الباب، ودلفت إلى الداخل.

رأتها النادلة التى حادثتها حينما جاءت فى البداية وأشارت إليها تدعوها للحضور .توقفت ريسى عند السقيفة التى كانت تعيد فيها ملء علبة البهارات.

"لقد عادت جوانى؛ إنها فى المخزن. لقد أخبرتنى بأننى يجب أن أمنحك بعض النصح فور دخولك. نحن الآن فى فترة الهدوء التى تسبق العاصفة، وسرعان ما سوف تتدفق الزبائن إلى المكان. أنا ليندا جيل."

"ريسى".

" الإنذار الأول؛ جوانى لا تطيق البقاء بلا عمل. إن ضبطتك وأنت تعبثين خلال ساعات العمل فسوف تنقض عليك". ابتسمت عندما قالتها على نحو جعل عينيها الزرقاوين تبرقان وتزيد من عمق الغمازات على وجنتيها. كانت صاحبة شعر أشقر أشبه بشعر الدمى؛ وكان معقوصاً فى ضفيرة فرنسية.

كانت ترتدى بنطالا من الجينز وقميصاً أحمر بشرائط بيضاء. كان هناك قرطان فضيان فى لون فيروزى يتدليان من أذنيها حتى خديها. بدت لريسى وكأنها عاملة غريبة فى مزرعة ألبان.

"إننى أحب العمل".

"سوف تحبينه؛ صدقينى. إنه مساء السبت وسوف تبقين مشغولة طوال الوقت. هناك نادلتان أخريان سوف تعملان الليلة وهما بيبى وجوانيتا. (مات) سوف يتولى مهمة التوصيل وبيتى تنظيف الصحون. أما أنت وجوانى فسوف تتوليان أمور الطهى وسوف تبقين نصب عينيها طوال الوقت. إن شعرت أنك بحاجة إلى فترة استراحة؛ أخبريها؛ سوف تمنحك إياها. هناك مكان مخصص فى الخلف لكى تضعى فيه معطفك وحقيبتك. أنت لا تحملين حقيبة؟".

"كلا لم أحضر حقيبة".

"يا إلهى؛ أنا لا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة خارج المنزل بدون الحقيبة. هيا بنا؛ سوف أريك المكان. لقد أحضرت لك الأوراق

اللازمة؛ يجب أن تملئيها فى الخلف. أعتقد أنك قد قمت بهذا من قبل؛ لقد أدركت هذا من الطريقة التى تقدمت بها لطلب العمل اليوم".

"أما بالنسبة للحمامات، فنحن ننظفها بالتناوب. أمامك أسبوعان قبل أن تحظى بهذا الشرف".

"لا أطيق الانتظار".

ابتسمت ليندا جيل، قائلة: "هل لديك عائلة هنا؟".

"كلا؛ أنا من الشرق البعيد". لم تكن تريد أن تتحدث عن ذلك؛ أو أن تفكر فى ذلك. "من الذى يتولى مهمة ملء المشروبات".

"القائمون على الخدمة؛ ولكن فى ذروة الانشغال يمكنك أن تشتركى فى ذلك. نحن نقدم العصائر والقهوة أيضا؛ ولكن معظم الزبائن يفضلون تناول الشراب لدى كلانسى. هذا هو كل ما فى الأمر. إن كان هناك شىء آخر تودين معرفته؛ أعلمينى. يجب أن أنهى إعداد الطاولات وإلا فسوف تنهرنى جوانى. مرحباً بك".

"شكرا لك".

توجهت ريسى نحو المطبخ وارتدت مريلة.

إنها بداية جيدة؛ هكذا قالت لنفسها. مكان جيد للمأوى إلى أن يحين وقت الارتحال ثانية.

٢

كانت ليندا جيل محقة، فقد كان المكان يعج بالزبائن من أبناء البلدة والسياح ومتسلقى الجبال، وأناس شتى متفرقين من المعسكرات المجاورة من الراغبين فى تناول طعام منزلى. كانت هى وجوانى تتبادلان أحاديث مقتضبة بينما كانت القلايات تنفث دخانها والشواية تشع حرارتها.

وفجأة دست جوانى إناء تحت أنفها، قائلة: "كلى".

"كلا، شكرا".

"هل لديك أية تحفظات على حسائى؟".

"كلا".

"اجلسى هنا على المنضدة وتناوليه. لقد هدأت الأمور قليلا وقد اقترب موعد الاستراحة. سوف أضع الإناء على طاولتك".

"حسنا، شكرا لك". إن مجرد التفكير فى أنها سوف تتناول الطعام بدلا من إعداده جعلها تدرك مدى الجوع الذى كانت تعانى منه. إشارة جيدة، هكذا قالت ريسى فى نفسها وهى تلتقط مقعدا عند نهاية المنضدة.

استطاعت من مقعدها أن تتأمل المطعم والباب.

دفعت لها ليندا جيل بطبق به رغيف خبز وقطعتان من الزبد، قائلة: "أخبرتنى جوانى بأنك بحاجة إلى تناول الطعام. هل تودين تناول بعض الشاى؟".

"سوف يكون هذا رائعا. أستطيع الحصول على كوب".

قالت وهى تمد لها يدها بقدح الشاى: "أنا أعمل وفق السرعة المطلوبة، أما أنت فسريعة جداً" ثم أدارت رأسها فوق كتفها لإلقاء نظرة ومالت نحوها وابتسمت قائلة: "أسرع من جوانى. كما أن طعامك جيد. لقد علق أحد الزبائن عليه".

"حقا!". لم تكن تتطلع إلى التعليقات والاهتمام. وإنما فقط إلى كسب بعض المال، وأضافت: "لم أكن أقصد تغيير أى شىء".

هزت ليندا جيل رأسها بابتسامة كشفت عن ناجذيها، قائلة: "لم يشك أحد منك. أنت عصبية المزاج، أليس كذلك؟".

"أعتقد أننى بالفعل كذلك". تذوقت ريسى الحساء، كان شهى المذاق. هذا هو إذا سر ازدحام المكان. إن هذا الحساء لا يقل جودة عن الحساء الذى تقدمه الفنادق الكبرى.

ألقت ليندا جيل نظرة ثانية على المطبخ لكى تتأكد أن جوانى مازالت منهمكة، ثم قالت: "هناك رهان بيننا عليك، إذ يرى بيبى أن لديك بعض المشاكل القانونية فهو يفرط فى مشاهدة التلفاز، أما جوانيتا فهى ترى أنك هربت من زوج مستبد. أما ماثيو، فبما أنه فى السابعة عشرة، فهو لا يفكر إلا فى الجنس. وبالنسبة لى فأنا أرى أنك قد تعرضت لتجربة قاسية فى موطنك. فمن منا المحق؟".

"كلا، آسفة". شعرت بشىء من التوتر بسبب انشغال الآخرين

بأمرها، ولكنها ذكرت نفسها بأن مثل هذه المطاعم تعج دائما بتلك المآسى الصغيرة والكثير من الغيبة، فأضافت: "أنا فقط فى مفترق طرق، مسافرة فحسب".

قالت ليندا جيل وهى تهز رأسها: "هناك شىء؛ أنت محطمة الفؤاد، يبدو هذا واضحا تماما بالنسبة لى. وبهذه المناسبة، ها هو قد وصل الآن الطويل، الأسمر، الوسيم".

كان طويلا، هكذا لاحظت ريسى وهى تنظر فى الاتجاه الذى نظرت إليه ليندا جيل. كان طوله يزيد على ست أقدام أو ما يقرب من ذلك. كان يمكن نعته بالأسمر أيضا نظرا لشعره الأسود الأشعث وبشرته الغامقة. أما كونه وسيماً، فلم يبد لها كذلك.

كانت تلك الكلمة تعنى بالنسبة لها أنه شخص مهندم وأنيق ولكن الرجل لم يكن أيا منهما، وإنما كان على العكس مهملا بعض الشىء بل وصاحب وجه فظ وخاصة فى وجود هذا الذقن المحيط بوجهه ذى العظام البارزة. كان هناك شىء بدا لها أكثر غلظة، ذلك الخط الحاد فى فمه والطريقة التى كان يجول بها بعينيه فى أرجاء المكان. بدا الرجل عديم الأناقة بتلك السترة الجلدية القديمة والبنطال الجينز البالى والحذاء الطويل المهترئ.

لم يكن من طراز رعاة البقر، ولكنه بدا لها شخصا قادرا على العناية بنفسه جيدا فى الخارج. بدا لها قويًا وربما وضيعاً بعض الشىء.

قالت لها ليندا جيل فى صوت خفيض "اسمه برودى، إنه كاتب".

"حقا؟!" هدأت بعض الشىء. كانت هذه نقطة لصالحه. كان إدراكه التام لكل ما يجرى فى المكان قد هيأ لها أنه شرطى. ولكنه كاتب، هذا أفضل. أكثر سهولة. "أى نوع من الكتابة؟".

"إنه يكتب مقالات فى الصحف ومثل هذه الأشياء كما أنه نشر ثلاثة كتب فى الألغاز. هذا يلائمه أيضا. إنه لغز فى حد ذاته".

دفعت شعرها إلى الوراء حتى تحول زاوية بصرها، وتتمكن من رؤيته بطرف عينها بينما كان هو يتوجه إلى أحد المقاعد الشاغرة. "يقولون إنه كان يعمل لصالح جريدة كبيرة فى شيكاغو ولكنه

فصل من عمله. لقد استأجر كبينة فى الجانب المقابل من البحيرة، ويعمل مستقلاً فى معظم الوقت؛ ولكنه يأتى إلى هنا ثلاث مرات أسبوعيا لتناول العشاء. البقشيش يصل إلى ٢٠ بالمائة".

استدارت نحو ريسى بينما جلس برودى، قائلة: "كيف أبدو؟".

"رائعة".

"فى يوم من الأيام سوف أنجح فى لفت انتباهه، فقط لكى أشبع فضولى؛ ولكننى سوف أكتفى فى الوقت الراهن بالعشرين بالمائة".

سارت ليندا جيل إلى حيث كان يجلس ودفتر الطلبات يتدلى من جيبها. من المكان الذى كانت تجلس فيه، استطاعت ريسى أن تسمعها وهى تحييه فى ابتهاج.

"كيف حالك يا برودى؟ ما الذى تريد تناوله الليلة؟".

بينما كانت تتناول طعامها، شاهدت ريسى النادلة وهى تتودد إليه وبرودى يطلب العشاء بدون أن يلقى نظرة على قائمة الطعام. عندما استدارت، رمتها ليندا جيل بنظرة حالمة على نحو مبالغ فيه. عندما حركت ريسى شفتيها استجابة لها، حول برودى نظره نحوها وأخذ يتأمل وجهها.

أصابتها تلك النظرة المتفحصة باضطراب فى معدتها، وبالرغم من أنها أشاحت بعينيها سريعا عنه إلا أنها شعرت باستمرار تأمله لها بشكل فظ، بل ومتوعد. للمرة الأولى، منذ بدء فترة مناوبتها فى العمل شعرت أنها مكشوفة وضعيفة.

نهضت من مقعدها، وضعت أطباقها فوق بعضها البعض. قاومت رغبتها فى إدارة وجهها لإلقاء نظرة من فوق كتفها وعادت أدراجها إلى المطبخ.

لقد طلب شرائح لحم الظبى، وأخذ يحتسى الشراب وهو يعكف على القراءة أثناء انتظار الطلب. لقد دفع أحدهم لـ إيميلو هاريس ثمن استخدام صندوق الموسيقى. ترك برودى الموسيقى تهمس فى مؤخرة رأسه.

أخذ يسائل نفسه عن تلك السمراء وتلك النظرة فى عينيها. كان ريتشارد آدمز قد ابتكر كلمة تعبر عن هذه الحالة فى رواية *Watership Down* . إنها كلمة جيدة . فكر فى نفسه . تناسب هذه الطاهية الجديدة بهذا السكون المفاجئ المتجمد.

على حد معرفته بطبيعة جوانى، لم يكن من الممكن أن تحصل هذه السمراء على العمل فى هذا المكان ما لم تكن على كفاءة عالية. كان يعلم أن جوانى صاحبة قلب حنون تخفيه تحت مظهرها العنيف، ولكنها لا تطيق الحماقات.

ما كان عليه بالطبع إلا أن يسأل الشقراء الصغيرة ليحصل على كل ما يريد معرفته عن الوافدة الجديدة؛ ولكن الجميع سوف يعرفون وقتها أنه يسعى للسؤال عنها مما سيدفعهم بالتالى إلى مساءلته عن سبب سؤاله، وما إن كان يعرف شيئا عنها. لقد كان يعرف جيدا كيف تسير الأمور فى مثل هذه الأماكن وكيف يتم تناقل الأحاديث فيها مثلما تشتعل النيران فى الهشيم.

سوف يستغرق وقتا أطول لمعرفة كل شىء عنها بدون سؤال، سوف تكون هناك همسات وتعليقات وشائعات وتوقعات. إنه يملك أذناً مصغية لمثل هذا النوع من الأحاديث فقط عندما يكون فى الحالة المزاجية المناسبة.

كانت صاحبة نظرة رقيقة، نظرة قادرة على إلانة الحديد. ترى ما السبب؟

ولكنه مع ذلك، كان يرى أنها كفء فى عملها. كانت تعمل بشكل منتظم، على غرار الطهاة المحترفين وكأنها تملك يدين إضافيتين تخفيهما فى مكان ما.

قد يكون هذا هو يومها الأول فى العمل هنا، ولكنه يراهن على أنه لم يكن يومها الأول فى مطابخ المطاعم. بما أنها .إلى الآن كانت أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة له من الكتاب الذى كان يحمله، فقد واصل مراقبته لها أثناء مزاولة عملها وهو يحتسى قهوته.

إنها لا تعرف أحدا فى هذه البلدة؛ هكذا قال لنفسه. لقد عاش هنا لشهور طويلة؛ عرف خلالها أن أحداً من السكان لم يكن فى انتظار ابنة أو أخت أو ابنة أخ أو ابنة أخت غائبة. إنه يعرف كل

هذه الأمور، كما أنها لم تبد له ضالة. إنها أقرب إلى الهاربة، هذا ما خمنه فى نفسه. هذا هو ما رآه فى عينيها، هذا التوتر، هذا الاستعداد للفرار ما إن تشعر بمراقبة أحدهم لها.

وعندما تحركت لوضع أحد الطلبات التى انتهت من إعدادها فى صف التقديم، تحركت عيناها فى لمحة خاطفة نحوه. فقط لمحة خاطفة ثم مضت إلى حال سبيلها ثانية، وقبل أن تستدير جهة الشواية، فتح الباب، فأدارت بصرها جهته. أضاءت ابتسامة وجهها بشكل سريع وغير متوقع جعلت عينى برودى ترتعشان.

كل ما فيها تغير، كل ما فيها أصبح أكثر رقة، أكثر وضاحة، حتى أنه رأى أن هناك أكثر من مجرد جمال هادئ مختبئ هناك.

عندما نظر باحثا عن سبب تلك الابتسامة العريضة التى شقت وجهها، رأى ماك درويز يرميها بابتسامة وتلويحة.

ربما كان مخطئا بشأن وجود أقارب لها فى البلدة.

جلس ماك فى الطاولة المقابلة له، قائلاً: "كيف الحال؟".

"ليست هناك شكوى".

"أتوق لتناول شىء لا أتولى بنفسى مهمة إعداده. ما الذى يبدو لك جيدا؟". انتظر قليلا، ثم رفع حاجبيه، قائلاً: "فضلاً عن الطاهية الجديدة".

"لقد طلبت شرائح اللحم. أنا لا أراك هنا عادة ليلة السبت يا ماك، وأنت لا تحب تغيير عاداتك وتحب دائما أن تأتى فى أيام الأربعاء لتناول طبق الإسباجتى الخاص".

"لم أجد فى نفسى رغبة لتناول الطعام المعلب، كما أننى أردت أن أطمئن على الفتاة. لقد وصلت إلى البلدة اليوم، كانت بحاجة إلى استبدال خرطوم مبرد سيارتها".

فكر برودى؛ كل ما عليك هو الانتظار مدة خمس دقائق أو ما يقرب من ذلك إلى أن تسقط المعلومات فى حجرك. "أهذا هو الأمر؟".

"ثم عرفت بعدها أنها التحقت بالعمل هنا. كنت لتحسبها كسبت ورقة يانصيب لو أنك رأيت تلك النظرة على وجهها عندما أخبرتنى بالأمر. إنها وافدة من شرق البلاد، من بوسطن. لقد

استأجرت لنفسها غرفة فى الفندق. اسمها ريسى جليمور".

توقف عن الحديث عندما جاءت ليندا جيل حاملة طلب برودى.

"مرحى، يا سيد دروبر، كيف الحال؟ ما الذى تريد أن تتناوله اليوم؟".

مال ماك لإلقاء نظرة أكثر تفحصا على طبق برودى، قائلاً: "يبدو لى هذا شهيا".

"الطاهية الجديدة ماهرة للغاية. دعنى أعرف رأيك يا برودى. هل تود طلب شىء آخر؟".

"المزيد من الشراب".

"سوف أحضر لك طلبك فى الحال يا سيد دروبر".

"سوف أتناول الكولا والعسل وكل تلك الأشياء التى حصل عليها صديقى هنا. تبدو لى هذه القطع شهية".

هى بالفعل كذلك، هكذا فكر برودى فى نفسه، كما أن الكمية سخية بالإضافة إلى البطاطس المهروسة والخضراوات. كان الطعام معدا بشكل جمالى على الطبق الأبيض، بعيدا عن الشكل العشوائى الذى اعتادت جوانى أن تقدم به الطعام.

استطرد ماك قائلا: "رأيتك قريبا فى القارب، فهل اصطدت شيئا؟".

أجاب وهو يقتطع جزءاً من مكعبات اللحم، ويتذوق: "لم أكن أصطاد".

"هذه هى إحدى سماتك يا برودى. تخرج فى البحيرة من وقت إلى آخر ولا تصطاد شيئا، ثم تجوب الغابة من وقت إلى آخر بدون أن تصطاد شيئا أيضا".

"لأننى إن اصطدت شيئا من البحيرة أو الغابة فهذا يعنى أننى يجب أن أطهوه".

"هذا هو السبب إذن، حسنا".

قال برودى وهو يقتطع جزءا آخر من اللحم: "إنه شهى، بل شهى للغاية ".

بما أن ماك دروبر كان أحد القلائل الذين يمكن أن يتطوع

برودى لقضاء أمسيته معهم، فقد بقى يحتسى قهوته بينما كان ماك يتناول وجبته. "إن الخضراوات لها مذاق مختلف. ألذ طعماً كما أننى يجب أن أقر أن اللحم أيضا أفضل مذاقا؛ ولكن إن ذكرت هذا لأى شخص يمكن أن ينقله إلى جوانى فسوف أنعتك بالكاذب".

"إنها تقيم فى الفندق وهذا يعنى أنها ربما لا تعتزم البقاء لفترة طويلة".

"لقد حجزت أسبوعا". كان ماك يحب أن يعرف ما يجرى، وما كان يعتزم كل شخص القيام به، داخل بلدته. إنه لم يكن صاحب المتجر فحسب وإنما كان أيضا العمدة، أى أن القيل والقال كان جزءا من مهامه. "صدقنى يا برودى إن الفتاة لا تملك الكثير من المال". أشاح بشوكته جهة برودى قبلما يضعها فى طبقه ليتناول آخر حبات الخضر. "لقد سددت ثمن الخرطوم نقدا وكذلك الفندق حسبما سمعت".

لا تملك بطاقة إئتمان، قالها برودى فى نفسه متفكرا، أهى تسعى للتخفى؟ فقال: "ألا يمكن أن يعنى هذا أنها لا تريد أن تترك أثرا وراءها أو طرف خيط يمكن أن يقود إليها؟".

"أنت دائم التشكك" قالها ماك وهو يقتطع آخر قطعة لحم من العظم، ثم أضاف: "فحتى لو كانت كذلك، فهذا يعنى أن لديها سبباً وجيهاً يدفعها لفعل ذلك. إنها تملك وجهاً بريئاً".

"و أنت تملك نزعة رومانسية، وتفكيرك متأثر بهذا التوجه". أدار برودى رأسه جهة الباب.

كان الرجل الذى دخل لتوه يرتدى قميصاً قطنياً ماركة ليفيز تحت معطفه الأسود، وقد زاد ملابسه حدة حذاؤه العالى المصنوع من جلد الثعبان وحزامه ماركة "سام براون" وحجر السستون الرمادى وكأن كل ما فيه يصرخ معلنا: راعى بقر.

كان شعره الترابى الضارب إلى اللون الذهبى بفعل أشعة الشمس يبدو مجعدًا تحت قبعته. كان صاحب وجه مريح، دقيق القسمات وذقن مشقوق قليلا وعينين زرقاوين فاتحتين كثيرا ما كان يستخدمهما. كما يعرف الجميع. لإغواء النساء.

سار متباهيا ـ ليست هناك طريقة أخرى يمكن وصف الطريقة التى سار بها ـ نحو المنضدة واستقر فوق أحد المقاعد.

"لقد حضر لو لكى يتبين ما إن كانت الفتاة الجديدة تستحق وقته"، قالها ماك وهو يهز رأسه ويضع فى فمه آخر قطعة بطاطس، ثم أضاف: "لا يسعك إلا أن تعجب بـ لو. إنه من ذلك الصنف الذى لا يقاوم إلا بعدما تتبينه على حقيقته".

كانت مراقبة لو وهو يسعى للتقرب من كل امرأة وكأنه يسعى لطاردة فريسته أحد الأشياء التى استمتع بها برودى على مدى العام الماضى. "أراهنك بعشرة دولارات أنه سوف يتعرف عليها، ويخطف قلبها قبل نهاية الأسبوع".

عقص ماك ما بين حاجبيه معترضا: "هذه ليس طريقة لائقة للتحدث عن فتاة لطيفة كهذه".

"أنت لم تعرفها بالقدر الذى يجعلك تنعتها باللطيفة".

"أرى أنها كذلك. لذا فسوف أقبل الرهان. فقط لكى أكبدك خسارة الرهان".

ابتسم برودى نصف ابتسامة. لم يكن ماك يعاقر الخمور أو يدخن كما أنه كان عندما يقدم على ملاحقة امرأة، يحرص على إخفاء الأمر بعيدا عن العيون، وكان برودى يعلم أن هذا الجانب البرئ يشكل جزءا من سحره الخاص. " إننا نتحدث عن النساء ليس إلا يا ماك " ثم ضحك ضحكة كاملة عندما لاحظ احمرار أطراف أذنى ماك . "لازلت تذكر النساء يا ماك، أليس كذلك؟".

"مازلت أملك بعض الذكريات البعيدة".

فى المطبخ، كانت جوانى تعد فطيرة التفاح على منضدة إعداد الطعام، فأمرت ريسى قائلة: "خذى فترة استراحة، تناولى الشطيرة".

"ولكننى لست جائعة فى واقع الأمر، كما أننى بحاجة إلى ـ".

"لم أسألك إن كنت جائعة، أليس كذلك؟ تناولى الشطيرة. لن تدفعى ثمنها. لقد تبقت من أحد الأطباق كما أنها لن تصمد للغد. هل ترين هذا الرجل الذى جلس لتوه على المنضدة؟".

"هذا الرجل الذى يبدو وكأنه هبط لتوه من على ظهر حصانه؟".

"هذا هو ويليام باتلر، المعروف باسم لو. إنه اختصار لاسم لوثاريو الذى نعت به وهو مازال فى سن المراهقة، والذى مازال محتفظا به نظراً لسعيه الدائم لمطاردة نساء البلدة والإيقاع بهن فى شباكه".

"حسناً".

"إن لو يحرص دائماً مساء السبت على قضاء ليلة ساخنة أو التسكع مع أصحابه فى كلانسى لتحديد الفتاة التى سوف يقع اختياره عليها من بين زمرة الفتيات. لقد جاء إلى هنا لكى يلقى نظرة عليك".

وبما أنها كانت تعلم أنه ليس لديها أى خيار حقيقى، فقد بدأت ريسى تتناول الشطيرة، قائلة: "لا أرى أن هناك سببا لذلك".

"تعلمين، أنت جديدة وجميلة وصغيرة السن، كما أنك بدون أقارب هنا. ولكن إحقاقا للحق، إن لو لا يسعى أبدا للتقرب من أية سيدة متزوجة. أترين إنه يغازل جوانيتا الآن، كانت جوانيتا هى شغله الشاغل على مدى أسابيع قليلة الشتاء الماضى إلا أنه انصرف عنها إلى بعض الفتيات اللاتى جئن للتزلج هنا فى البلدة".

أمسكت جوانى بقدح القهوة الضخم الذى كان قريبا بالفعل من يدها، قائلة: "إنه جذاب بحق. لم أسمع عن امرأة شككت فى رومانسيته من قبل".

"إذن أنت تخبريننى بذلك على افتراض أنه سوف يسعى للتقرب منى".

"إننى فقط أعلمك بالأمر".

"فهمت. ولا تقلقى، فأنا لا أبحث عن رجل ـ الآن أو بشكل دائم، وخاصة الرجل الذى لا يسعى إلا وراء غرائزه".

لم يسع جوانى إلا أن تطلق ضحكة، سائلة إياها: "هل أعجبتك الفطيرة؟".

" إنها طيبة المذاق، لذيذة بحق. إننى لم أسألك عن الخبيز. هل تعدينه بنفسك هنا أم أنك تشترينه من مخبز آخر؟".

"بل أعده بنفسى".

"حقا؟".

"أنت الآن تفكرين أننى أجيد صنع الخبيز عن الشواء، وأنت محقة فى ذلك، ولكن ماذا عنك أنت؟".

"ليس أفضل ما أقوم به؛ ولكننى أستطيع أن أساعدك عند اللزوم".

"سوف أعلمك إذن". استخرجت قطعتين من الهمبرجر، ثم أضافت بعض البطاطس المحمرة والخضر فى نفس الطبق. كانت جوانى تضع بعض المخللات والطماطم فى أحد الصحون عندما انسل لو داخلا المطبخ.

"ويليام؟".

"أمى" مال نحوها وطبع قبلة أعلى رأسها، فيما شعرت ريسى بغصة فى معدتها.

أمى! وقد سمحت هى لنفسها بالسخرية منه؛ هكذا فكرت فى نفسها.

"سمعت أنك تسعين للارتقاء بمستوى المطعم"، قالها وهو يبتسم ابتسامة بطيئة قبل أن يضع كوب الشراب الذى كان يحمله فى يده، ثم قال موجهاً كلامه لريسى: "لو هو الاسم الذى يستخدمه أصدقائى".

"ريسى، يسرنى لقاؤك. سوف أضع الصحون فى مكانها". حملت ريسى الصحون ووضعتها فى الصف، ولاحظت بشىء من الضيق للمرة الأولى فى هذه الليلة أنه لم تكن هناك تذاكر فى انتظار الإنجاز.

قالت لها جوانى: "اقتربنا من موعد الإغلاق، يمكنك أن تنصرفى الآن. سوف تعملين فى النوبة الصباحية غداً، يجب أن تكونى هنا فى السادسة تماما".

"حسنا، بكل تأكيد"، قالتها ثم بدأت تخلع مريلتها.

وضع لو كوب الشراب جانبا، وقال: "سوف أوصلك بسيارتى إلى الفندق، لكى أتأكد من وصولك بسلام إلى هناك".

"كلا، لا تشغل بالك بذلك". ألقت ريسى نظرة جهة أمه،

مستجدية إياها فى بعض المساعدة، ولكن جوانى كانت قد استدارت بالفعل لإغلاق المقالى، فقالت: "إن الفندق ليس بعيدا. وأنا بخير. كما أننى أفضل السير على أية حال".

"حسناً. سوف أصحبك مشيا على الأقدام. أين معطفك؟".

فكرت فى نفسها: هل أواصل مجادلته، كلا، سوف أبدو فظة. لا تجادلى، وتدبرى أمرك جيدا، وسرعان ما التقطت سترتها الجينز، قائلة: "سوف أكون هنا فى السادسة".

ودعت الجميع واتجهت نحو الباب. شعرت بنظرات برودى الكاتب وكأنها تمزق ظهرها. لمَ بقى حتى هذا الوقت على أية حال؟

فتح لو الباب وخرج بعدها.

"الجو بارد الليلة، هل أنت واثقة من أنك لست بحاجة لمزيد من التدفئة؟".

"أنا بخير. هذا جيد على أية حال بعد سخونة المطبخ".

"أنت محقة. أنت لا تسمحين لأمى أن تشق عليك فى العمل، أليس كذلك؟".

"إننى أحب العمل".

"كان العمل شاقا الليلة. أتسمحين لى بدعوتك لتناول مشروب ينفس عنك بعض العناء. سوف تكون فرصة طيبة للتعرف على قصة حياتك".

"شكراً لك، ولكن قصتى لا تستحق ثمن المشروب، كما أننى يجب أن أستيقظ مبكرا فى الغد".

"سوف يكون يوما جميلا" خرج صوت كسول مثل حركته. "لمَ لا أمر لاصطحابك لنقوم بجولة؟ أنا أفضل من يجيد هذه المهمة فى أنجيل فيست، ثقى بى، كما يمكننى أن أحضر شهادة حسن سير وسلوك".

كان يملك ضحكة رائعة، عليها أن تقر ذلك، كما أنه كان يملك نظرة لا تقل إغراء عن يد تجول فوق جسدك.

كما أنه كان ابن صاحبة العمل.

"هذا كرم بالغ منك، ولكن بما أننى لا أعرف إلا عدداً من

الأشخاص لا يتخطى أصابع اليد الواحدة ـ فضلا عن أننى لم أقض إلا أقل من يوم واحد ـ فيمكنك أن تزور هذه الشهادة. إننى أفضل أن أرجئ الأمر وأسمح لنفسى بشىء من الاستقرار غداً".

"أنت حريصة إذن".

عندما أمسك يدها، قفزت، فأخفض صوته لكى يهدئ من روعها كما لو كانت حصانا متمردا، قائلاً: "اهدئى. إننى فقط أسعى لتهدئة سرعتك. إنك تتحركين وكأنك قد تأخرت عن موعد مهم. تمهلى قليلا، انظرى هناك، إنه منظر رائع، أليس كذلك؟".

كان قلبها مازال يدق بسرعة بحثا عن الراحة، ولكنها رفعت رأسها إلى حيث أشار، وهناك فوق ظلال الجبال الشاهقة، رأته ساطعاً، بدراً أبيض اللون.

كانت النجوم تتفجر من حوله، كما لو كان أحدهم يطلق طلقات من اللآلئ والماس. كان لون النجوم اللؤلؤى يحيل ثلوج قمم الجبال إلى اللون الأزرق الفاتح، كما أنه كان يحيل الأخاديد إلى ظلال عميقة.

فكرت فى نفسها؛ هذا هو ما كنت تفتقده عندما كنت أسمح لأعصابى أن ترتجف، وتتملكنى وتفرض على تثبيت نظرى فى الأرض، وبالرغم من أنها تمنت لو كانت بمفردها فى تلك اللحظات إلا أن الفضل يرجع إلى لو لأنه هو الذى جعلها تتوقف وتلقى نظرة على هذا المشهد.

"إنه جميل، إن الكتيب الذى اشتريته يصف هذه الجبال بأنها جليلة؛ ولكننى لم أر أنها كذلك عندما شاهدتها فى الصباح. رأيتها شاهقة وقاسية ولكننى عندما أنظر إليها الآن، أراها جليلة بالفعل".

"هناك بقع يجب أن تريها بعينيك لكى تصدقيها، سوف تجدينها تتغير حتى أثناء نظرك إليها، وفى هذا الوقت من العام، إن صعدت إلى أعلى، قفى بجوار النهر، سوف تسمعين صوت اصطدام الماء بالصخور فى مجراه. سوف أصحبك إلى أعلى على ظهر حصان. ليس هناك ما هو أفضل من مشاهدة جبال الـ "تيتونز " من على ظهر حصان".

"ولكننى لا أمتطى الجياد".

"سوف أعلمك كيف تركبينها؟".

بدأت تسير ثانية، قائلة: "أنت إذن مرشد ومدرب فروسية".

"هذا هو ما أفعله فى الغالب خارج نطاق عملى. هناك مزرعة خيول على بعد عشرين ميلا من هنا. يمكننى أن أصحب الطاهية إلى هناك فى رحلة لطيفة، سوف تمتطين خلالها الجياد. أعدك بأنك سوف تقسمين بهذه الرحلة عندما تعودين إلى ديارك".

"أنا واثقة من أنك قادر على ذلك". لكم تحب بالفعل أن تستمتع إلى صوت اصطدام الماء بالصخور وتشاهد السهول وركام الحجارة والتراب الذى يجرفه النهر، كما أنها شعرت فى ذلك الوقت، تحت ضوء القمر الرائع برغبة ملحة فى أن تدعه يريها كل هذا، فأضافت: "سوف أفكر فى الأمر. ها قد وصلنا".

"سوف أصحبك إلى أعلى".

"لا شكرا لك. إننى ـــــ".

"لقد علمتنى أمى أن أوصل النساء حتى أبوابهن".

أمسك يدها ثانية بشكل عادى وفتح باب الفندق.

اشتمت فيه . كما لاحظت . رائحة الجلد والصنوبر، لقد راقت لها هذه الرائحة.

صاح قائلا لموظف الاستقبال: "عمت مساء يا توم".

"مرحى يا لو . مرحباً سيدتى".

لمحت ريسى ابتسامة متكلفة فى عينى الموظف.

عندما توجه لو جهة المصعد، تراجعت ريسى، قائلة: "إننى فى الطابق الثالث. أحب أن أصعد على الدرج".

"هل أنت من أولئك المهووسين بالرياضة؟ هذا هو إذن سبب كل هذه النحافة".

ثم غير اتجاهه بمنتهى الانسياب، ثم فتح الباب المؤدى إلى الدرج.

"إننى أقدر كل هذا التعب الذى تكبدته نفسك". حضت نفسها على ألا ترتبك لأن الدرج كان ضيقا للغاية وهى تسير بجواره. ثم أضافت: "يبدو أنها بلدة ودودة للغاية".

"إن وومينج منطقة يتسم أهلها بدفء الروح. ربما لا يقطن الكثيرون منها هنا ولكننا هكذا بطبعنا. سمعت أنك من بوسطن؟!".

"أجل".

"هل هذه أول مرة تحضرين فيها إلى هنا؟".

"هذا صحيح". بقى دور واحد إلى أن يفتح الباب.

"وهل قررت أن تخصصى بعض الوقت لزيارة كل أنحاء البلاد؟".

"نعم، نعم. هذا صحيح".

"إنها شجاعة منك أن تقدمى على ذلك بنفسك".

"أهذا رأيك؟".

"إنه يعكس حس المغامرة لديك".

كانت تريد أن تضحك، ولكنها شعرت بقدر كبير من الارتياح عندما أبقى الباب مفتوحا لها لكى تخرج إلى بهو الدور الثالث. "أنا أقيم هنا"، استخرجت بطاقة فتح الباب، ونظرت بشكل تلقائى لكى تتأكد من أن اللاصق قد بقى ثابتا حيث وضعته عند الباب.

قبل أن تمرر البطاقة فى موضعها، التقطها من بين يديها وأنجز المهمة نيابة عنها. فتح الباب ثم أعاد إليها المفتاح. علق قائلا: "هل تركت كل أنوارك مضاءة حتى التلفاز".

"أظن أننى نسيتها، فقد كنت أشعر بقلق مفرط. شكراً يا لو على مصاحبتك لى".

"لقد كان هذا من دواعى سرورى. سوف أجعلك تعتلين ظهر حصان عما قرب. سوف ترين".

نجحت فى افتعال ابتسامة، قائلة: "سوف أفكر فى الأمر. شكراً لك ثانية. تصبح على خير".

ولجت عبر المدخل ثم أغلقت الباب. دقت بيدها المسمار اللولبى ثم أغلقت سلسلة الأمان ثانية. اتجهت نحو الجانب البعيد من الفراش، ثم جلست حيث تستطيع أن تنظر من خلال النافذة، نظرت إلى كل هذه المساحة المفتوحة الممتدة إلى أن شعرت أنها لم تعد بحاجة إلى ضبط أنفاسها.

وبخطوات أكثر انضباطا، سارت لكى تتفقد المواسير وتتأكد من خلو البهو قبل أن تضع كرسيا وراء الباب. بعدما تفقدت الأقفال ثانية، وقوة وثبات الخزانة التى كانت تسد بها الباب المؤدى إلى الغرفة الملحقة، أخذت تعد نفسها للنوم. ضبطت منبه المذياع على الخامسة صباحاً ثم ضبطت منبهها الخاص هو الآخر.

حدثت مذكراتها، ثم أخذت تفاوض نفسها بشأن عدد الأضواء التى يمكن أن تتركها أثناء نومها. كانت هذه هى ليلتها الأولى فى مكان جديد، كان يحق لها أن تترك ضوءا على المكتب كما يحق لها أيضا أن تترك نور الحمام. إن هذا الحمام لا يمكن أن ينظر إليه باعتباره جزءا منفصلا على أية حال. كان هذا فقط من أجل الأمان والراحة. فلربما ترغب فى الذهاب إلى الحمام فى منتصف الليل.

استخرجت كشافها الضوئى من حقيبتها ووضعته بجوار الفراش. ربما تنقطع الكهرباء، بسبب حريق. لم تكن الوحيدة فى الفندق، على أية حال. قد يستسلم أحد النزلاء للنعاس وهو يدخن، أو قد يلهو طفل بأعواد الثقاب.

من يدرى؟!

إن هذا المكان يمكن أن يتحول إلى كتلة من اللهب فى الثالثة صباحا. وعندها يجب أن تنهض مسرعة. يجب أن تبقى الكشاف قريبا منها لكى تبقى على أهبة الاستعداد.

حملتها تلك الغصة التى شعرت به فى صدرها على التفكير مليا فى الحبوب المنومة التى كانت تحملها ضمن محتوياتها. إن المنومات ومضادات الاكتئاب ومضادات القلق ما هى إلا غطاء أمان؛ هكذا ذكرت نفسها. مضت شهور الآن على آخر مرة تناولت فيها الحبوب المنومة، كما أنها كانت متعبة اليوم إلى الحد الذى سوف يجعلها تنام بدون مساعدة. فضلا عن أنه إن شب حريق أو حدث انقطاع فى الكهرباء فسوف تكون ثقيلة الخطى وبطيئة فى هذه الحالة، وسوف ينتهى بها المآل إلى الاحتراق حتى الموت أو الاختناق إثر استنشاق الأدخنة.

قادتها هذه الفكرة إلى الجلوس على حافة الفراش، دست رأسها بين يديها وأخذت تلعن خيالها المفرط المجنون الجارف.

"كفى عن هذا يا ريسى. كفى عن هذا الآن وأوى إلى فراشك. يجب أن تستيقظى فى الصباح لأداء كل الوظائف الأساسية التى يقوم بها أى كائن بشرى طبيعى".

قامت بجولة أخرى للتأكد من أن كل الأقفال مغلقة قبل أن تأوى إلى الفراش. مددت جسمها فى ثبات كامل وأخذت تصغى إلى صدى دقات قلبها والأصوات المنبعثة من الغرفة المجاورة ومن البهو ومن خارج النافذة.

قالت لنفسها: أنا فى مأمن. لقد كانت بالفعل فى مأمن. لن تندلع النيران. لن تنفجر قنبلة. لن يقتحم أحد غرفتها ليقتلها أثناء نومها. لن تسقط السماء.

ولكنها أبقت التلفاز مفتوحاً على صوت خفيض وأخذت تشاهد أحد أفلام الأبيض والأسود القديمة أملا فى أن تحملها على النوم.

كان الألم مبرحاً، حادا، حتى أنها لم تستطع أن تصرخ. الأسود، كان السندان الأسود يطبق على صدرها لكى يكتم أنفاسها. لقد سحق رئتيها حتى أنها عجزت عن التنفس، وعن التحرك. أخذت المطرقة تدق على السندان، تدق على رأسها، على صدرها، أخذت تضغط عليها أكثر فأكثر. حاولت أن تتمالك نفسها لكى تستنشق بعض الهواء، ولكن الألم كان مبرحا إلى حد يفوق قدرتها، وكان الشعور بالخوف يفوق شعورها بالألم.

لقد كانوا بالخارج، بالخارج فى الظلام. كان بوسعها أن تسمعهم، أن تسمع صوت تكسر الزجاج، صوت الانفجارات. والأسوأ من ذلك، صوت الصراخ.

والأسوأ من الصراخ، الضحك.

جينى؟ جينى؟

كلا، كلا، لا تصيحى، لا تصدرى صوتا. يجدر بك أن تموتى هنا فى الظلام من أن يصلوا إليك؛ ولكنهم كانوا قادمين، قادمين إليها؛ ولكنها كانت عاجزة عن إخماد نشيجها، عن إسكات صرير أسنانها.

كان الضوء المفاجئ يعمى الأبصار، وكانت الصيحات المدوية فى رأسها تخرج وكأنها هدير وحشى.

"بقى شخص حى".

أخذت تصفع وتركل فى وهن الأيدى التى كانت تسعى للنيل منها.

استيقظت وهى غارقة فى عرقها، وقد تحشرج ذلك الهدير الوحشى فى حلقها وهى تمد يدها لالتقاط الكشاف وكأنه قطعة سلاح.

هل هناك أحد؟ أحد عند الباب؟ أحد عند النافذة؟

جلست وهى ترتجف، وتنتفض بينما تركز سمعها لالتقاط أى صوت.

وبعدها بساعة، عندما دق جرس المنبه، كانت هى جالسة على الفراش، كان الكشاف مازال فى يدها، كانت كل الأضواء فى الغرفة مشتعلة.

٣

بعد نوبة الفزع المدوية التى انتابتها، كان من الصعب عليها أن تواجه المطبخ والناس وتتظاهر بأنها طبيعية؛ ولكنها لم تكن مفلسة فقط، وإنما كانت أيضاً قد قطعت على نفسها وعداً. السادسة تماما.

كان خيارها الوحيد أن تعود أدراجها، أن تتراجع، لتسحق كل تلك الشهور التى مضت فيها قدما. كانت تعلم أن مكالمة هاتفية واحدة كفيلة بنجدتها.

كفيلة بإنهاء كل شىء.

بدأت تتقدم خطوة بخطوة. كان ارتداء ملابسها نصرا،

ومغادرة الغرفة نصرا آخر، أما وضع قدمها على الطريق والسير حتى المطعم كان بمثابة فوز شخصى صغير. كان الهواء باردا. كانت هناك بعض آثار للشتاء. حتى أن أنفاسها أخذت تتقطع بشكل واضح فى صقيع ما قبل الفجر. كانت الجبال داكنة السواد قد تحولت إلى أشباح مخيفة تشق عنان السماء بعدما توارى ضوء القمر وراء القمم. كان الضباب الكثيف الخفيض يحيط بالمكان. كان الرذاذ ينبعث من البحيرة ويتناثر ليلف الأشجار العارية، الهزيلة وكأنها أجنحة جنية.

فى هذا الظلام الحالك، كان كل شىء يبدو خياليا، ساكنا، يبدو متوازنا تماما. كان قلبها ينخلع فى كل مرة يقفز فيها الرذاذ،، ثم يستقر مكانه ثانية عندما يتأكد لها أنه مجرد حيوان عابر.

موظ، ظبى، غزال، لم تكن واثقة من على هذا البعد. أياً كان الحيوان، كان يبدو وكأنه يتزلج بينما الرذاذ يتناثر من حوله وهو يزداد اقترابا من البحيرة.

عندما مد الحيوان رأسه لكى يشرب، سمعت ريسى أول زقزقة عصافير. كان جزء منها يريد أن يجلس، يجلس على جانب الطريق، يجلس على انفراد لمراقبة شروق الشمس.

شعرت بشىء من الارتياح وواصلت سيرها ثانية. كان عليها أن تواجه المطبخ والناس والأسئلة التى كانت تحيط دائما بأى وجه جديد فى أى عمل. لم يكن بوسعها أن تتأخر، أن تبدو متوترة، ويعلم الله أنها لم تكن تريد أن تجذب إليها اهتماما مبالغا فيه.

أمرت نفسها قائلة: ابقى هادئة، ابقى مركزة، ولكى تساعد نفسها أخذت تكرر فى رأسها بعض أبيات الشعر، مركزة على إيقاع الكلمات إلى أن أدركت أنها كانت ترددها بصوت مرتفع، فانكمشت. لم يكن أحد على مقربة منها، هكذا ذكرت نفسها، وقد قادها التشوش إلى بوابة أنجيل فود.

كانت الأضواء ساطعة بالداخل، مما خفف عنها قدرا من التوتر الذى كان يكبلها. كان بوسعها رؤية شخص ما يتحرك بالداخل ـ كانت جوانى قد اتخذت بالفعل موقعها داخل المطبخ، ما بال هذه المرأة، ألا تنام أبدا؟!

قالت ريسى لنفسها: يجب أن أطرق على الباب، اطرقى، ارسمى ابتسامة على وجهك، لوحى، وما إن تتخذ هذه الخطوة، ما إن تدفع نفسها بالداخل، سوف يذوب قلقها فى العمل.

ولكن ذراعها بدت مشلولة وكأنها ترفض التحرك. كانت أصابعها جامدة، باردة حتى أنها كانت عاجزة عن تطويعها فى شكل قبضة. بقيت واقفة فى مكانها، وهى تشعر بالغباء والعجز واليأس.

"هل لديك مشكلة فى فتح الباب؟".

انزعجت، دارت حول نفسها. وإذا بـ ليندا جيل تفتح لها الباب وكأنها مهمة هينة.

"كلا، كلا، ولكننى كنت فقط ـ".

"تحاولين تسديد الهدف؟ يبدو أنك لم تحصلى على قسط كاف من النوم ليلة أمس؟".

"أعتقد ذلك. أعتقد أننى لم أنم جيداً".

كان الهواء البارد يصفعها فى كل مرة كانت ليندا جيل تخطو فيها خطوة جهتها. كانت عيناها الزرقاوان اللتان كانتا تقطران دفئا فى اليوم السابق، قد تحولتا إلى عينين جامدتين باردتين.

"هل تأخرت؟".

"أنا مندهشة من أنك قد أتيت من الأساس بعد الليلة التى لابد أنك قد قضيتها بالأمس".

استعادت ريسى صورتها وهى متشبثة فى فراشها بينما كانت تمد يدها لتلتقط الكشاف وتعمل سمعها لكى تصغى لكل ما يجرى حولها، وقالت: " كيف عرفت؟".

"لقد اشتهر لو بقدرته على المواصلة".

" لو ؟ أنا لم ... يا إلهى!". أخذتها الدهشة الممتزجة بالرغبة فى الضحك، وهى تضيف: "كلا، نحن لم ... أنا لم ... يا إلهى يا ليندا جيل، لقد قابلته لعشر دقائق. يجب أن أعرف الشاب لساعة على الأقل قبل أن أسمح لنفسى باختبار قدرته على المواصلة".

نكست ليندا جيل يدها التى كانت قد رفعتها تجاه الباب، وقربت عينيها من ريسى، قائلة: "أنت لم تشاركى لو الفراش؟".

"كلا"، هكذا على الأقل كان بوسعها أن ترد عليه. "هل اخترقت أحد تقاليد البلدة الغالية؟ هل سأفصل من عملى. هل سأتعرض للاعتقال؟ إن كانت إقامة العلاقات جزءًا من متطلبات العمل، فكان يجب أن يكون هذا واضحا من البداية، وهذا يعنى أننى سأعمل لأكثر من ثمانى ساعات".

"كلا إنه شرط تطوعى، أنا آسفة" وفى لمح البصر، ظهر الناجذان، وأضافت: "أنا آسفة، آسفة بحق. ما كان ينبغى أن أفترض أمورا وأقفز إلى نتائج لمجرد أنك غادرت بصحبته".

"لقد صحبنى إلى الفندق وعرض على تناول شراب فرفضت. ثم عرض علىَّ مصاحبتى لرؤية المكان وهو ما يمكننى فعله بنفسى، ثم عرض على مشاركته فى امتطاء الجياد. أنا لا أركب الجياد ولكننى قد أقبل هذه الدعوة. إنه بالفعل فائق الجاذبية كما أنه يتمتع بحسن الخلق والأدب الجم؛ ولكننى لم أكن أعلم أن هناك علاقة بينكما".

"علاقة ؟ أنا و لو؟" ثم أصدرت صوتا ينم عن الاستنكار، وهى تقول: "كلا بالطبع. أنا الأنثى الوحيدة تحت سن الخمسين فى هذه المنطقة التى لم تقم علاقة معه. إن من يبيع جسده يبقى سيئاً بالنسبة لى سواء كان رجلا أم امرأة".

رفعت كتفيها وتفحصت وجه ريسى ثانية، وأضافت: " على أية حال، أنت بالفعل تبدين منهكة".

"لم أنم جيدا ليلة أمس، بل إننى لم أنم بالمرة. إنها ليلتى الأولى فى مكان جديد، كما أننى بصدد عمل جديد أيضا. أشعر بشىء من التوتر".

قالت ليندا جيل فى نبرة آمرة وهى تفتح لها الباب وبعد أن عاد الدفء ثانية إلى عينيها: "تخلصى من هذا التوتر، فنحن أناس مسالمون".

"هل ستواصلان تبادل الحديث طوال النهار عند الباب. أنا لا أدفع لكما أجراً مقابل تبادل الأحاديث الجانبية".

"إنها السادسة وخمس دقائق يا جوانى، اهدئى. بالمناسبة، إليك حصتك من بقشيش ليلة أمس يا ريسى".

"حصتى؟ ولكننى لم أشارك فى خدمة الموائد".

دفعت ليندا جيل بالمظروف فى يد ريسى، قائلة: "إنها سياسة المطعم هنا، الطاهى يحصل على عشرة بالمائة من البقشيش. نحن نحصل عليه مقابل خدمة الموائد، ولكن لو لم يكن الطعام جيدا فلن نحصل على الكثير".

"شكراً لك". فكرت ريسى فى نفسها وهى تضع المظروف فى جيبها: لست مفلسة تماما.

"لا تنفقى النقود كلها فى شىء واحد".

قالت جوانى وهى تشبك ذراعيها عند المنضدة: "ألم ينته الحديث بعد؟ هيا يا ليندا جيل أعدى موائد الإفطار. وأنت يا ريسى هل أنت مستعدة للتحرك وبدء العمل هنا؟".

قالت وهى تتخطى المنضدة بحثا عن المريلة: "نعم يا سيدتى، وأيضا لكى أفسح الطريق. إن ابنك شديد الجاذبية ولكننى بت بمفردى ليلة أمس".

"لابد أنه يتألم".

"لا يمكننى أن أجزم بذلك، ولكننى أعتزم النوم بمفردى طوال فترة بقائى فى أنجيل فست".

نحت جوانى إناء مخيض اللبن والبيض جانبا، قائلة: "ألا تحبين العلاقات الرومانسية؟".

"بل أحبها" قالتها وهى تتحرك نحو الحوض لكى تغسل يديها، ثم أضافت: "ولكنها ليس فى جدول أعمالى فى الفترة الحالية".

"لابد أنه يضم قائمة قصيرة حزينة إذن. هل تعرفين كيف تعدين فطائر الهوفو؟".

"نعم".

"إنها من مأكولات يوم الأحد الشعبية، وكذلك فطائر الفابجاكس. هيا ابدئى بقلى شطائر اللحم والسوسيس. سوف تصل أول دفعة زبائن الآن؟".

قبل موعد الظهيرة بقليل، دفعت جوانى بطبق يحتوى على قطعة خبز وبيض مخفوق وشطيرة من اللحم إلى ريسى، قائلة: "هيا خذى هذا الطعام إلى الغرفة الخلفية وتناوليه هناك".

"ولكنه يكفى شخصين".

"أجل إن كان كلاهما يفتقد الشهية".

" ولكننى لست كذلك"، ثم دفعت قطعة من البيض فى فمها بالشوكة لكى تثبت لها ذلك.

"هيا اذهبى إلى مكتبى واجلسى هناك. لديك عشرون دقيقة".

كانت قد رأت المكتب، كانت كلمة غرفة أكبر حجما كثيرا من أن تطلق عليه، فعلقت: "ولكننى لا أحب الأماكن الضيقة".

"أنت تخشين الظلام وكذلك الأماكن الضيقة. أنت حزمة مخاوف مرضية. هيا اجلسى على المنضدة. مازال لديك عشرون دقيقة".

نفذت ما قالته لها جوانى وجلست عند نهاية المنضدة، وبعدها بلحظة، وضعت ليندا جيل كوباً من الشاى بجوارها وغمزت لها.

قالت ليندا جيل وهى تمسح المنضدة وترسل ابتسامة صباحية إلى الرجل الذى جاء وجلس فى المقعد المجاور لـ ريسى: "مرحى أيها الطبيب، طلبك المعتاد؟".

"طبق الأحد المفعم بالكوليسترول يا ليندا جيل. إنه اليوم الذى أتناول فيه ما يحلو لى".

صاحت قائلة بدون أن تزعج نفسها بإعداد تذكرة خاصة بالطلب: "هل وصل الطلب يا جوانى؟".

"هذا هو الطبيب، أيها الطبيب هذه هى ريسى، طاهيتنا الجديدة. ريسى، إليك الدكتور والاس، سوف يعالجك من أى مرض تعانين منه؛ ولكن إياك أن يورطك فى لعب البوكر. فهو لاعب ماهر".

"و الآن، كيف سأترك انطباعا جيدا لدى الوافدين إن كنت تتحدثين عنى بهذا الشكل؟".

استدار الطبيب فوق مقعده وأومأ لريسى، قائلاً: "سمعت أن جوانى قد عينت طاهية ماهرة. كيف حالك؟".

"جيد إلى الآن". كان عليها أن تبذل جهدا وتذكر نفسها أنه لم يكن يرتدى معطفه الأبيض حاملا حقنة. ثم أضافت: "أنا أحب العمل".

"أفضل إفطار فى ولاية وميينج هو إفطار جوانى .لقد أعد الفندق طاولة إفطار ضخمة للسائحين، ولكن الإفطار الشهى الحقيقى يقدم هنا". استقر فى مقعده حاملا قدح القهوة الذى وضعته ليندا جيل أمامه، وهو يقول: "هيا يجدر بك تناول هذا على الفور وهو ساخن".

أخذ ينظر إلى الطعام المقدم فى الطبق وكأنه لغز يسعى لحله. لقد كان طبيب البلدة لما يقرب من ثلاثين عاما، هكذا حكى لها. جاء إلى البلدة وهو مازال شابا صغيرا استجابة لإعلان نشره مجلس البلدة فى صحيفة لارامى، هكذا حكى لـ ريسى وهى تعبث فى الطعام الموضوع فى طبقها.

قال فى نبرة غربية ريفية خالصة: "جئت بحثا عن المغامرة. لقد وقعت فى هوى المكان وهوى فتاة جميلة صاحبة عينين بنيتين تدعى سوزان. لقد ربيت ثلاثة أبناء هنا. أكبرهم أصبح طبيبا الآن . أول عام تدريبى له ـ فى شيوين. أما الابنة الوسطى آنى فقد تزوجت من رجل يعمل مصورا لدى مجلة *National Geographic* . لقد انتقلوا إلى واشنطن العاصمة، وقد أصبح لى حفيد هناك أيضا. أما ابنى الأصغر فهو يجرى دراسات عليا فى الفلسفة فى كاليفورنيا. لا أدرى ما الذى سيفعله بهذه الفلسفة؟ ولكن هذا هو ما يريده. وقد توفيت زوجتى سوزان منذ عامين إثر إصابتها بسرطان الثدى".

"آسفة".

"إنه أمر صعب. صعب بالفعل" قالها وهو يلقى نظرة على خاتم زواجه، ثم أضاف: "مازلت أبحث عنها بجانبى فى الفراش كل صباح. أتوقع دائما أن أجدها ".

"إليك طلبك أيها الطبيب". وضعت ليندا جيل طبقاً أمامه، وغرق كلاهما فى الضحك عندما أخذت ريسى تحدق فيه، قالت ليندا جيل قبل أن تنصرف: "كما أنه سيلتهمه بالكامل أيضا".

كان الطبق يحتوى على قطعة كعك وبيض مخفوق وشريحة سميكة من الهمبرجر وكمية كبيرة من البطاطس المحمرة وثلاث قطع سوسيس.

"هل تستطيع بحق أن تتناول كل هذا الطعام؟".

"هيا راقبى وتعلمى أيتها الفتاة الصغيرة. راقبى وتعلمى".

فكرت ريسى: يبدو فائق اللياقة فى قميصه مربع الشكل وسترته الصوفية الأنيقة. بدا لها شخصا يتناول الطعام الصحى ويمارس الرياضة بانتظام. كان وجهه غير ممتلئ وضاربًا إلى الحمرة كما أنه كان يملك عينين عسليتين تختفيان وراء نظارته ذات الإطار المعدنى.

ومع ذلك فقد التهم هذا الكم الهائل من الطعام وكأنه مدرب على ذلك.

سألها: "هل لديك أسرة فى موطنك؟".

"أجل، لدى جدتى فى بوسطن".

"و هل تعلمت الطهى هناك؟".

لم تستطع أن تمنع نفسها من مراقبة الطعام وهو يختفى.

"أجل، كانت نقطة بدايتى هناك، ثم التحقت بمعهد كولينارى فى نيو إنجلند بفرمونت، ثم قضيت عاما فى باريس فى كوردون بلو".

عقد الطبيب حاجبيه وهو يقول: "معهد كولينارى، وباريس، ياللهول!".

"معذرة؟" أدركت منزعجة بأنها قالت فى دقيقتين أكثر مما كانت لتقوله لأى شخص آخر فى أسبوعين، فاستدركت قائلة: "يبدو أننى بالغت قليلاً فى واقع الأمر، يجدر بى الآن العودة إلى العمل. سعدت بالتعرف عليك".

واصلت ريسى عملها طوال نوبة الغداء، ومع حلول موعد انصرافها كان باقى اليوم مازال ممتدا لديها من العصر حتى المساء، لذا قررت الخروج فى جولة سيرا على الأقدام. يمكنها أن تدور حول البحيرة، بل وربما سبر أغوار الغابات والمجارى المائية. يمكنها أن تلتقط صورا وترسلها بالبريد الإلكترونى إلى جدتها، ويمكنها أن تهدئ أعصابها فى الهواء المنعش وبممارسة رياضة المشى.

ارتدت حذاء السير، وأعدت حقيبتها كما هو منصوص عليه فى

كتيبها الخاص برحلات السير لمسافة تقل عن عشرة أميال، وهناك وجدت، مرة أخرى، بقعة بالقرب من البحيرة يمكنها أن تجلس عندها لقراءة الكتيبات التى كانت قد أخذتها من الفندق.

سوف تخصص وقتا يوميا . هكذا قررت . للخروج من البلدة إلى المتنزه، بل وربما للتوجه إلى الجزء الخلفى من البلدة. كانت تفضل البقاء فى الخارج. إذ كانت تشعر أنها دائما فى حال أفضل عند تواجدها فى الأماكن المفتوحة.

عندما تأخذ أول يوم عطلة كامل لها، سوف تسلك أسهل الطرق للصعود لرؤية النهر؛ ولكنها الآن سوف تكتفى بتطبيق نصيحة دليلها وارتداء حذائها العالى للقيام بجولة.

بدأت تسير فى تؤدة. كان هذا . على الأقل . هو إحدى مميزات حياتها الآن. كانت نادرا ما تشعر بحاجة إلى التعجل. كان بوسعها أن تفعل ما تود عمله بالسرعة التى تناسبها وفى الوقت الذى يناسبها. لم تكن تمنح نفسها أبدا هذه الميزة من قبل، فعلى مدى الشهور الثمانية الماضية، رأت وفعلت ما يفوق سنوات عمرها الثمانى والعشرين. ربما كانت مجنونة بعض الشىء، عصبية، مريضة بالخوف والتوجس ولكنها نجحت فى ملء بعض فراغات حياتها ثانية كما أنها استطاعت أن تلملم بعض أشلائها من جديد.

إنها لن تستعيد نفسها ثانية بالكامل، لن تعود ثانية تلك الفتاة الطموحة، الصاخبة، المتمدينة؛ ولكنها اكتشفت أنها تحب أى شكل تسعى لاكتسابه الآن. لقد أصبحت الآن أكثر قدرة على الالتفات إلى التفاصيل التى كانت تغيب عنها فيما قبل. لعبة الضوء والظلال، صوت خرير الماء، استشعار تلك الأرض الإسفنجية تحت قدميها.

كان بوسعها الآن أن تتوقف حيث هى، فى الحال، لكى تراقب مالك الحزين وهو يعلو فى هدوء السحاب من البحيرة. لكى تراقب الأمواج الرقيقة وهى تعلو صفحة الماء وتزداد اتساعا إلى أن تصل إلى أطراف مجداف طفل صغير داخل زورقه الأحمر.

تذكرت أنها تحمل آلة تصوير فى وقت متأخر لالتقاط صورة مالك الحزين، ولكنها التقطت صورة الطفل الصغير وزورقه الأحمر والماء الأزرق وانعكاس الجبال الرائع على صفحة الماء.

أخذت تفكر فى نفسها وهى تعاود سيرها ثانية: سوف أدون تعليقا صغيرا على كل صورة من هذه الصور. إن هذا سوف يشعر جدتها أنها كانت جزءاً من الرحلة. كانت ريسى تدرك تماما أنها خلفت حالة من القلق وراءها فى بوسطن، ومع ذلك كان كل ما بوسعها عمله هو إرسال رسائل إلكترونية وإجراء مكالمات هاتفية من آن إلى آخر لكى تعلم جدتها بمكان تواجدها وكيف تسير أمورها.

ومع هذا فإنها لم تكن تصدقها القول دائما بشأن حقيقة حالها.

كانت هناك منازل وكبائن متناثرة حول البحيرة وكان أحدهم . كما رأت . يقيم شواء يوم الأحد. كان اليوم مناسبا تماما لذلك، مناسبا للدجاج المشوى وسلاطة البطاطس وقطع الخضر والشاى المثلج والجعة الباردة.

رأت كلبا يركض فى الماء خلف كرة زرقاء، بينما كانت فتاة تقف على الشاطئ تضحك وتشجعه. عندما أمسك بالكرة وعاد إلى الشاطئ أخذ يهز جسمه فى جنون وهو يغمرها بالماء الذى انعكس عليه ضوء أشعه الشمس، وأخذ يتلألأ وكأنه حبات الماس.

كان نباحه ينم عن شعور محموم بالسعادة عندما قذفت الكرة ثانية واندفع هو ثانية إلى الماء لكى يعيد الكرة.

استخرجت ريسى زجاجة الماء وأخذت تحتسيه وهى تسير مبتعدة عن البحيرة.

قد تقابل غزالا أو حيوان الموظ أو حتى ظبيا، ربما تلتقى بنفس الحيوان الذى رأته فى الصباح، إن ظلت محتفظة بهدوئها، يمكنها أن تواجه كل ذلك ما عدا الدب الذى كانت تشير كل الكتب والأدلة إلى أنه يقطن غابات هذه المنطقة إلا أنه يسعى للفرار دائما فور استشعار وجود إنسان على مقربة منه.

كان كل ما تعرفه أن الدب سوف يعكر صفو يومها.

لذا عليها أن تتوخى الحذر، إنها لن تبتعد كثيرا، وبالرغم من أنها تحمل بوصلتها إلا أنها سوف تبقى ملتزمة بالسير فى الطريق.

فكرت فى نفسها: إن المكان أصبح بارداً هنا. إن الشمس لا يمكن أن تصل إلى هذه المستنقعات والجيوب الثلجية كما أن الماء المنساب فى المجرى الصغير الذى عبرته يجب أن يدفع نفسه لاختراق الكتل الثلجية.

سارت متتبعة مجرى الماء وهى تصغى لصوت الجليد وهو يذوب شيئا فشيئا. عندما وجدت ريسى المزيد من المسالك شعرت بسعادة غامرة. ولكن أى نوع من المسالك؟ وإلى أى شىء تؤدى؟ أخذت تتساءل. دفعتها رغبتها فى المعرفة إلى استخراج كتيبها من جيبها.

ولكن صوت الحفيف استوقفها، وجعلها تتجمد فى مكانها وتنظر فى اتجاه الصوت. كان لقاءً مفاجئاً، ليس بالنسبة لريسى وحدها ولكن للغزال أيضا، ولكن كليهما وقف يحدق إلى الآخر فى حالة من الشعور بالصدمة المتبادلة فى لحظة سادها الصمت التام.

فكرت: لابد أننى أسير فى اتجاه الرياح، أم عكس اتجاه الرياح؟ حينما حركت يدها ببطء لالتقاط آلة التصوير، ذكرت نفسها بوجوب تبين هذا الأمر. نجحت فى التقاط صورة كاملة ثم ضحكت فى ابتهاج مما جعل الغزال يلوذ بالفرار بعيدا عنها.

همست فى نفسها وهى تراقبه وهو يفر من التواصل البشرى: "أتفهم هذا الشعور؟ إن العالم يموج بالأشياء المخيفة".

دست آلة التصوير الصغيرة فى جيبها، وعندها أدركت أنها لم تعد تسمع نباح الكلب، وأى هدير للسيارات على الطريق الرئيسى للبلدة. لم يترام إلى مسامعها إلا صوت النسيم الرقيق وهو يهز الأشجار وكأنه يبحر فى صمت، وهسيس الفقاعات والغطس فى الماء.

"ربما يجدر بى أن أعيش فى الغابة، وأن أبحث لنفسى عن كبينة منعزلة وأزرع بعض الخضراوات. يمكننى أيضا أن أصبح نباتية"، هكذا فكرت وهى تثب وثبة سريعة فوق المجرى المائى الضيق. "حسنا، ربما لن أكون بحاجة إلى هذا. يمكننى أن أتعلم الصيد. يمكننى وقتها أن أشترى جهاز تشغيل أسطوانات وأزور البلدة مرة واحدة شهريا لشراء احتياجاتى".

بدأت تتصور ذلك وترسم صورة فى رأسها. لن أسكن فى مكان يبعد كثيرا عن الماء أو بمنأى بعيد داخل الجبال. سوف يكون المنزل زاخرا بالنوافذ وكأننى أعيش فى الخارج.

"يمكننى أن أبدأ وقتها عملى الخاص؛ مشروع طهى منزلى. أقضى يومى فى الطهى وبيع المنتجات. يمكننى أن أستعين بشبكة الإنترنت فى التسويق، ولم لا؟ سوف أبقى وقتها ملازمة للمنزل، وأضيف إلى قائمة مخاوفى الخوف المرضى من الخروج".

كلا، سوف تعيش فى الغابة. هذا جيد. ولكنها سوف تعمل فى البلدة. يمكنها أن تبقى فى عملها هذا، لدى جوانى.

"امنحى نفسك بضعة أسابيع، هذا هو أفضل شىء. انظرى كيف ستسير الأمور. سوف أغادر الفندق، هذا مؤكد. إن هذا الفندق لن يجدى طويلا. ولكن إلى أين، هذه هى المشكلة. ربما يمكننى أن أبحث لدى ـ".

صاحت، تعثرت إلى الوراء وكادت تسقط على مؤخرتها.

كان بوسعها أن تتحمل مقابلة غزال وجها لوجه ولكن التعثر فى رجل ممدد فوق أرجوحة شبكية وكتاب ذى غلاف ورقى على صدره.

لقد سمع وقع أقدامها. من الصعب ألا يكون قد سمعه وهى تدير حوارا مع نفسها. توقع أن تعود أدراجها فى اتجاه البحيرة، ولكنها بدلا من ذلك سارت متجهة نحو أرجوحته وهى تركز بصرها على أطراف حذائها العالى البالى. لذا نحى كتابه جانبا لكى يراقبها.

أخذ يفكر: هل هى سيدة من المدينة تسعى لشق طريقها فى البرية. إنها تضع على ظهرها حقيبة الرحلات وحذاء عاليا وجينز ماركة لفيز باليا بعض الشىء، كما أنها تحمل زجاجة ماء.

هل هذا هو هاتفها المحمول الذى يتدلى من جيبها؟ من الذى ستتصل به بحق الله؟

كانت قد دفعت شعرها إلى الوراء وعلقت ذيله عبر الفتحة الخلفية للسترة السوداء التى كانت ترتديها. كان وجهها شاحبا وعيناها واسعتين وذاهلتين ذات لون بنى أسبانى غنى.

"هل ضللت الطريق؟".

"كلا. نعم، كلا". أخذت تتلفت حولها وكأنها وفدت لتوها من كوكب آخر. "كنت فقط أتجول، لم أدرك أننى، لابد أننى اخترقت ملكيتك".

"لابد أنك فعلت. أتودين أن تبقى هنا لدقيقة إلى أن أذهب لإحضار مسدسى".

"كلا فى واقع الأمر. هل هذه هى كبينتك؟ أظن ذلك".

"أصبت".

"إنها لطيفة". أخذت تتفحصها للحظة، بنيتها البسيطة، الأريكة الممتدة المكسوة والمقعد الواحد والمائدة الواحدة. هذا شىء جميل. قالت: مقعد واحد ومائدة واحدة.

"إنه مكان خاص "، ثم أضافت قائلة: "أنا آسفة".

"إننى أحب الخصوصية".

"أعلم أنك تدرك ما أعنيه" أخذت نفسا عميقا، وأخذت تفتح وتغلق غطاء زجاجة الماء. كانت تشعر بارتياح أكبر وهى تتعامل مع الغرباء. أما نظرات الشفقة والقلق التى كان يرميها بها كل من يعرفها فإنها لم تكن تتحملها.

"أنت تفعل ذلك ثانية، تحدق فى. هذه فظاظة".

رفع أحد حاجبيه. لطالما أعجبت بهذه الحركة وكأن الحاجب الواحد يملك مجموعة عضلية منفصلة تحركه، ثم مال إلى أسفل وفتح زجاجة مياه، قائلا: "من الذى يقرر التصرفات الفظة وغير الفظة؟ وهل يختلف هذا من ثقافة إلى أخرى؟".

"إنها (ج.ص.ف)".

لم يستغرق سوى دقيقة واحدة وأجاب قائلا: "جمعية التصدى للفظاظة؟ كنت أظن أنها قد حُلت".

"كلا، مازالوا يواصلون عملهم، فى أماكن سرية".

"لقد كان جدى الأكبر عضوا فى هذه الجمعية، ولكننا لا نثير هذا الأمر كثيرا لأننا نرى أنه كان أحد الحمقى".

"حسنا، هذا أمر يحدث فى كل العائلات والجماعات. سوف أتركك لاستكمال قراءتك".

تراجعت خطوة إلى الوراء، وأخذ هو يناقش نفسه ما إن كان يجدر به أن يعرض عليها مشاركته الشراب. بما أن هذا التصرف سوف يكون بمثابة سابقة من نوعها فقد قرر أن يمتنع عنه وعندها سمع صوت ارتطام حاد فى الهواء.

لقط سقطت فى الوحل ومدت يدها لكى تغطى وجهها وكأنها جندى فى خندق.

كان رد فعله الأول هو الشعور بالدهشة. هؤلاء هن فتيات المدينة، ولكنه أدرك عندما بقيت بلا حراك أو صوت أن الأمر كان يتخطى ذلك. نهض من فوق أرجوحته ووقف على الأرض.

قال فى بساطة: "إنها شاحنة كارل سمسون. إنه صوت المكبح".

"صوت المكبح".

استطاع أن يسمعها وهى تهمس وتعيدها مرارا وتكرارا وهى ترتجف.

"أجل، هذا صحيح". مد إحدى يديه وثبتها على كتفها لكى تكف عن الارتجاف فبدأت تنكمش وتتجمد.

"لا، لا تلمسنى. لا تلمسنى. لا. أنا فقط أحتاج إلى دقيقة".

"حسنا". عاد أدراجه لكى يلتقط زجاجة الماء التى طاحت من يدها عندما سقطت على الأرض. "هل تريدين هذه؟ زجاجتك؟".

"أجل. شكراً". أخذت الزجاجة ولكن أصابعها المرتجفة لم تنجح فى فك الغطاء. بدون أن يتفوه بكلمة، استعاد برودى الزجاجة من بين يديها وفتح الغطاء وأعاده إليها.

"أنا بخير. لقد أخذت على حين غرة، هذا كل ما فى الأمر".

فكر فى نفسه: أخذت على غرة، هذا لا يصدق.

"ظننت أنه إطلاق نار".

"سوف تسمعين هذا أيضا. هذا هو ما يحدث فى هذا الفصل، إنهم يخرجون للصيد. أنت هنا فى البرية أيتها النحيفة".

"بالطبع، بالطبع يفعلون. سوف أعتاد على ذلك".

"عندما تخرجين للتنزه فى الغابات أو المرتفعات، عليك بارتداء ملابس زاهية، مثل اللون البرتقالى أو الأحمر".

"أنت محق، بالطبع، أنت محق. سوف أحرص على ذلك فى المرة

القادمة".

بدأ وجهها يستعيد لونه الطبيعي بعض الشيء، كان هذا بسبب ما اعتراها من حرج، كما تراءى لـ برودى. حتى عندما نهضت على قدميها كانت مازالت متهدجة الأنفاس. حاولت بيد مرتجفة أن تزيل ما علق بملابسها.

"ها قد اكتمل الجانب المثير من برنامجك. استمتعى بباقى يومك إذن".

"هذا ما أنتويه بالفعل". لو كان أكثر دماثة فى الخلق لأصر على أن تستريح قليلا، أو لأصر على مرافقتها للعودة إلى البلدة. ولكنه لم يكن كذلك.

ظلت تواصل سيرها ثم أبطأت سرعتها لكى تلقى نظرة من فوق كتفها. " أنا ريسى بالمناسبة".

"أعلم".

"حسنا. أراك قريبا".

فكر برودى : يصعب تناسيها، حتى بالرغم من أنها تسير ناكسة العينين. امرأة غريبة الأطوار صاحبة عينين واسعتين. ولكنها جميلة رغم ذلك بل إنها يمكن أن تكون مثيرة أيضا إن أضافت عشرة أرطال إلى وزنها.

ولكن هذه الغرابة هى التى كانت تثير حيرته. كان يعجز عن مقاومة رغبته فى فهم الدوافع التى تجعل أى شخص يتصرف على نحو غريب. وفى حالة ريسى جليمور تصور أن هناك عدة أشياء تعتمل بداخلها.

أبقت ريسى عينيها مثبتتين على البحيرة . الأمواج الرقيقة والبجع والقوارب. سوف تقطع مسافة طويلة حول المنحنى ولكن هذا سوف يمنحها وقتا لاستعادة رباطة جأشها والتخلص من شعورها بالحرج.

كانت هذه المشاعر قد تحولت بالفعل إلى صداع أصاب رأسها ولكنها كانت على ما يرام، لا بأس. إن لم يتراجع الألم من تلقاء نفسه، سوف تتناول دواء عندما ترجع إلى الفندق.

ربما كان هناك شىء من الاضطراب فى معدتها ولكن الأمر لم

يكن سيئا. لم تكن حالتها سيئة للغاية.

ليتنى كنت بمفردى عندما أصدرت الشاحنة هذا الصوت المدوى. بالطبع، لو كانت بمفردها ربما كانت قد بقيت مكومة فوق الأرض إلى الآن.

لقد كان برودى على الأقل أمرا واقعا دفعها لتمالك نفسها. إليك الماء، هيا تمالكى نفسك. كان هذا أسهل كثيرا من نظرات الشفقة والتربيت والقيل والقال.

وبما أن الشمس كانت تؤذى نظرها، أخذت تبحث فى حقيبتها عن نظارتها الشمسية. أمرت نفسها بأن تبقى رأسها مرفوعا، وأن تسير بسرعة طبيعية. حتى أنها نجحت فى التبسم فى وجه شخصين كان يتنزهان بطول البحيرة ورفعت يدها لرد التحية على أحد سائقى السيارات المارة على الطريق عندما وصلت، أخيرا وبعد عناء إلى الطريق الرئيسى.

كانت الفتاة . لم تنجح ريسى فى تذكر اسمها من رأسها المشحون . تجلس على المكتب ثانية داخل الفندق. ابتسمت فى وجه ريسى، وسألتها عن أحوالها وإن كانت قد استمتعت برحلتها. كانت ريسى تعلم أنها ردت عليها ولكن كل كلماتها خرجت مقتضبة وكاذبة.

كانت تريد أن تأوى إلى غرفتها.

صعدت الدرج وبحثت عن المفتاح ومالت قبالة الباب عندما ولجت بداخل الغرفة.

ما إن تفقدت الأقفال . مرتين . وتناولت الدواء، حتى انكمشت فى سريرها فى كامل ملابسها، وهى مازالت ترتدى نظارتها وحذاءها العالى.

أغمضت عينيها وتظاهرت أنها تستسلم لإجهاد طبيعى.

٤

هبت عاصفة ثلجية ربيعية وأسقطت ثمانى بوصات من الثلج السميك، وأحالت البحيرة إلى قرص رمادى صلب. كان بعض السكان المحليين يشقون طريقهم فوق الماء بالمراكب الزلاجة بينما احتشد الأطفال فى جماعات غير محددة الشكل فى ملابسهم الشتوية وهم يسرون عن أنفسهم بنحت تماثيل من الثلج على حافة البحيرة.

كان لينت ـ صاحب الكتف العريض والوجه المغطى بواقٍ جلدى ـ يقتطع فترات استراحة بين نوبات النقل على الجليد بإعادة ملء زجاجته الحافظة للحرارة بالقهوة لدى جوانى والشكوى من حالة المناخ.

كانت ريسى نفسها قد شعرت بسوء الحالة الجوية وهى فى طريقها إلى العمل فى الصباح. كان الهواء فى الصباح يثير البحيرة، وينثر الثلوج لترتطم بالمارة.

كانت الرياح تضرب النوافذ وتعوى وكأنها إنسان يتعرض لجريمة قتل. عندما انقطعت الكهرباء، ارتدت جوانى نفسها معطفها وحذاءها العالى لكى تخرج وتدير مولد الكهرباء.

كان هدير المولد ينافس عواء الرياح وصوت الرعد الصادر من مركب لينت الزلاج مما دفع ريسى للتساؤل لمَ لا يجن جنون كل أم تتعرض لضوضاء الأبناء بشكل متواصل.

ولكن هذا المناخ لم يحل دون توافد الزبائن على المطعم. أغلق لينت مركبه، وجاء ليستقر داخل المطعم ويتناول حساء اللحم الساخن. وهرع كارل سمبسون. بخده الذى أصيب بالاحمرار جراء الهواء البارد. ليجلس مع لينت ويتناول رغيف اللحم وبقى جالسا لتناول قطعتين من فطيرة التوت.

كان البعض يأتى وينصرف، والبعض الآخر يأتى ويبقى جالسا. كان الجميع يبحث عن الطعام والصحبة، وكانت هى تتفهم هذا جيدا. إن هذا التواصل البشرى والطعام الدافئ يشعر الشخص بأنه ليس وحيدا، بينما كانت تشوى وتقلى وتغلى وتقطع، كانت هى الأخرى تشعر بأنها أكثر استقرارا فى ظل همهمة الأصوات المتوالية.

و لكن كل هذه الأصوات وكل هذا التواصل سوف يختفى بمجرد أن تنهى نوبتها فى العمل.

وما إن تذكرت غرفتها فى الفندق، أدركت أنها يجب أن تمر على المتجر فى فترة الاستراحة لشراء بطاريات لكشافها الضوئى، فقط لكى يكون جاهزا تحسباً لأى ظرف طارئ.

قال لها ماك وهو يمد لها يده بالبطاريات التى طلبتها: "لابد أنها كرة الشتاء الأخيرة، يجب أن نعيد طلب بطاريات. لدينا طلب متزايد عليها، كما أن الخبز والبيض واللبن أوشكت أيضا على النفاد. لا أدرى ما سر تكالب الناس على شراء الخبز والبيض واللبن فى أوقات العواصف؟".

"أعتقد أن هذا يمكنهم من إعداد الخبز الفرنسى الجاف".

ارتسمت ابتسامة خاطفة متكلفة على وجهه، قائلاً: "قد يكون هذا هو السبب. كيف حالك مع جوانى؟ إننى لم أذهب إلى هناك ثانية منذ آخر مرة. إننى أحب أن أطمئن دائما على أحوال المتاجر فى مثل هذه الأوقات. هذا من صميم واجبى باعتبارى عمدة هذه البلدة".

"المولدات تؤدى المهمة، وهذا يعنى أن الجميع يواصلون أعمالهم. وأنت كذلك أيضا".

"أجل، أنا لا أحب إغلاق أبواب متجرى، كما أن لينت يتولى مهمة التوصيل وسوف تعود الكهرباء بعد ساعتين. لقد تحققت من ذلك، كما أن العاصفة سوف تنتهى".

ألقت ريسى نظرة على النوافذ، قائلة: "حقا؟".

"بحلول وقت عودة الكهرباء، سوف تكون قد ولت. سوف ترين. إن المشكلة الحقيقية الوحيدة التى نجمت عن هذه العاصفة هى سقوط سقف كلانسى، ولكنه خطؤه هو على أية حال. لقد كان بحاجة إلى إصلاح وهو الذى توانى. أخبرى جوانى بأننى سوف أمر لتفقد بعض الأمور ما إن تسنح لى الفرصة.

وبعد ما يزيد عن ساعة واحدة بقليل، صدقت نبوءة ماك. أخذت الرياح تهدأ شيئا فشيئا إلى أن تلاشى عواؤها المخيف. وقبل مرور ساعة أخرى، بدأت الخزانة الموسيقية . التى رفضت جوانى أن تديرها بواسطة مولد الكهرباء . تصفر ثانية إلى أن استعادت طاقتها، وتغنت بإحدى أغانى دولى برتون.

وبعد انقضاء وقت طويل على هطول الثلوج الكثيفة وخفوت الرياح الشديدة، رأت ريسى السحب الكثيفة فوق الجبال. كانت هذه السحب . فى نظرها . تضفى بصرامتها على الجبال طاقة باردة متحفظة.

شعرت بالامتنان لأنها كانت تقف فى ذلك الوقت فى دفء غرفتها داخل الفندق لتراقبها من بعيد.

كانت ريسى تخلط أنواع المرق ببعضها البعض حسب وصفة جوانى، كانت تشوى أطنانًا وأطنانًا من اللحم والدجاج والسمك. ومع نهاية كل نوبة عمل كانت تحصى نصيبها من البقشيش، وتضعه فى مظروف وتدسه داخل حقيبتها.

كانت جوانى أحيانا أثناء نوبة عملها ليلا أو نهارا تضع لها طبقا من الطعام. كانت ريسى عندما تجلس فى أحد جوانب المطبخ فى الوقت الذى كان اللحم ينضج فيه على الشواية وخزانة الموسيقى تدور والزبائن يتبادلون أطراف الحديث.

بعد مرور العاصفة بثلاثة أيام، كانت ريسى تعد الحساء عندما عاد لو ثانية. أصدر صوتا وهو يستنشق هواء المطبخ ويقول "هناك رائحة شهية".

"إنه حساء (الترتية)"، كانت قد نجحت أخيرا فى إقناع جوانى بإعداد إحدى وصفاتها هى. أكملت: "إنه حساء شهى، هل تود تذوقه؟".

"لقد كنت أعنيك أنت ولكن لا يمكن أن أرفض عرضا كهذا".

أعطته إناء حساء كانت قد أعدته للتقديم، ثم مدت يدها لتعد إناء آخر. وقف وراءها هو الآخر ومد يده، كانت حركة تقليدية معروفة دفعتها هى الأخرى لاتخاذ خطوة جانبية معروفة هى الأخرى لتفاديه. "إن والدتك عادت إلى مكتبها إن كنت تود رؤيتها".

"سوف أحادثها قبل أن أنصرف من هنا. لقد جئت لأراك أنت".

"حقا؟!"ملأت الإناء التالى، ونثرت الجبن المقشور فوقه وقطع (الترتية) التى كانت قد قلَتْهَا. لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير؛ كيف كان يمكن أن يكون الإناء أفضل مذاقا بإضافة بعض قطع الـ "سيلانترو" الطازج. وهى تضع الإناء فى الطبق المخصص له بجوار قطع الخبز وقطعتين من الزبد استدارت ووضعت الطبق فى دوره للتقديم. صاحت قائلة: "ها هو الطلب"، ثم التقطت التذكرة التالية.

ربما يمكنها أن تحادث جوانى بشأن الـ "سيلانترو" وغيره من

أنواع الأعشاب الأخرى. ربما بعض الطماطم الجافة والـ"أرجولا". لو كان بوسعها فقط أن ـ

سألها لو: "مرحى، إلى أين ذهبت؟ هل يمكنك أن تلتفتى إلىّ قليلا؟".

"ماذا؟ عفوا، هل قلت شيئا؟".

شعر بشىء من خيبة الأمل ممزوج بالدهشة. كان لها أن تتصور ذلك، إنه رجل لم يعتد أن تتجاهله امرأة. إنه ابن صاحبة العمل، هكذا ذكرت نفسها، فمنحته ابتسامة سريعة، قائلة: "هذا يحدث لى كثيرا أثناء الطهى".

"أظن ذلك، ولكن العمل هادئ اليوم".

"ولكنه مع ذلك متواصل"، ثم بدأت تعد شطيرة برجر بالجبن والسلاطة، وبقيت فى حركة مستمرة لإعداد طلبين آخرين من البطاطس المحمرة.

"يا إلهى! إنه شهى"، ثم ارتشف المزيد من الحساء.

"شكراً. أرجو أن تخبر المديرة بذلك".

"سوف أفعل. لقد راجعت الجدول يا ريسى، وعرفت أنك لن تعملى الليلة".

أومأت لـ بيتى عندما عاد الرجل الضئيل المسئول عن غسل الصحون من فترة استراحته، قائلة: "همممم".

" فكرت أنك قد تودين الذهاب إلى السينما".

"لم أكن أعلم أن هناك دارًا للسينما هنا".

"ليس هناك دار بالفعل، ولكننى أملك أفضل مجموعة أفلام فى "وومينج" الغربية، كما أننى أجيد إعداد الفشار أيضا".

"أنا لست مندهشة". ذكرت ريسى نفسها ثانية؛ ابن صاحبة المطعم، لذا يجب أن تحرصى دائما على الموازنة بين الرفض وروح الود، فقالت: "هذا عرض لطيف يا لو ولكن مازال أمامى أشياء كثيرة يجب أن أعتنى بها الليلة. هل تريد قطعة خبز مع الحساء؟".

"ربما"، ثم اقترب منها أكثر بدون أن يزعجها وهى على الشواية، قائلاً: "تعلمين يا عزيزتى، سوف تحطمين قلبى إن

واصلت رفضك لكل عروضى".

ردت برقة وهى تضع الطلبات فوق الشواية، قائلة: "أشك فى ذلك"، ثم أحضرت له رغيف خبز وطبقًا، وقالت محذرة: "أنت لا تريد أن تقترب من الشواية أكثر من ذلك، قد تتسخ ملابسك بالدهون".

بدلا من أن يحمل طبق الحساء خارجا من المطبخ كما تمنت، عاد ثانية ليجلس على منضدة المطبخ، قائلاً: "إن قلبى رقيق للغاية".

قالت له: "هذا يعنى أنك يجب أن تبقى بمنأى عنى، فأنا محطمة القلوب. لقد تركت ورائى بطول الطريق إلى بوسطن قلوباً دامية جريحة. أنا مريضة".

"قد أكون أنا علاجك".

نظرت إليه عندها. يا له من وسيم جذاب! ربما كان يروق لها فى الماضى أن يلاحقها شاب مثله لبعض الوقت؛ ولكنها لم تكن الآن تملك طاقة للمناورة،فقالت: "هل تريد أن أصدقك القول؟".

"هل سيكون هذا مؤلما؟".

أضحكها رده، فقالت: "أنا معجبة بك، ولكنى أفضل أن أبقى كذلك. أنت ابن صاحبة العمل هنا مما يجعلك أهم ثانى شىء بالنسبة لى؛ غير أننى لا أقيم علاقات رومانسية مع صاحب العمل، وهذا يعنى أننى لن أقيم علاقة معك أنت أيضا؛ ولكننى أشكرك على عرضك".

أشار قائلاً: "أنا لم أطلب منك إقامة علاقة رومانسية بعد".

"إننى فقط أوفر وقتى ووقتك".

"ربما تطردين من العمل أو ربما تتبرأ منى أمى".

عندما أصدرت المقلاة أزيزا، تركت البطاطس تجف فى السلة بينما كانت تنهى إعداد بعض الشطائر. "أنا لا أتحمل أن أفصل من عملى كما أن والدتك تحبك".

أنهت إعداد الطلبات ووضعتها فى صف التقديم. وقالت: "والآن اخرج من هنا، واجلس على المنضدة وتناول حساءك. هيا انطلق".

ابتسم لها، قائلاً: "أنت قوية الشخصية، تعجبنى المرأة القوية".

ولكنه استجاب لها وخرج عندما شرعت هى فى مطالعة تذكرة الطلب التالى.

قال لها بيتى الذى كان مازال يتحدث بنبرة أهل بونيكس رغم انتقاله منذ ثمانى سنوات للعيش فى وومينج: "سوف يحاول ثانية، إنه لا يستطيع أن يمنع نفسه".

شعرت بشىء من الضيق والسخونة، فقالت: "ربما كان يجدر بى أن أقول له إننى متزوجة أو شاذة جنسيا".

"لقد تأخرت كثيرا. الأفضل أن تخبريه بأنك وقعت فى غرامى أنا"، قالها بيتى وهو يرميها بابتسامة كشفت عن الهوة بين سنتيه الأماميتين.

ضحكت ثانية، قائلة: "لمَ لم يخطر هذا الأمر على بالى؟".

"لم يخطر على بال أحد، لذا يمكن أن تنجح الحيلة".

دخلت جوانى ودست شيكا فى جيب مريلة بيتى وسلمت لـ ريسى شيكا مثله، قائلة: "إنه يوم دفع الرواتب".

"شكرا" واتخذت ريسى قرارا فى الحال: "هل يمكنك أن ترينى الشقة العلوية، إن كانت مازالت شاغرة".

"هل رأيت شخصا انتقل للعيش فيها؟ تعالى إلى مكتبى".

"أنا بحاجة إلى ـ"

تركت ريسى بلا خيار، وهناك فتحت جوانى خزانة حائط ضحلة مغطاة بصورة لراعى بقر يقود حصانه. كانت هناك مجموعة كبيرة من المفاتيح معلقة. التقطت جوانى واحدا من بينها وأعطته لـ ريسى، قائلة: "هيا اصعدى وألقى نظرة".

"ولكنه ليس وقت راحتى".

أشارت جوانى بيدها آمرة: "أيتها الفتاة، إن وقت الراحة يحين عندما يروق لى. هيا، السلم فى الخلف".

"حسنا، سوف أعود بعد عشر دقائق".

كان الجو باردا بالرغم من سرعة ذوبان الجليد حتى أنها كانت بحاجة إلى ارتداء معطفها. شعرت أنها ممتنة للمعطف لأن السلم كان متداعيا ومفتوحا. فتحت باب الشقة. يبدو أن جوانى كانت مقتصدة إلى حد عدم تدفئة الدور العلوى.

كانت الشقة مؤلفة من غرفة واحدة فى الأساس تضم سريرا حديديا ومنضدة قصيرة تفصل المطبخ الصغير عن باقى المكان. كانت الأرضية من خشب البلوط المرصوص بشكل عشوائى، كما كان مشققا بعض الشىء، بينما كانت الجدران مطلية باللون البيج.

كان هناك حمام يفوق حجمه قليلاً حمام غرفة الفندق، ويضم مرحاضا أبيض اللون وحوضًا معدنيًا قديمًا. كانت بقع الصدأ متناثرة فى مكان الصرف. كانت هناك أيضا بعض البقع الظاهرة على المرآة فوق الحوض، أما القرميد فكان أبيض ناصعًا بحواف سوداء.

كانت الغرفة الرئيسية تضم أريكة متهاوية ذات نسيج مربع ومقعد بذراعين أزرق باهت ومائدتين تحمل كل واحدة منهما مصباحا يبدو أن جوانى كانت قد اقتنتهما من معرض للسلع المستخدمة.

كانت ريسى تبتسم حتى قبلما تستدير جهة النافذة. كانت هناك ثلاث نوافذ تطل على الجبال وكأنها تفتح لها أبواب العالم. كانت الخيوط الأولى لزرقة السماء تناضل لكى تحل محل السحب البيضاء، بينما كانت زرقة البحيرة تزحف على اللون الرمادى.

كان الثليج يذوب وكأنه يتهاوى فى مستنقعات عشوائية الشكل متناثرة فوق عشب الشتاء البنى، وكانت أشجار الصفصاف تبدو كأنها كتلة ممتلئة من الأشواك المثنية بينما كانت أشجار خشب الحور القطنى ترتجف. كانت الظلال قد استقرت فوق قمم الجبال المغطاة بالثلوج بينما كانت السحب تتجمع وتنقشع حتى خُيل إليها أنها رأت وميضا خافتا وكأنه وميض بحيرة بجبال الألب.

كانت البلدة بطرقها الموحلة ومشهدها الأبيض الرائع وكبائنها ريفية الطراز تبدو متناثرة هنا وهناك أسفل منها. من موقع وقوفها شعرت ريسى أنها جزء من هذا المشهد الرائع وهى ما تزال محتفظة بأمانها وانفصالها.

همست قائلة: "سوف أكون سعيدة هنا، سوف أكون فى مأمن هنا".

يجب أن تشترى بعض الأشياء؛ بعض المناشف والأغطية ومستلزمات المطبخ وأدوات التنظيف. تذكرت راتبها الذى كانت تحتفظ به فى جيبها ونقود البقشيش التى كانت تدخرها. يمكنها أن تشترى الأساسيات. قد تكون مهمة مسلية. إنها المرة الأولى التى ستشترى فيه مستلزماتها منذ ما يقرب من عام كامل.

خطوة كبيرة، هكذا فكرت فى نفسها، ثم بدأت فى الحال تعيد التفكير ثانية. هل هى بالفعل خطوة كبيرة، هل هى خطوة متسرعة؟ استئجار غرفة وشراء أغطية. ماذا لو اضطرت للرحيل؟ ماذا لو فصلت من عملها ؟ ماذا لو ـ

همست فى نفسها: "يا إلهى، إننى أعقد الأمور على نفسى فكل هذه التساؤلات تخص الغد. يجب أن أركز فى اللحظة الآنية، هذا هو ما يهم. وأنا الآن، أريد أن أعيش هنا".

بينما كانت تمعن التفكير فيما تحدث به نفسها، انقشعت بعض السحب وتسللت خلالها خصلة من أشعة الشمس.

فكرت فى نفسها؛ هذه علامة كافية. سوف تجرب البقاء هنا، سوف تبقى طالما يروق لها البقاء.

سمعت وقع أقدام على الدرج الخارجى فشعرت بانقباض صدرها. أخذت تتحسس جيبها وتحكم قبضتها حول زر الأمان بينما التقطت مصباح المائدة باليد الأخرى.

عندما فتحت جوانى الباب، أعادت ريسى المصباح إلى المائدة وكأنها كانت تتفحصها.

قالت جوانى: "إنها قبيحة ولكنها تصدر ضوءا جيدا".

"آسفة، لقد استغرقت وقتا أكثر من اللازم. سوف أعود إلى العمل فى الحال".

"لا داعى للعجلة، فالمطعم هادئ و بيك يتولى الشواء. طالما ليس هناك شىء بالغ التعقيد، يستطيع أن يتدبر الأمر بنفسه. هل تريدين استئجار الغرفة أم لا؟".

"نعم، إن كان الإيجار فى متناول يدى. أنت لم تخبرينى أبدا بـ"

جالت جوانى بقميصها ومريلتها الزاخرة بالبقع وحذائها السميك داخل الغرفة بسرعة، ثم ذكرت قيمة شهرية تقل قليلا عن قيمة إيجار غرفة الفندق.

"هذا السعر شامل التدفئة والكهرباء ما لم تسرفى فى استخدامهما. أما إن أردت استخدام الهاتف فسوف تدفعين قيمة المكالمات، وإن أردت طلاء الجدران، فيجب أن تنجزى هذا فى غير ساعات العمل لأننى لا أريد أية ضوضاء أثناء ساعات العمل".

"وأنا أيضا أحب الهدوء، ولكننى أفضل الانتقال فى نهاية الأسبوع. إننى أحب أن أسدد القيمة عند استئجار الغرفة".

"هذا لا يهم طالما أنك سوف تدفعين الإيجار فى موعده. يمكنك الانتقال للعيش هنا من اليوم إن أردت".

"غدا، يجب أن أقتنى بعض الأشياء أولا".

قالت جوانى وهى تجوب بعينيها كالصقر فى أنحاء الغرفة: "اتفقنا. المكان ينقصه هنا بعض الأشياء، ربما لدى بعض الأشياء التى يمكن أن أحضرها هنا. إن كنت بحاجة إلى مساعدة لنقل مقتنياتك، يمكن أن يساعدك بيتى و بيك فى ذلك".

"إننى أقدر لك هذا. كل هذا".

"إن كنت ستبقين على هذا الحال فى عملك، فإن العلاوة فى طريقها إليك".

"شكرا لك".

"ليس هناك داع للشكر على شىء تم الاتفاق عليه مسبقا منذ البداية. أنت تؤدين عملك ولا تثيرين مشاكل، كما أنك لا تطرحين أسئلة أيضا، وأنا لا أدرى ما سبب هذا الصمت، هل أنت إنسانة عديمة الفضول بطبعك أم أنك لا تحبين أن تطرح عليك أسئلة فى المقابل؟!".

"هل هذا سؤال أم عبارة خبرية".

مدت جوانى يدها فى جيب مريلتها حيث كانت ريسى تعلم أنها تحتفظ بلفافة التبغ، قائلة: "ولكنك لست غبية، دعينى أقل لك شيئا. أنت تواجهين مشاكل. أى شخص يستطيع أن يرى ذلك فقط بمجرد أن يقع بصره عليك. أظن أن لديك ما يسمى بالـ (المسائل الخاصة)".

همست ريسى: "هل هذا هو الاسم الذى تطلقونه على هذه المشاكل؟".

"هذا هو ما أراه، وسواء كنت تسعين لحل مشاكلك أو البقاء بمنأى عنها، فهذا شأنك أنت، ولكن إن اعترضت هذه المشاكل طريق عملك، فهذا شأنى أنا. أنت عاملة جيدة، أنت أفضل طاهية عرفتها، وأنا أريد أن أستغل هذه المهارة وخاصة إن تأكد لى أنك لن تفرى هاربة فى إحدى الليالى. أنا لا أحب الاعتماد على الغير. هل يضايقك هذا؟ ولكننى سوف أستفيد من قدراتك وسوف تحصلين على أجرتك فى اليوم المتفق عليه، كما أنك سوف تحصلين على قيمة إيجارية مقبولة لهذه الشقة. سوف تحصلين أيضا على عطلتك المتفق عليها وإن بقيت هنا لشهرين آخرين فسوف تحصلين على علاوة أخرى".

"لن أتركك دون إخطارك مسبقاً. إن كنت أريد الرحيل، فسوف أخبرك قبلها بوقت كاف".

"هذا جيد، والآن سوف أطرح عليك سؤالا مباشرا وسوف أعرف إن كذبت على. هل أنت مُطاردة من قبل الشرطة؟".

قالت ريسى و هى تمرر أصابع يدها فى شعرها وتصدر ضحكة خافتة: "كلا، يا إلهى! كلا".

"تصورت ذلك، ولكن لك أن تعرفى أن البعض هنا يشك فى ذلك. إن أهالى فيست يحبون القيل والقال". صمتت برهة ثم استطردت: "إن لم تكن لديك رغبة فى الإفصاح فهذا شأنك أيضا؛ ولكن قد يكون من المجدى أن تخبرينى حتى أعرف كيف أتصرف عندما يأتى أحدهم بحثا عنك، هل تودين لقاءه أم صرفه عنك".

"لن يأتى أحد بحثا عنى. ليس لدى سوى جدتى وهى تعلم مكانى. أنا لست هاربة من أى أحد". باستثناء نفسى ربما؛ هكذا فكرت فى نفسها.

"حسنا إذن. خذى مفتاح الشقة. لدى مفتاح آخر فى مكتبى. لا تقلقى بشأنى، أنا لن أقرب الشقة من اللحظة التى ستطؤها فيها قدماك؛ ولكن إن تأخرت فى دفع قيمة الإيجار، فسوف أخصمه من راتبك. لا أعذار. فأنا أحفظها جميعا عن ظهر قلب".

"إن كان بوسعى صرف شيك الراتب فسوف أسدد لك ثمن الأسبوع الأول الآن".

"أظن أننا يمكن أن نتعامل بهذه الطريقة. هناك شىء آخر، يمكننى أن أستعين بك فى الخَبز من آن إلى آخر. سوف أمنحك بالطبع مقابلا لذلك. إننى أستخدم مطبخى الخاص فى الخَبز".

"أستطيع أن أفعل ذلك".

"سوف أضع هذا فى الحسبان. حسنا، دعينا نعد الآن قبلما يتسبب بيك فى تسمم أحد الزبائن".

ببأقى الراتب وجزء من نقود البقشيش، سارت ريسى نحو متجر الخردوات. الأساسيات؛ هكذا ذكرت نفسها. الأساسيات ولا شىء أكثر من ذلك. لم يكن هذا شارع نيروبى وهى لا تملك تحمل نفقات أية كماليات.

ولكن يا إلهى، إنها لخطوة كبيرة أن تخرج لشراء ما هو أكثر من جوارب جديدة وبنطال من الجينز. لقد أضاءت هذه الفكرة خطاها إلى أن اجتاحها شعور طيب وأضاءت الحمرة الصحية خديها.

دخلت مسرعة بينما دق الجرس الصغير المعلق فوق باب المتجر. كان هناك بعض المتسوقين عرفت وجوه بعضهم من عملها فى المطعم. قطعة ستيك لحم وحلقات بصل إضافية للرجل الذى يرتدى سترة موحدة اللون فى قسم الأجهزة. دجاج مقلى للطفل الذى كان يتسوق من قسم البضائع الجافة وطبق سلاطة للأم.

أعدت مجموعات من أربع مثلما يفعلون فى المعسكرات، وأخذت تتزود ببعض المستلزمات الموضوعة على أحد أرفف عرض البقالة.

رفعت يدها محيية ماك دروبر وشعرت بالراحة عندما أومأ محييا إياها. كان يروقها كثيرا تبادل الشعور بالمعرفة والارتياح. كان هذا يمنحها شعورا بأن كل شىء طبيعى وعادى. أخذت تبحث عن ملاءات وأغطية. استبعدت اللون الأبيض فى الحال، إنه يذكرها بالمستشفيات. ربما يمكنها اقتناء الأزرق الهادئ بزهوره البنفسيجة متناهية الصغر والملاءة الزرقاء الغامقة. أما بالنسبة للمناشف

فقد راقها اللون الأصفر الذهبى وكأنه شعاع شمس فى الحمام.

حملت أول دفعة من مختاراتها إلى المنضدة.

"هل وجدت لنفسك مكانا للإقامة؟".

"أجل. استأجرت شقة جوانى".

"هذا جيد. هل تحبين أن أفتح لك حسابا جاريا هنا؟".

بدا عرضه مغريا، وخاصة فى الحالة المزاجية التى انتابتها فى ذلك الوقت. كان هذا سيمكنها من شراء كل ما تريده وبعض الأشياء الأخرى التى يمكن أن تدفع ثمنها فى وقت لاحق؛ ولكن هذا من شأنه أن يخترق قاعدة السرعة الصارمة التى فرضتها على نفسها منذ أكثر من ثمانية أشهر.

"لا بأس. لقد قبضت راتبى اليوم. أريد فقط شراء بعض المستلزمات للمطبخ. هذا هو كل ما أحتاج إليه فى الوقت الراهن".

أجرت حسابها سريعا وهى تفحص وتناقش نفسها وتحذف وتنتقى الأساسيات والأكثر أولوية. إنها تريد مقلاة جيدة وغلاية جيدة لإعداد المشروبات. إنها لا تملك الآن القدرة على شراء الأوانى التى كانت تملكها فى يوم من الأيام، كما أنها لا تملك القدرة على اقتناء السكاكين الفاخرة، ولكنها تستطيع أن تتدبر أمرها بما هو أقل.

حتى بعدما حسبت حسبتها وعدلت قائمتها، بقيت تجول ببصرها فى أرجاء المكان كلما دق جرس الباب.

وعندها رأت برودى. لاحظت أنه كان يرتدى نفس السترة الجلدية ونفس الحذاء العالى البالى. بدا وكأنه قد حلق شعره فى اليومين الماضيين؛ ولكن تلك النظرة فى عينيه، تلك النظرة التى كانت توحى إليها بأنه قد سبق وشاهد كل هذا من قبل، كانت تلك النظرة مازالت تلازمه وهو يحدق فيها قبلما يتجه إلى قسم البقالة.

حمدا لله، كانت قد اقتنت كل ما تريده من هذا القسم الخاص بمحتويات الثلاجة وخزانة المطبخ.

دفعت عربة التسوق نحو المنضدة، قائلة: "هذا كل ما أريده يا سيد دروبر".

" حسناً، لن تدفعى ثمن غلاية الشاى. هذه هدية ترحيب من المحل".

"كلا، لست مضطرا لفعل ذلك، شكرا لك".

"هذا متجرى وهذه هى قواعدى"، ثم أضاف وهو يشير بأحد أصابعه: "سوف أوافيك فى دقيقة يا برودى".

"حسنا". وضع برودى عبوة لبن وصندوق رقائق الذرة وعلبة قهوة على المنضدة. ثم أومأ لـ ريسى، قائلاً: "كيف الحال؟".

"على ما يرام ؛شكرا لك".

"لقد انتقلت ريسى للعيش فى منزل جوانى".

"حقا؟".

"لقد حزمت لها كل مستلزماتها فى صناديق وحقائب. ربما يمكنك أن توصلها إلى هناك يا برودى؟".

"كلا، لا، شكرا. أستطيع أن أتدبر أمرى".

قال ماك فى نبرة إصرار: "لا يمكنك أن تحملى كل هذا بمفردك. سيارتك فى الخارج يا برودى أليس كذلك؟".

لاح شبح ابتسامة حول فمه وكأنه وجد الموقف كله مسليا، فقال: "بالطبع".

"أنا ذاهب إلى جوانى لتناول العشاء على أية حال، على الفور".

"حقا".

"أرأيت! هل ستدفعين نقدا أم أسجل القيمة فى حسابك الجارى يا عزيزتى؟".

"بل نقدا. نقدا". كانت القيمة . بعد خصم ثمن براد الشاى . تعادل الأموال التى كانت قد أحضرتها معها تقريباً.

قال برودى وهو يضع مشترياته فوق أحد الصناديق: "فقط أضف مستلزماتى على الحساب يا ماك". كان ماك قد حزم الأشياء، وقبلما ينجز باقى مهمته، كان برودى قد عاد أدراجه لكى يحمل الصندوق الثانى.

شعرت ريسى أنها وقعت فى مأزق، فحملت صندوقها الأخير، قائلة: "شكرا لك يا سيد دروبر".

صاح قائلا وهى تسير متبعة برودى نحو الباب: "استمتعى بمنزلك الجديد".

"أنت لست مضطرا لفعل هذا، أقولها بمنتهى الصدق"، هكذا بدأت حديثها لحظة وطأت قدماها الشارع، ثم أضافت: "لقد أحرجك بطلبه".

قال برودى وهو يضع الصندوق الثانى فى حقيبة سيارته الـ يوكون السوداء: "أجل، لقد فعل"، ثم استدار لكى يحمل الصندوق الذى كانت تحمله ريسى، فزادت من إحكام قبضتها حوله، قائلة:

"قلت لك إنك لست مضطرا لفعل ذلك. أستطيع أن أتدبر أمرى بمفردى".

"كلا أعلم أننى لست مضطرا، وأنك لا تستطعين تدبر الأمر وحدك. دعينى إذن أنجز هذا الأمر وننته"، ثم التقط الصندوق ببساطة من بين ذراعيها وأضاف قائلا: "هيا ادخلى".

"ولكننى لا أريد أن ـ"

"أنت تتصرفين بحماقة. لقد وضعت الصناديق بالفعل داخل السيارة"، ثم استطرد وهو يغلق الحقيبة: "يمكنك إذن أن تركبى أو تمضى سيرا".

كانت تفضل الاختيار الثانى؛ ولكن هذا كان يعنى أن تبدو متغطرسة وحمقاء أيضا، وهكذا استسلمت وفتحت الباب وأغلقته فى حنق. وبلا مبالاة فتحت النافذة حتى لا تشعر أنها حبيسة مكان مغلق.

لم يقل شيئا، وبما أن إحدى الأغانى الصاخبة كانت تصدر من المذياع فلم تجد نفسها مضطرة لإجراء حوار مهذب أثناء فترة القيادة القصيرة.

أوقف سيارته فى الشارع، ثم خرج لاستخراج صندوق من السيارة بينما استخرجت هى صندوقا آخر من الطرف المقابل له "المدخل فى المؤخرة"؛ خرج صوتها متجهما مما أثار دهشتها. إنها لا تذكر آخر مرة شعرت فيها بضيق حقيقى من شخص آخر غير نفسها.

كان عليها أن تسير بخطى واسعة لكى لا تجرجر أقدامها وراءه،

وبالرغم من أنها انطلقت مسرعة بجواره على الدرج إلا أنها تعثرت عندما وجدت نفسها مضطرة لدفع الصندوق مقابل الجدار لفتح الباب.

فما كان من برودى إلا أن نقل ببساطة الصندوق الذى كان يحمله على الذراع الآخر، وأخذ المفتاح وفتح الباب.

اعترتها موجة استياء. كان هذا مكانها الآن. أى أنها تستطيع أن تدعو إليه من تشاء وتمنع من تشاء من دخوله. وها هو ذا يسير على الأرض لكى يضع صندوق مقتنياتها الغالية الجديدة على المنضدة.

ثم سار ثانية بدون كلمة. بزفرة هواء، وضعت ريسى صندوقها على الأرض، وهرعت نحو الباب على أمل اللحاق به وتسلم آخر صندوق بنفسها.

ولكنه كان قد عاود الكرة بالفعل.

"سوف آخذه هنا" تخلل الهواء شعرها وأسقطه على وجهها. دفعته بضيق إلى الوراء، قائلة: "شكرا لك".

"ولكننى حملته بالفعل. ما الذى وضعته فى هذه الحقيبة بحق الله؟ حجارة؟".

"إنها حقيبة الآنية المعدنية وأدوات التنظيف على الأرجح. يمكننى أن أحملها عنك حقا".

تجاهل ببساطة طلبها وصعد الدرج، قائلا: "بحق الله ما الذى جعلك تغلقين الباب وأنت تعلمين أننا سوف نعود ثانية؟!".

"العادة"، ثم أدارت المفتاح، ولكن قبلما تستدير لكى تلتقط الصندوق، كان قد حمله بالفعل ومضى فى طريقه داخلا.

"حسنا. شكرا" بقيت واقفة بجوار الباب المفتوح وهى تعلم أن هذا التصرف ليس فظا فحسب وإنما أحمق أيضا، فقالت: "آسفة على كل هذا العناء".

"لا بأس". جال فى الغرفة وهو يضع يديه فى جيبه، مكان ضيق مثير للإحباط. هكذا فكر فى نفسه. إلى أن رأى المشهد. يا له من مشهد رائع! كما أن المكان نظيف أيضا، بالطبع إن جوانى تعتنى به جيدا. وسواء كان خاليا أم لا، فقد نجحت فى التخلص من أية

أتربة أو حشرات.

"يمكنك أن تطلى الغرفة".

"أعلم".

"كما أنك بحاجة أيضا إلى تدفئة. سوف تتجمد عظامك الهشة الضئيلة إن بقيت هنا بلا تدفئة".

"ليس هناك داع لإدارة التدفئة إلى أن أنتقل فى الغد. أنا لا أريد أن أعطلك".

استدار وصوب بصره عليها، قائلا: "أنت لا تكترثين بعطلتى، وإنما تسعين للتخلص منى فحسب".

"حسنا. إلى اللقاء".

للمرة الأولى، منحها ابتسامة سريعة صادقة، قائلا: "أنت أكثر إثارة عندما تكشرين عن أنيابك قليلا. ما هو طبقك الخاص الليلة؟".

"دجاج مقلى وبطاطس بالبقدونس وبازلاء وجزر".

"يبدو شهيا". سار نحو الباب وتوقف أمامها مباشرة حتى أنه سمع دقات قلبها، فقال: "أراك قريبا".

أغلق الباب فى هدوء وراءه وأغلقت هى القفل قبل أن يهبط هو أولى خطواته على الدرج. دار حول المبنى، ثم نظر إلى أعلى عندما وصل إلى المقدمة.

كانت تقف فى النافذة الوسطى تحدق فى البحيرة. إنها نحيفة وكأنها عود جاف. هكذا فكر فى نفسه. صاحبة شعر كثيف وعينين عميقتين وغامضتين. بدت له أقرب إلى لوحة داخل إطار من كائن حى من لحم ودم. أخذ يسائل نفسه، ترى أين تركت باقى نفسها؟ ولماذا؟

ذوبان الجليد فى الربيع يعنى الطين. كانت كل الممرات والطرق موحلة سميكة الطين، وكانت آثار الأحذية مطبوعة فوق الشوارع والأرصفة. أما لدى جوانى، فقد كان الجميع يحرصون على تنظيف أحذيتهم قبل الدخول خوفا من ثورة غضبها. كان قد بقى شهر

على قدوم السائحين الذين كانوا يتوافدون فى فصل الربيع إلى المنتزهات والمعسكرات. لم يكن هناك سوى الوافدين من البحيرة والنهر من راكبى المراكب والقوارب على صفحة الماء البارد.

كانت أنجيل فيست تعيش حالة انتقال مستقرة بين آخر الشتاء وازدهار الربيع.

بعد شروق الشمس مباشرة، عندما كانت السماء تشرق بلونها الوردى. كانت ريسى تقود سيارتها فى أحد الطرق الضيقة الوعرة على الجانب الآخر من البحيرة. إنه أقرب إلى مدق منه إلى طريق؛ هكذا فكرت فى نفسها وهى تدير عجلة القيادة وتبطئ من سرعتها لكى تتجنب الوحل السميك.

عندما ظهر حيوان الموظ عبر الطريق، لم تشهق بصوت عال فقط تعبيرا عن الدهشة والغبطة وإنما حمدت الله أنها كانت تقود بسرعة عشرة أميال فى الساعة.

سوف تبتهل إلى الله بالدعاء الآن إن لم تكن قد ضلت طريقها.

كانت جوانى تريدها فى السابعة، وبالرغم من أنها كانت قد منحت نفسها وقتا كافيا أكثر للوصول فى موعدها، فقد خشيت أن تتأخر عن الموعد. أو أن ينتهى بها المآل إلى (أوتاه) .

بما أنها كانت تتطلع إلى قضاء صباح يومها فى الخَبز، فلم تكن تريد أن ينتهى بها المآل إلى (أوتاه).

مرت بجوار الصفصاف الأحمر كما سبق وقالت لها. على الأقل ظنت أنه صفصاف أحمر، ثم وصلها وميض ضوء.

"بعد الصفصاف، استديرى إلى اليسار ثم ... نعم!".

رأت سيارة جوانى الفورد القديمة، تصورت أنها تطيح بقبضة يدها فى الهواء تعبيرا عن النصر. ثم أوقفت سيارتها.

لم تكن تعلم ما الذى يمكن أن تتوقعه. هل ستكون كبينة ريفية صغيرة؟ ربما. هل سيكون هناك بيت غربى من طابق واحد؟ كان كلاهما يتوافق مع طبيعة صاحبة عملها سليطة اللسان، نافدة الصبر.

ولكنها لم تكن تتوقع نمط ومساحة المنزل المبنى بالخشب

والزجاج وتلك الأرائك والمصاطب الطويلة التى كانت تعلو فوق الماء وتضرب فى خلاء الغابة.

كما أنها لم تكن تتوقع أيضا كل زهور الثالوث الشتوية، وكل الورود البنفسجية التى كانت تتدلى من أصص النوافذ. إنه منزل مزركش حتى بالرغم من خطوطه الطويلة العملية وليست اللولبية. ولكن ثمة شيئًا مثيرًا فى موقع هذا المنزل وسط الغابة، شيئًا أشبه بالسر يجعله أقرب إلى الحلم.

شعرت بانبهار، وسارت وفق التعليمات التى كانت قد تلقتها وركنت سيارتها وخرجت لتتجه إلى مؤخرة المنزل.

لاحظت ريسى أن المنزل محاط بالنوافذ من كل جانب، نوافذ كبيرة واسعة تجعلك تتأمل الجبال والخضرة والبحيرة والبلدة. المزيد من أصص زهور الثالوث وأصص أخرى لم يحن وقت إزهارها بعد، والتى سوف تتلون بالنرجس البرى والتيوليب والباقوتية عندما يشيع دفء الربيع.

ظهر لها انعكاس ضوء فى الزجاج. رأت جوانى من خلال إحدى نوافذ المطبخ وهى ترتدى سترة طوت أكمامها حتى مرفقيها وقد بدأت بالفعل تخلط مزيجا فى إناء.

شقت ريسى طريقها نحو الباب وطرقته .

"إنه مفتوح!".

لم يكن الباب مغلقا، شعرت ريسى برجفة عند التفكير فى هذا الأمر. ماذا لو كانت رجلا مجنونا يحمل سكينا؟ ألا يجب أن تأخذ امرأة ـ وخاصة وهى تعيش بمفردها ـ فى اعتبارها كل هذه الاحتمالات، وتتخذ كل الاحتياطات الأساسية اللازمة؟ ما إن وطأت بالداخل وجدت نفسها فى غرفة منمقة حيث كانت سترة صوفية ناعمة وقبعة بنية مطموسة الملامح معلقة على الشماعة وزوج حذاء عالٍ قديم يقف شامخا بجوار الباب.

"إن كان هناك طين عالق فى حذائك، فعليك بخلعه قبل الدخول إلى المطبخ".

تفقدت ريسى حذاءها ثم رفعت كتفيها وكأنها تعبر عن الشعور بالذنب وخلعت حذاءها.

إن كان المظهر الخارجى للبيت بالغ الروعة فإن المطبخ كان يفوق كل تصور.

كان مكانا واسعا، جيد الإضاءة، مزودا بمنضدة متينة واسعة مزينة بالبرونز والنحاس. فرن مزدوج . يا إلهى . فرن حرارى. ثلاجة من طراز ساب زيرو لاحظت وجودها وهى تكاد ترتجف وكأنها على وشك التهاوى من غمرة السعادة. كاد لعابها يسيل عندما وقع بصرها على أدوات المطبخ الفاخرة وخلاط الطعام من ماركة بركل. شعرت أن عينيها سوف تترقرقان بالدموع.

كان المكان كله جذابا وبديعا. كانت براعم زهور الربيع قد بدأت تزهر فى الزجاجات على النوافذ، كما كانت النباتات الخضراء الجميلة تتدلى من المزهريات الخشبية. كانت هناك بعض النيران المهتاجة داخل المدفأة. وكان الهواء زكيا مختلطا بعطر الخبز والقرفة الطازجة.

قالت جوانى وهى تضع الإناء الذى كانت تحمله على المنضدة: "حسنا؟ هل ستبقين مثبتة فى مكانك هكذا أم أنك سترتدين المريلة ونشرع فى إنجاز العمل؟".

" أرى أن أملى نظرى من هذه الروعة أولا".

فتحت جوانى فمها الجميل، وبدت عليها علامات الاستسلام وابتسمت قائلة: "مكان جيد، أليس كذلك؟".

"إنه فائق الروعة. إن قلبى يرقص فرحا. لقد تصورت أننا ـ" ثم قطعت حديثها وكأن الكلام قد تحشرج فى حلقها.

قالت جوانى وهى تزفر: "سوف نخبز فى فرن نصف معطل ونعمل على منضدة مكسورة بالية؟" ثم سارت نحو إناء من الستانلس لإعداد القهوة، قائلة: "هذا هو المكان الذى أعيش فيه وأنا أحب أن أنعم بشىء من الراحة والجمال حيث أعيش".

"ليتك كنت أمى".

زفرت جوانى ثانية واستطردت قائلة: "وأنا أحب خصوصيتى. فأنا آخر بيت فى هذا الجانب من المدينة، كما أن هناك مسافة ليست قليلة تصل إلى ربع ميل تفصل بينى وبين أقرب مكان وهو منزل آل مردسون. لديهم أبناء، ديبى و ريك. لابد أنك شاهدت ابنتهم

الصغرى تلهو مع كلبها بجوار البحيرة، إنها تنتهز أى فرصة للذهاب هناك".

"نعم" وتذكرت ريسى الفتاة الصغيرة التى كانت تلقى بالكرة لكلبها فى الماء لكى يلتقطها، فقالت: "لقد سبق وشاهدتها عدة مرات".

"إنهم أبناء ظرفاء. فى الجانب المقابل منهم . ولكن على بعد مسافة . يوجد منزل ديك . ذلك الرجل الذى اختبرتك فيه عند بداية تسلمك العمل". ثم قالت فى شيء من الإشفاق: "يا له من عجوز ساذج، إنه يحب أن يتظاهر بأنه رجل قوى إلا أنه ليس سوى رجل هش ضعيف. ألم تلحظى ذلك".

"أعتقد أننى لاحظت".

"بعدها تقع الكبينة التى يقطن بها برودى كما أن هناك بعض الكبائن القليلة هنا وهناك ولكنها كلها بالإيجار. إنه مكان هادئ ولطيف بالفعل".

"إنه مكان رائع. لقد قابلت حيوان الموظ. أعنى أننى رأيت واحدا ولكننا لم نتواصل فعليا مع بعضنا البعض".

"إنه يأتى أحيانا ويطرق بابى؛ ولكننى لا أضيق به أو بأى حيوان برى فى الجوار إلا عندما يشرعون فى التهام زهورى".

وهى تتفحص ريسى، التقطت جوانى فوطة الصحون وجففت يديها، قائلة: "سوف أتناول بعض القهوة وأدخن سيجارة. الماء ساخن هناك فى الغلاية. يمكنك أن تعدى لنفسك بعض الشاى. سوف نعمل على مدى الساعات الثلاث التالية وما إن نبدأ فى العمل، لا أحب التلكؤ والحديث. يجب أن ننجز عملنا أولا".

"بالطبع".

استخرجت جوانى سيجارة وأشعلتها. مالت إلى الوراء على المنضدة وزفرت الدخان، قائلة: "ربما تتساءلين ما الذى يدفعنى إلى العيش فى مكان كهذا؟".

"إنه مكان جميل".

"لقد اشتريت هذا المكان منذ ما يقرب من عشرين عاما. أكثر من عقدين، أخذت أضيف إليه وأجمله كلما حانت الفرصة". ثم

توقفت لكى ترتشف قهوتها وقد عقدت كاحليها المغطيين بجوربين صوفيين رماديين: "لقد أصبح المكان يجسد الصورة التى كنت أحلم بها".

أخذت ريسى إناء القهوة من فوق المشعل، قائلة: "إن ذوقك جميل".

"أنت إذن تتساءلين، طالما أن هذا ذوقى، فلمَ لا أضفى هذه اللمسة الأنيقة على مطعمى؟". قالت وقبل أن ترد ريسى بكلمة، استطرت قائلة: "إن الناس يأتون إلى أنجيل فيست بحثا عن الراحة. يريدون طعاما جيدا وسريعا ومعتدل الثمن. لقد وضعت هذا فى اعتبارى أول ما فتحت أبواب المطعم منذ ما يقرب من عشرين عاما مضت".

"أنت تبلين بلاء حسنا فى عملك".

"أنا كذلك بالفعل. لقد جئت إلى هنا لأننى كنت أبحث عن عمل خاص لنفسى كما كنت أريد أن أوفر لابنى حياة جيدة، حياة آمنة. لقد اقترفت خطأ يوما ما وتزوجت من رجل مجرد من كل معانى الرجولة باستثناء أنه كان وسيما؛ ولكن هذه الوسامة لم تجد نفعا معى أو مع ابنى".

شعرت ريسى بوجوب الاحتراس عند هذا الحد، فالتقطت قدح الشاى الذى أعدته وقالت: "ولكنك نجحت فى إنجاز مهمتك بدونه".

"لو أننى بقيت معه، لكان أحدنا قد قتل الآخر". رفعت جوانى كتفيها والتقطت نفسا آخر من سيجارتها، قائلة: "لقد أحسنت صنعا عندما طردته من حياتى وأمسكت بزمامها. كنت أملك بعض المال، أعنى مبلغا معقولا". لوت شفتيها فى تعبير ما بين الابتسام والازدراء، مضيفة: "ربما كنت غبية عندما تزوجته؛ ولكننى كنت أذكى من أدعه يعرف شيئا عن حسابى المصرفى. لقد كنت أعمل منذ أن كنت فى السادسة عشرة من عمرى. كنت أعمل نادلة وأمارس بعض الأعمال المؤقتة وأطهو. كما أننى التحقت بمدرسة مسائية وتعلمت إدارة المطاعم".

"أنت بالغة الذكاء".

"عندما تخلصت من هذا الطوق الذى كان يلتف حول عنقى، قررت أننى إن كنت سأعمل وأكد فسوف يكون هذا من أجل نفسى ومن أجل ابنى، وليس من أجل أى شخص آخر. فاستقر بى المقام هنا، وعملت طاهية فى ما كان يطلق عليه فى ذلك الوقت (زى شاك واجون)".

"الذى أصبح مطعمك الآن؟ كان مطعم جوانى فى الأصل هو مطعم زى شاك واجون؟".

"كنا نعد البرجر وقطع اللحم؛ ولكننى امتلكت المكان فى أربعة أشهر. كان صاحب المطعم غبيا يخسر كل ماله. باعنى المكان بمبلغ معقول عندما كان على وشك الإفلاس". ارتسمت علامات الارتياح على وجهها عندما استعادت هذه الذكرى. " كنت أقطن فى المسكن العلوى أنا وويليام، ذلك المسكن الذى تقيمين فيه أنت الآن".

حاولت ريسى أن تتصور كيف تقيم سيدة وابنها فى هذا المكان الصغير، فهمست وهى تثبت عينيها على جوانى: "هذا شاق، لابد أن الأمر كان شاقا للغاية. بناء عمل وتربية طفل وتدبر أمور حياتك بنفسك".

"ليس هناك أمر شاق عندما تملكين العزيمة وتحددين الهدف، وقد كنت أملك كليهما. اشتريت هذه الأرض وبنيت بيتا صغيرا عليها مكونًا من غرفتين وحمام واحد ومطبخ فى نصف حجم هذا المطبخ الآن. وقد بدا المكان كقصر بعدما عشت مع ابنى ذى الثمانى سنوات داخل تلك الشقة الصغيرة. لقد حصلت على ما أريده، فأنا امرأة عنيدة عندما اللزوم، وأنا كذلك فى معظم الوقت، هذه هى طريقة تفكيرى. ولكننى مازلت أذكر، مازلت أذكر جيدا كيف كان شعورى عندما نهضت ذات يوم وهجرت كل ما أعرفه إلى المجهول. مهما كان سيئا. لكى أجد لنفسى مكانا".

رفعت جوانى كتفيها قليلا وهى تحتسى المزيد من القهوة، قائلة: "إننى أرى ذكرياتى ماثلة أمامى عندما أنظر إليك".

ربما هى كذلك بالفعل، هكذا فكرت ريسى. ربما رأت ما يجعل امرأة تستيقظ فى الثالثة صباحا فى نوبة قلق وتوتر،فقالت: "ولكن كيف استقر بك المقام هنا؟ كيف عرفت أن هذا هو مكانك؟".

"لم أكن أعرف شيئا"، بحركة سريعة أطفأت جوانى سيجارتها واحتست باقى قهوتها، مضيفة: "كان المكان بالنسبة لى مجرد مكان آخر أفضل من المكان الذى كنت أعيش فيه. ثم استيقظت ذات يوم وإذا به ملكى. هذا هو الوقت الذى توقفت فيه عن النظر إلى الماضى".

بقيت ريسى جالسة وهى تضع قدح الشاى فوق المنضدة، قائلة: "ربما تتساءلين أنت ما الذى يدفع شخصًا بمثل خبرتى إلى العمل على الشواية. تتساءلين عن سبب مجيئى واستقرارى هنا".

"لقد تفكرت فعلا فى هذا الأمر أكثر من مرة".

فكرت ريسى؛ هذه هى المرأة التى منحتها عملها، التى ساعدتها فى الحصول على مكان تعيش فيه، التى منحتها الآن.بدون أن تدرى .خبرة وحكمة سنوات. "أنا لا أقصد أن أبقى لغزا غامضا، ولكننى لا أستطيع أن أتحدث عن التفاصيل؛ لأنها مازالت تؤلمنى؛ ولكن تجربتى لم تكن مع شخص وإنما حدث معين؛ تجربة حطمتنى نفسيا ومعنويا وجسديا. يمكنك أن تقولى إنها حطمتنى من كل الجوانب".

نظرت فى عين جوانى. كانت عيناها قويتين، حديديتين. لم تكن عينًا مشفقة. ويستحيل أن تفسر.حتى لنفسها.لم دفعتها هذه النظرة إلى الاسترسال فى حديثها بشكل أكثر سلاسة.

"وحينما أدركت أننى لن أشفى إن أقمت فى نفس المكان، غادرته على الفور. كانت جدتى قد كرست نفسها لرعايتى، ولكننى لم أستطع التحمل، فركبت سيارتى ذات يوم وانطلقت بها. لقد اتصلت بها وحاولت إقناعها بأننى بخير. لقد تحسنت حالتى وأردت أن أقضى بعض الوقت بمفردى".

"وهل فعلتها؟ هل نجحت فى إقناعها؟".

"كلا، ولكنها لم تستطع منعى، وخلال الشهور القليلة الماضية شعرت ببعض الطمأنينة، لقد بدأت تفكر فى الأمر على أنه مغامرة أقوم بها، ومن السهل على أن أصور الأمر على هذا النحو عندما تراسلنى بالبريد الإلكترونى أو تتصل بى هاتفياً. وفى الحقيقة فإننى أراه كذلك حقاً فى بعض الأحيان ... مغامرة".

استدارت لتأخذ مريلة من على الشماعة، قائلة: "على كل، فإننى أفضل حالاً مما كنت عليه. إن هذا المكان يروقنى فى الفترة الحالية، حتى الآن. وهذا يكفينى".

"إذن سنتوقف عند هذه النقطة؛ الآن. أريدك أن تعدى بعض معجنات الفطائر، وإن نجحت فى هذا، فسوف نكمل من هذا المنطلق".

٥

فى وجود عدد قليل من الزبائن المتناثرين فى المكان؛ تسلمت ليندا جيل نوبة عملها على المنضدة. وضعت قطعة من فطيرة التفاح أمام لو وقدمت له قدحا من القهوة، قائلة: "لقد أصبحنا نراك كثيرا هنا على مدى الأسبوعين الماضيين".

"القهوة جيدة والشطيرة أفضل"، ثم التقط قطعة كبيرة من الشطيرة وابتسم، مضيفاً: "كما أن المنظر ليس سيئا".

نظرت ليندا جيل إلى الوراء حيث كانت تعمل ريسى على الشواية.

"سمعت أنك قد تلقيت ضربة قاسية أيها الملاكم؟".

"مازال الوقت مبكرا على الحكم". قالها وهو يتذوق الشطيرة. لم يكن أحد يجيد صنع الشطائر مثل والدته، ثم أضاف: "هل سمعت المزيد عنها؟".

"أعتقد أن هذا شأنها هى".

بدأ يلتهم الشطيرة، قائلا: "لا تناورى يا ليندا جيل".

حاولت أن تجاهد نفسها لكى تبقى متحفظة؛ ولكن اللعنة؛ لطالما أحبت الحديث مع لو منذ نعومة أظافرهما. لقد كان أكثر الأشخاص الذين يروق لها التحدث معهم.

"إنها متحفظة؛ تؤدى عملها بمنتهى النزاهة؛ تحضر فى موعدها، وتظل باقية إلى أن تنجز العمل أو تطلب منها جوانى الانصراف". رفعت ليندا جيل كتفيها ومالت على المنضدة، مضيفة: "لم يصلها أى بريد منذ مجيئها إلى هنا؛ هذا ما وصلنى. ولكنها اقتنت هاتفا بالأعلى. و ـ"

مال نحوها حتى كاد يلمس وجهها، قائلا: "أكملى".

"حسنا؛ لقد أخبرتنى برندا من الفندق بأنه أثناء إقامة ريسى هناك كانت تضع خزانة الملابس أمام باب الحجرة المجاورة لها. أرى أنها تخشى شيئا أو شخصا. إنها لا تستخدم بطاقة ائتمان؛ لم تستخدمها ولو مرة واحدة، كما أنها لم تستخدم هاتف الفندق أبدا إلا عندما ترغب فى استخدام حاسبها مرة واحدة يوميا. كان يمكنها أن تدخل خدمة الحاسوب السريعة فى الغرفة؛ ولكنها كانت ستكلفها عشرة دولارات يوميا لذا فالاتصال أرخص ثمنا. هذا هو كل ما أعرفه".

"يبدو أنها بحاجة لمن يسرى عنها".

قالت ليندا جيل فى اشمئزاز: "يبدو هذا بغيضا يا لو". تراجعت وقد شعرت بالضيق من نفسها لأنها ارتدت إلى عادة الثرثرة القديمة. "سوف أخبرك بما لا تريده. إنها لا تريد أن يتطفل عليها أحد ويسعى للنيل منها. إنها تريد صديقا".

"يمكننى أن أكون صديقا. فأنا وأنت أصدقاء".

"هل هذا ما نحن عليه حقا؟".

تغير شىء ما فى عينيه؛ فى وجهه. مد يده فوق المنضدة فى

اتجاهها، قائلا : "ليندا جيل ـ"

ولكنها صرفت بصرها بعيدا عنه وتراجعت إلى الوراء ورسمت ابتسامة المضيفة على شفتيها، وهى تقول: "مرحى؛ أيها المأمور".

قال المأمور ريتشارد مردسون وهو يتخذ لنفسه مقعدا: "ليندا جيل؛ لو؛ مرحبا". كان رجلا ضخما طويل القامة؛ يسير فى هدوء وارتياح، ويحافظ على الأمن بالحكمة والتفاهم عندما يكون هذا ممكنا؛ وبالحديد والنار عندما لا يكون هذا ممكنا.

كان يحب قهوته خفيفة كثيرة السكر وكان يمد يده نحو السكر عندما صبت له ليندا جيل قدح القهوة، قائلا: "هل تشاجرتما ثانية؟".

قال له لو: "بل كنا نتحدث فقط بشأن الطاهية الجديدة".

"إنها تجيد الشواء بلا شك.ليندا جيل ؛ اطلبى منها أن تعد لى قطعة من الدجاج المقلى". ثم أخذ يحتسى قهوته. كان صاحب عينين زرقاوين تتناسبان مع لون شعره الأشقر. كان يملك ذقنا نظيفا ناصعا يحرص على حلاقته منذ أن أفقدته زوجته منذ أربعة عشر عاما عقله، وجعلته يحلق ذقنه الذى كان قد أطلقه فى الشتاء.

"هل تلاحق تلك الفتاة النحيفة يا لو؟".

"بذلت بعض المحاولات فى هذا الاتجاه".

هز ريك رأسه، قائلا: "أنت بحاجة لأن تستقر مع امرأة صالحة".

"بالفعل. إننى أبذل جهدى، ولكن هذه الطاهية الجديدة يلفها جو من الغموض"؛ تلصص حوله ثم بدأ حديثه: "يقولون إنها ربما هاربة".

قال ريك بينما رفع لو حاجبيه: "إن كانت بالفعل هاربة؛ فهى ليست هاربة من القانون. لقد تحققت من هذا جيدا، إذن هى ليست متهمة؛ ليست مذنبة، كما أنها تجيد طهى قطع اللحم".

"أعتقد أنك تعرف أنها تقطن الطابق العلوى الآن. لقد أخبرتنى ليندا جيل بأنها عرفت من برندا التى تعمل فى الفندق أنها كانت تضع خزانة الملابس أمام باب الغرفة المجاورة لها. يبدو

أنها تخشى شيئا ما".

"ربما لديها سبب لذلك"، ثم حول بصره إلى المطبخ، قائلا: "ربما تخشى زوجها أو صديقها الذى دأب على التعدى عليها بالضرب".

"أنا لا أفهم هذا بالمرة؛ لم أفهمه أبدا. إن الرجل الذى يضرب امرأة ليس رجلا".

تناول ريك قهوته، معلقاً: "إن العالم يزخر بكل أنواع الرجال".

ما إن أنهت نوبة عملها؛ حتى استقرت ريسى فى الطابق العلوى وعكفت على قراءة جريدتها. كانت قد ضبطت المدفأة على درجة خمس وستين. كانت ترتدى سترة وزوجين من الجوارب. أخذت تجرى حسابها بعد تسديد نفقات الكهرباء التى سوف تدفع ثمنها مقابل الأضواء التى كانت تتركها مضاءة ليلا ونهارا.

كانت متعبة ومع ذلك اعتراها شعور ممتع. كانت الشقة تبدو مناسبة لها؛ كانت آمنة ومريحة ومنظمة، كما أنها كانت أكثر أمانا عندما تضع أحد المقعدين - اللذين منحتهما إياها جوانى من أجل المنضدة - تحت مقبض الباب بعد دخولها غرفتها.

سارت الأمور ببطء ثانية اليوم. كان كل من جاء إلى المطعم من أهل البلدة. لقد تأخرت الوقت على التزلج أو ممارسة أية رياضة على الجليد بالرغم من أننى سمعت أن بعض الطرق الجبلية لن تفتح قبل بضعة أسابيع أخرى. من الغريب أن تفكر أن هناك أطنانا من الجليد مازالت فى أعلى الجبال بينما كل شىء هنا بالأسفل غارق فى الطين والأوراق البنية.

إنهم غريبو الأطوار هنا. ألا يعلمون أننى أعلم متى يتحدثون عنى ومتى يفكرون فى على أننى شىء طبيعى؟ أعتقد أن هذا شىء طبيعى وخاصة فى بلدة صغيرة كهذه. إننى أستطيع أن أقف عند الشواية أو المدفأة وأسمع همساتهم عنى

وهى تخترق مؤخرة عنقى.

إنهم فضوليون؛ جميعهم ولكن لا أحد منهم يملك جرأة التحدث معى بشكل مباشر. أظن أن هذا لن يكون لائقا وهو ما يدعوهم للتساؤل عنى.

غدا يوم عطلة. يوم كامل. لقد كنت منهمكة للغاية فى تنظيف المكان هنا وإعداد كل شىء فى عطلتى الأخيرة حتى أننى لم ألحظ إلا بالكاد أنه كان يوم عطلة ولكننى هذه المرة عندما نظرت إلى الجدول شعرت بالذعر. ما الذى سأفعله؛ كيف يمكننى قطع يوم كامل وليلة بدون عمل أؤديه؟

ثم قررت أن أخرج فى نزهة وأصعد الجبل كما كنت قد خططت أول ما حضرت إلى هنا. ثم أسلك أحد الممرات السهلة وأمضى لأبعد مسافة ممكنة وأشاهد النهر. ربما مازالت شلالات الماء ترتطم بالصخور كما قال لى (لو). أريد أن أرى صفحة الماء البيضاء والسهول والركام الذى يجرفه النهر والمستنقعات. ربما أجد أحدهم يجدف فى النهر .سوف أحمل معى غدائى لكى أستمتع بكل الوقت مثلما يحلو لى.

سوف أقطع طريقا طويلا من (بالك باى) حتى (سنيك ريفر).

كان المطبخ ساطع الإضاءة وكانت ريسى تثرثر مع شيرلى كرو وهى تنظف المدفأة. لقد أغلق المطبخ . فكرت ريسى. رسميا.

كانت آخر ليلة لها فى مانيو. كانت نهاية عصر بالنسبة لها .لذا كانت تريد أن تترك المكان وهو يلمع من شدة النظافة.

كان أمامها أسبوع عطلة كاملا ثم . ثم . تبدأ عملها ككبيرة طهاة فى مطعم أويسيس، وهو ما كانت تحلم به منذ زمن. كبيرة طهاة . فكرت . كانت ستبدع فى عملها فى أحد أكبر وأفخم مطاعم بوسطن. كانت ستشرف على طاقم عمل مكون من خمسة عشر شخصا وتوقع على أطباقها وتضع عملها جنبا إلى جنب أفضل الأعمال فى مجال عملها.

سوف تمر هذه الساعات عديمة الجدوى وسوف يكون الضغط عاتيا.

لم تكن تطيق الانتظار.

لقد ساعدت بنفسها فى تدريب ماركو. سوف تسير الأمور على ما يرام بينه وبين تونى مانيو. كانت تعلم أن تونى وزوجته سعيدان من أجلها، بل إنها كانت قد علمت من دونا التى لم تكن تكتم سرا أن هناك حفلا الآن فى انتظارها؛ حفلاً للاحتفاء بها وتهنئتها على منصبها الجديد وتوديعها.

تصورت أن تونى كان قد ودع آخر زبائنه الآن باستثناء بعض الزبائن الدائمين ممن دعاهم لحضور حفل التوديع.

سوف تفتقد هذا المكان؛ تفتقد الأشخاص؛ ولكن الوقت كان قد حان لكى تخطو خطوتها التالية. لقد عملت من أجل هذه الخطوة ودرستها وخططت من أجلها، والآن كانت هذه الخطوة على وشك التحقق.

تراجعت بعيدا عن الفرن؛ وأومأت فى رضا عن عملها ثم حملت أدوات التنظيف إلى الخزانة الخاصة بها.

ولكن صوت الارتطام الصادر من خارج المطبخ جعل عينيها تدوران؛ غير أن الصيحات التى توالت بعدها جعلتها تقف فى ذهول. عندما سمعت طلقات النار؛ تجمدت فى مكانها. حتى وهى تتعثر لاستخراج هاتفها الجوال من جيبها؛ كان الباب المتأرجح قد فتح فجأة. كانت حركة مباغتة ولحظة مشحونة بالخوف. رأت المسدس؛ لم تر إلا المسدس. كان شديد السواد؛ كبير الحجم.

ثم زج بها فى اتجاه الخزانة وتلقت ضربة مؤلمة قاسية أشعرتها بألم مبرح فى صدرها.

أيقظتها الصرخة، التى لم تطلقها مدوية أبدا، مفزوعة من فراشها وهى تضع إحدى يديها فوق صدرها. لقد شعرت بالألم؛ حيث أصابتها الرصاصة. شعرت بالنار؛ بالصدمة. ولكنها عندما نظرت إلى يدها؛ لم تجد أثراً للدماء؛ وعندما حكت جلدها لم تجد

إلا أثر الجرح.

حسنا؛ لا بأس. لقد كان كابوسا. كابوسا؛ هذا كل ما فى الأمر؛ ولكنها أخذت ترتجف وهى تمد يدها نحو كشافها الضوئى، ثم نهضت من فراشها لكى تتفقد الباب والنوافذ.

لم يكن أحد هناك؛ لم يكن هناك أثر لمخلوق فى الشارع بالأسفل ولا عند البحيرة. كانت كل الكبائن والمنازل مظلمة. لم يكن أحد قد حضر لينهى ما بدأه منذ عامين. لم يكن أحد يعبأ إن كانت قد عاشت؛ كما أن أحدهم لا يعلم مكانها حتى إن كان يريد أن يعلم.

لقد كانت حية . مجرد مصادفة قدرية؛ مجرد ضربة حظ؛ فكرت وهى تتحسس بأطراف أصابعها الجرح الذى كانت الطلقة قد خلفته.

لقد كانت حية . وكان فجر اليوم الجديد يشرف على المجئ. وانظرى؛ انظرى؛ إنه؛ إنه ... حيوان الموظ جاء ليرتوى من البحيرة.

"هذا شىء لا يتكرر كثيرا" قالتها بصوت عال، ثم أضافت: "لا يحدث فى بوسطن. حتى إن قضيت كل دقيقة بحثا عن هذا المشهد. لن ترى الضوء وهو يزج بنفسه ليزيح الظلمة، كما أنك لن ترى الموظ وهو يشق طريقه من الغابة ليرتوى من ماء البحيرة".

كان الضباب يغطى الأرض؛ رقيقا وكأنه منديل ورقى خفيف وكانت البحيرة هائدة مستكينة وكأنها قطعة من زجاج. وهناك؛ إنه ضوء كبينة برودى. ربما يشعر بالأرق هو الآخر. ربما يستيقظ مبكرا للكتابة حتى يبقى ممدا على أرجوحته ويتفرغ للقراءة فى الظهيرة.

عندما رأت الضوء وشعرت أن هناك شخصا آخر مستيقظا مثلها؛ اعتراها شعور غريب بالراحة.

لقد رأت الكابوس . معظمه . ولكنها لم تتهاو. كان هذا تقدما؛ أليس كذلك؟ وقد أنار أحدهم الضوء عبر البحيرة. ربما نظر من نافذته مثلما فعلت هى، وربما رأى ضوء نافذتها هو الآخر. يا لها من طريقة غريبة لمشاركة الفجر معا.

بقيت واقفة؛ تراقب الضوء وهو يضرب سماء الشرق باللون

الوردى والذهبى ثم تناثر على صفحة الماء الزجاجى الذى بدأ يتألق وكأنه نار هادئة.

ما إن أنهت إعداد حقيبتها المحمولة وفق تعليمات كتيب تسلق الجبال حتى شعرت أن الحقيبة تزن خمسين رطلا. كانت بصدد قطع ما يقرب من ثمانية أميال فقط أعلى وأسفل ولكن مع هذا يجدر بها . فكرت فى نفسها . أن تتوخى الحذر، وتحمل معها كل ما يجب حمله عند قطع مسافة تفوق العشرة أميال.

قد تحدوها الرغبة فى الابتعاد قليلا أو ربما اتخاذ طريق آخر. أو ... أياً كان؛ كانت قد أعدت حقيبتها بالفعل ولم تكن على استعداد لتفريغ محتوياتها وإعدادها من جديد. ذكرت نفسها أنها يمكنها التوقف وقتما شاءت وكلما شاءت؛ كما أنها يمكنها أن تضع عنها حقيبتها وتستريح. كان يوما جيدا ساطعا . يوما حرا . وكانت قد اتخذت قرارا بأن تستمتع بكل ما فيه.

كانت قد قطعت عشر أقدام بالكاد عندما سمعت أحدهم يحييها.

سألها ماك: "هل أنت بصدد القيام ببعض الاستكشاف اليوم؟". كان يرتدى أحد قمصانه الصوفية الرقيقة المفضلة لديه وبنطاله الجينز ويضع قبعة فوق رأسه.

"فكرت فى التنزه فى مرتفعات أنجيل فيست قليلا اليوم".

رفع حاجبيه إلى أعلى، قائلا باندهاش: "بمفردك؟".

"إنه طريق سهل وفق الكتيب الإرشادى، كما أنه يوم لطيف وأنا أريد أن أرى النهر. أنا أحمل خريطة، كما أننى أحمل بوصلة وماء وكل ما أحتاج إليه وفق الكتيب الإرشادى". كررت بابتسامة: "بل إننى أحمل أكثر مما أحتاج إليه فى واقع الأمر".

"ولكن الطريق سوف يكون موحلا اليوم بسبب الطين، وأراهن أن الكتيب الإرشادى قد ذكر أنه من الأفضل ألا تسلكى هذا الطريق إلا بصحبة شخص آخر بل والأفضل فى جماعات".

كان هذا بالفعل هو ما ذكره الكتيب الإرشادى، ولكنها لم تكن تجيد الخروج فى صحبة جماعات. كانت تفضل دائما الخروج بمفردها، فقالت: "أنا لن أبتعد كثيرا. لقد سبق أن قمت بهذا

من قبل فى سموكيز فى بلاك هيلز. لا تشغل نفسك بى يا سيد دروبر".

"لقد استقطعت بعض الوقت لنفسى اليوم، وطلبت من ليون الصغير أن يقف على المنضدة كما يوجد من يعتنى بقسم البقالة أيضا. يمكننى أن أصحبك لمدة ساعة".

"أنا على ما يرام كما أن هذا ليس ما أردت أنت أن تفعله فى يوم عطلتك. لا تقلق بشأنى؛ حقا .أنا لن أبتعد كثيرا".

"إن لم تعودى بحلول السادسة؛ سوف أرسل فريقا للبحث عنك".

"بحلول السادسة لن أكون قد عدت فقط، وإنما سأكون قد وضعت قدمى المتعبتين فى الماء الساخن. أعدك بهذا".

رفعت حقيبتها وسارت نحو البحيرة واتخذت الطريق المؤدى إلى المرتفعات عبر الغابة.

أخذت تسير فى هدوء ويسر وتستمتع بالضوء الخافت المنبعث عبر الأشجار. مع مداعبة الهواء البارد لوجهها ورائحة الأناناس والتربة الخضراء. بدأت بقايا كابوسها المزعج تتلاشى بعيدا.

سوف تكثر من مثل هذه الرحلات؛ هكذا أخذت عهدا على نفسها. سوف تسلك فى كل مرة طريقا مختلفا وتكتشف المزيد فى يوم عطلتها، أو على الأقل مرة كل عطلتين. كما أنها تود أيضا أن تذهب إلى المتنزه فى وقت ما قبلما يعج المكان بفوضى زحام الصيف. إن تلك التدريبات الصحية الجيدة سوف تنعش شهيتها لكى تستعيد وزنها ثانية.

كما أنها سوف تنعش صحتها الذهنية أيضا؛ وسوف تتعلم كيفية التمييز بين الزهور البرية التى تحدث عنها الكتيب الإرشادى والتى كانت تغطى الغابات والطرق المؤدية إليها ونباتات وزهور الأرض المنبسطة والسهول الألبية فى الصيف. سوف يكون هذا حافزا جيدا بالنسبة لها - أن ترى الزهور وقت إزهارها.

عندما تفرع الطريق؛ أدارت كتفيها لكى تضبط حقيبتها المحمولة وسلكت الطريق المؤدى إلى ليتل أنجيل كنيون. كان المنحدر بطيئا؛ ولكنه كان مريحا كما كان الهوء رطبا وكانت

أشجار الصنوبر تقف على جانبى الطريق زاخرة بعشش الطيور فى أعلاها. كانت الصخور الضخمة تقف وسط مستنقعات الجليد الذائبة وأنهار الطين، حيث ذكر الكتيب الإرشادى أن هذا المكان سوف يزخر بالزهور البرية التى سوف تزدهر بعد بضعة أسابيع قليلة.

ولكن ريسى شعرت وقتها وكأنها فى كوكب آخر، كوكب يغطيه اللون الأخضر الخافت واللون البنى ويخيم عليه الصمت.

ارتفع بها الطريق برفق فى البداية نحو الجبال من المنحدر عبر أشجار التنوب، إلا أنه انحدر بشكل فجائى فى واد عميق ضيق. كانت الجبال تقف شامخة بالأعلى وقد غطت قممها الثلوج البيضاء المتلألئة تحت ضوء الشمس القوى؛ ولكن الطريق ارتفع فى زاوية إلى أعلى بعدها؛ أخذت تذكر نفسها بوجوب استخدام الخطوة المغلقة لذا حرصت على قبض ركبتها قليلا مع كل خطوة. خطوات صغيرة؛ هكذا تذكرت.

ليس هناك داع للتعجل أو الإسراع.

عندما قطعتُ أول ميل؛ توقفت لكى تحصل على قدر من الراحة، وتتناول بعض الماء وتلتقط أنفاسها.

كان مازال بوسعها أن ترى وميض بحيرة أنجيل فيست فى الجانب الجنوبى الغربى. كانت الضباب قد انقشع تماما بحلول هذا الوقت حيث كانت الشمس قد أشرقت بنورها القوى فى السماء الصافية وأطاحت به. الآن هو وقت ذروة الإفطار؛ تذكرت المطعم وهو يعج بالزبائن والأحاديث والمطبخ برائحة اللحم المملح والقهوة؛ ولكنها فى تلك البقعة كانت تشعر بالهدوء والامتداد المفتوح الشاسع، وتشم رائحة الهواء الزكى المفعهم برائحة الأناناس.

كما أنها كانت بمفردها؛ تماما؛ لم يكن هناك صوت سوى صوت النسيم الرقيق وهو يموج عبر الأشجار ويتخلل عشب المستنقع حيث كان البط يسبح بمنتهى الحرية بدون أن يتطفل عليه أحد. أما هذا الذى يصلها من بعد فهو صوت مطرقة الحطاب الذى كان يتناول إفطاره فى الغابة.

واصلت مسيرها. كانت خطوة التسلق وحدها كفيلة بإجهاد

عضلة ساقها العليا؛ ولكن قبل أن ينال الألم منها؛ فكرت ريسى فى اشمئزاز أنها كان يمكن أن تقطع الطريق عدوا.

هذا لا يعنى أنها لم تتسلق الجبال من قبل؛ ولكن الأمر يختلف تماما عن ممارسة تدريبات السير فى النادى الصحى.

همست فى نفسها: "عوالم، إنها عوالم مختلفة؛ ولكننى أستطيع أن أفعل ذلك".

قطع الطريق السهول التى كانت مازالت تغط فى نومها والطريق المتعرج فوق الجرف. عندما تمددت على المنحدر الذى كانت تغطيه أشعة الشمس لكى تلتقط أنفاسها ثانية؛ رأت فى أحد المستنقعات مالك الحزين وهو يمسك بمنقاره سمكة.

لكم وبخت نفسها على تأخرها فى التقاط آلة التصوير؛ ولكنها واصلت سيرها بطول الطريق المتعرج إلى أن سمعت أول صوت خرير للنهر، وعندما تفرع الطريق الطينى ثانية؛ أخذت تبحث بمنتهى الدقة عن علامة بينج أنجل تريل. إن هذا الطريق سوف يقودها إلى الجبال وهو لا يتطلب فقط قدرة جسمانية على التحمل وإنما أيضا بعض مهارات التسلق الأساسية.

لم تكن ريسى تملك أيا منهما، كما كان عليها أن تقر بأن عضلات قدميها وساقيها تئن من الألم. كان عليها أن تتوقف ثانية وتشرب ثانية وتجادل نفسها ما إن كان عليها أن تكتفى ببساطة بمشاهدة تلك المشاهد الرائعة والاستمتاع بها .

بالرغم من القشعريرة التى ألمت بوجهها إلا أن العرق كان يغطى ظهرها إثر الجهد الذى بذلته. إنها محطة التوقف الثانية؛ هذا ما قالته لنفسها؛ ثم خلعت سترتها وشربت الماء.

أخذت تشق طريقها سيرا بصعوبة بالغة وهى تلهث.

ثم توقفت وقد انزلقت قليلا، وعندها وقع بصرها على برودى كان مستلقيا على صخرة كبيرة.

ألقى عليها نظرة بالكاد تكون خاطفة، قائلاً: "كان يجب أن أعرف أنه أنت. أنت تحدثين ضجيجا يكفى لإثارة انهيار جليدى".

عندما نظرت إليه فى شىء من القلق؛ هز رأسه واستطرد قائلا: "ربما ليس إلى هذا الحد؛ ولكن إحداث ضوضاء على الطريق

يجذب أى شىء مفترس. أقصد ذوات الأربع".

إن كانت قد نسيت احتمال ظهور دب. وهو ما حدث بالفعل. فإن الشىء الأكثر تأكيدا هى أنها كانت قد نسيت مقابلة أى إنسان. "ما الذى تفعله بالأعلى هنا؟".

"أعتنى بشئونى الخاصة"، ثم احتسى جرعة من زجاجة الماء، مضيفاً: "أنت؟ أنت التى كنت تتغنين بأغنية (ما من جبال عالية بما فيه الكفاية)؟".

"لم أكن أغنى". أرجوك لم تكن تغنى.

"حسنا. أنت لم تغن بالفعل وإنما كنت تنطقين كلماتها بالكاد".

"أنا أتسلق الجبال. هذا يوم عطلتى".

"يا له من يوم" قالها والتقط دفتره الذى كان يضعه على حجره.

بما أنها كانت قد توقفت؛ كانت بحاجة إلى دقيقة لكى تلتقط أنفاسها قبل أن تعاود الصعود ثانية. يمكنها أن تصرف انتباهه عن حاجتها للراحة لدقيقة أو اثنتين بافتعال حديث: "أنت تكتب؟ هنا بالأعلى؟".

قال فى شىء من المرح بعدما خبا اللون الذى كان قد حمله الإجهاد إلى خديها: "إننى أجرى بحثا. سوف أقتل شخصا فى وقت لاحق هنا. أعنى فى خيالى، إنها بقعة مناسبة لذلك وخاصة فى هذا الوقت من العام. لا يأتى أحد على الطريق فى هذا الوقت المبكر من الربيع - أو هذا ما كنت أظنه إلى أن رأيتك، ثم يغريها بالصعود معه إلى أعلى، ثم يتخلص منها".

مال برودى إلى الأمام قليلا ونظر إلى أسفل. كان قد خلع سترته بالفعل وهو يمد جسده لكى يميل إلى أسفل: "يا لها من سقطة مروعة طويلة. إنه حادث مؤلم؛ حادث مأساوى".

وجدت ريسى نفسها متحيرة رغما عنها، وقالت له: "ولكن ما الذى يدفعه إلى ذلك؟".

رفع كتفيه إلى أعلى؛ كتف عريض داخل قميص من القطن، قائلاً: "أغلب الظن لأنه يستطيع أن يفعل ذلك".

"ولكن هناك من يسبحون بقواربهم فى النهر، وقد يرونه".

"لذا يسمونها قصصا من وحى الخيال"، ثم همس فى نفسه وهو يخط شيئا بيده فى دفتره: "راكبو القوارب، ربما؛ ربما يكون من الأفضل أن يكون هناك بعض راكبى القوارب. ما الذى سيرونه؟ جسد يَهْوى. صدى الصرخات. صوت ارتطام".

"حسنا؛ سوف أتركك مع روايتك".

بما أنه لم يرد بأى شيء إلا همهمة صامتة؛ واصلت هى سيرها. لقد كان أمر مثيرا للحنق بحق؛ هكذا فكرت فى نفسها. كان قد حظى ببقعة جيدة للراحة وتأمل المشهد. كان يمكن أن تكون هذه البقعة بقعتها هى إن لم يكن هو موجودا؛ ولكنها سوف تعثر على بقعة أخرى؛ سوف تعثر على بقعتها؛ ولكن فى مكان أعلى قليلا فحسب.

حرصت ريسى أن تبقى بعيدة عن حافة الجبل أثناء التسلق وحاولت أن تمحى صورة الجسد المتهاوى من فوق الصخور والماء من تحته.

كانت تعلم أنها قد وصلت إلى منتهى قدرتها على التحمل عندما سمعت صوت رعد ثانية. توقفت؛ وضعت يديها على فخذيها والتقطت أنفاسها، وقبل أن تقرر ما إن كانت هذه هى البقعة التى سوف تستقر عندها؛ سمعت صرخة مدوية لأحد الصقور. نظرت إلى أعلى فوجدته يطير فى اتجاه الغرب.

كانت تريد أن تتبعه؛ كعلامة. طريق متعرج آخر؛ هكذا قالت فى نفسها؛ فقط طريق واحد ثم تجد ملاذها الرائع وتضع عنها حقيبتها وتتناول غداءها وتستمتع بساعة مراقبة للنهر.

وقد نالت مكافأتها بالفعل على وصلة نضالها الأخيرة فى الصعود عندما رأت صفحة الماء البيضاء. كان الماء يتلألأ ويضرب حواف الصخور الضخمة ويتناثر فوقها ثم ينحسر فى شلال مائى رغوى قصير. كان صوت هدير الماء يملأ المكان ويغمر نفسها بالسعادة.

لقد نجحت بعد كل هذا العناء.

بشىء من الارتياح؛ أزاحت حقيبتها من فوق كتفها ووضعتها

فوق إحدى الصخور الكبيرة. استخرجت غداءها وأخذت تمتع نفسها بتناول الطعام بتلذذ.

قمة العالم؛ كان هذا هو شعورها. إنها هادئة ومفعمة بالنشاط كما أنها فى قمة سعادتها. قضمت قطعة من تفاحتها دغدغت مشاعرها بمذاقها المقمرش الشهى بينما كان الصقر يرفرف بجناحيه فى السماء ويصيح.

فكرت فى نفسها: يا له من مكان مثالى، مثالى للغاية.

رفعت نظارتها المكبرة لكى تتابع الصقر أثناء طيرانه ثم نظرت إلى أسفل لكى تراقب اندفاع الماء فى النهر. وبمزيد من الأمل؛ بدأت تنقب الصخور وأشجار الصفصاف؛ إنها الحياة البرية بكل تفاصيلها. قد يحضر أحد الدببة لصيد السمك أو قد يقع بصرها على حيوان موظ آخر، أو ربما ظبى جاء ليرتوى من الماء.

كانت تريد أن ترى حيوان القندس وثعالب الماء وهى تلهو. كانت تريد أن تحيى البيئة التى كانت تلفها؛ تحييها وهى فى قمم المرتفعات تحت ظل الشمس الساطعة وهدير الماء أسفل منها.

لو لم تجل ببصرها فى اتجاه الشاطئ لما قد رأتهما.

كانا يقفان بين الأشجار والصخور. كان الرجل ـ على الأقل كما بدا لها ـ صاحب شعر أسود بينما كانت المرأة تنظر إلى النهر وهى تضع يديها على وركيها.

حتى بالرغم من النظارة المكبرة؛ كان الارتفاع والمسافة يجعل من المستحيل عليها أن ترى التفاصيل بوضوح؛ ولكنها رأت الشعر الأسود فوق السترة الحمراء تحت القبعة الحمراء.

أخذت ريسى تتساءل؛ ما الذى جاء بهما إلى هنا. هل هما بصدد التخييم؛ ربما؛ أم بصدد الإبحار فى النهر؛ ولكنها جالت بنظارتها فلم تر أثرا لقارب أو مركب. ربما جاءوا للتخييم ولكنها لم تجد أى أثر لأية أدوات خاصة بالتخييم.

هزت كتفيها إلى أعلى وواصلت مراقبتها لهما. شعرت أنها تتجسس عليهما، ولكن كان عليها أن تقر لنفسها أن هذا يشعرها بشىء من السعادة. لم يكن أى منهما يعرف أن هناك شخصا يراقبه بالأعلى على الجانب المقابل من النهر ويتفحصه كما لو كان دبا أو

قطيعاً من الغزلان.

"هل يتحاوران؟". همست: "يبدو لى ذلك".

كان هناك شىء عدوانى وغاضب فى هيئة المرأة وعندما رفعت إصبعها وأشارت إلى الرجل؛ أطلقت ريسى صفيرا خفيضا.

" أجل؛ نعم؛ أنت حانقة. كنت تريدين الإقامة فى فندق لطيف لكى تحظى بالتدفئة وخدمة الغرف، ولكنه جاء بك إلى هنا للإقامة داخل خيمة".

ثم تقدم منها الرجل وكأنه حكم يسعى للسيطرة على المباراة، ولكنها فى هذه المرة لطمته على وجهه " يا إلهى!". أجفلت ريسى، وأمرت نفسها بأن تنكس نظارتها. لم يكن من الصواب أن أتجسس عليهما؛ ولكنها لم تقو على مقاومة رغبتها فى متابعة تلك الدراما الخاصة فأبقت على نظارتها.

ثم لطمت المرأة الرجل بكلتا يديها فى صدره ثم صفعته ثانية. بدأت ريسى تنكس نظارتها عندها لما شعرت أن ذلك المشهد العنيف قد بدأ يشعرها بشىء من الاضطراب.

ولكن يدها تجمدت وانخلع قلبها عندما رأت الرجل يطيح بذراعيه إلى الخلف. لم يكن بوسعها أن تتوقع ما إن كان بصدد لطمة أو وكزة؛ ولكن المرأة ظلت تتطاول عليه.

همست: "كلا. كلا. لا تفعل كلا؛ لا تفعل. يجب أن تتوقفا كلاكما الآن. الآن، فورا".

و لكن المرأة بدلا من ذلك؛ انقضت على الرجل وهى مشحونة. وقبلما يتسنى لها أن تنجز أياً مما كانت قد نوت عليه؛ دُفعت إلى الخلف، وسقطت على الأرض بقوة.

سار الرجل ووقف قبالتها بينما كان قلب ريسى ينتفض داخل ضلوعها. ثم انحنى نحوها وكأنه يسعى لمساعدتها على النهوض بينما احتضنت المرأة نفسها بكلتا ذراعيها. كان فمها ينزف؛ ربما أنفها، ولكن شفتيها كانت تتحركان بسرعة. كانت تصرخ فى وجهه؛ فكرت ريسى؛ كفى عن الصراخ فى وجهه؛ سوف تزيدين الأمر سوءاً.

ولكن الأمر ازداد سوءا؛ ازداد فظاعة عندما أمسك بها ورفع

رأسها إلى أعلى ممسكا بشعرها ثم ألقاها على الأرض. نهضت ريسى بدون أن تشعر على قدميها بينما كان صدرها يحترق بالصرخات؛ وثبتت بصرها على نظارتها، ورأت الرجل وهو يمد يديه ويحكم قبضته حول رقبة المرأة.

أخذ يركلها بحذائه العالى على الأرض بينما تكور الجسم وانطوى على نفسه، وعندما خمدت أنفاسه؛ سمعت صوت هدير النهر وصوت صرخات النحيب وهى تنطلق من أعماق صدرها.

استدارت وتعثرت وسقطت بقوة على ركبتيها، ثم تحاملت على نفسها إلى أن وقفت على قدميها وجرت.

تلطخ حذاؤها العالى وهو ينزلق بطول الطريق بينما كانت تعدو فوق المنحدر بسرعة جنونية. أخذ قلبها يهدر ويحدث دويا فى صدرها، وانتابتها حالة من الذعر الجارف عندما تعثرت وانزلقت فوق الطريق المتعرج. لقد تحول وجه المرأة ذات المعطف الأحمر إلى وجه آخر؛ وجه ذى عينين جاحظتين زرقاوين مثل عينى الدمى.

جينى! لا لم تكن جينى. لم تكن هذه بوسطن. لم يكن هذا حلما.

ولكن الأمور كلها أخذت تختلط فى عقلها إلى أن سمعت صوت الصرخات والضحكات والطلقات النارية، إلى أن بدأ قلبها يرتجف ويخفق والعالم كله يدور ويتهاوى من حولها.

ارتطمت بشدة بـ (برودى) وقاومت قبضته بعنف.

"كفى. هل أنت مجنونة؟ هل أنت انتحارية؟" كان صوته حادا؛ دفعها نحو الصخرة واحتواها بين ذراعيه عندما وجد ركبتيها تتهاويان. " توقفى الآن! إن الهيستريا لن تجدى. ما الذى حدث؟ هل رأيت دبا؟".

"لقد قتلها؛ لقد قتلها. لقدرأيته. لقد رأيته". ولأنه كان هناك؛ ألقت نفسه بين أحضانه ودفنت رأسها فى كتفه، مستطردة: "لقد رأيته. لم تكن جينى. لم يكن كابوساً. لقد قتلها؛ قتلها أمام النهر".

تراجع إلى الوراء وأمسك بكتفيها، قائلا: "تنفسى"، ثم نكس رأسه إلى أسفل إلى أن التقت أعينهما، قائلاً: "قلت لك تنفسى.

حسنا. ثانية. ومرة أخرى".

"حسنا. حسنا. أنا بخير"؛ التقطت نفسا عميقا ثم زفرته، قائلة: "أرجوك ساعدنى، أرجوك. لقد كانا أمام النهر ولقد رأيتهما. رأيتهما بهذه النظارة المكبرة". رفعت نظارتها المكبرة بيد مرتجفة، مستطردة: "لقد قتلها ولقد رأيته".

"أرينى".

أغمضت عينيها، ولكنها لم تكن وحدها هذه المرة؛ كان هناك شخص؛ شخص يستطيع أن يساعدها. " بالأعلى ولكننى لا أدرى المسافة التى قطعتها ولكن بالأعلى".

لم تكن تريد أن تعود أدراجها ثانية؛ لم تكن تريد أن ترى ثانية؛ ولكنه أمسك يدها وقادها إلى هناك .

قالت فى نبرة أكثر هدوءا: "لقد توقفت لتناول الطعام لكى أشاهد الماء والشلالات المائية الصغيرة. كان هناك صقر".

"أجل؛ لقد رأيته".

"كان جميلا، فوضعت نظارتى. ظننت أننى يمكن أن أرى دبا أو موظا. لقد قابلت موظا صباح اليوم عند البحيرة. لقد ظننت ...". كانت تعلم أنها تهذى ؛ حاولت أن تمنع نفسها، ولكنها أضافت: "كنت أراقب الأشجار والصخور ثم رأيت شخصين".

"كيف كان شكلهما؟".

"لم ... لم أتمكن من رؤيتهما بشكل جيد". عقدت ذراعيها فوق صدرها، وخلعت سترتها ووضعتها على الصخرة التى كانت قد تناولت عليها غداءها، لكى تجف تحت أشعة الشمس.

و لكنها كانت الآن تشعر ببرودة شديدة. تشعر بالبرودة تخترق عظمها.

" ولكن شعرها كان طويلا. شعر أسود طويل وكانت ترتدى معطفا أحمر اللون وقبعة، وكانت تضع نظارة شمسية. ولم أر إلا ظهره".

" ما الذى كان يرتديه؟".

" أظن سترة سوداء وقبعة برتقالية. مثل ملابس الصيادين. لقد كان ... نعم ... أظن أنه كان يرتدى نظارة شمسية هو الآخر.

ولكننى لم أر وجهه. ها هى حقيبتى؛ لقد تركت كل شىء هنا وجريت. لقد كان هناك؛ هناك". أشارت وأسرعت خطاها، مستطردة: "لقد كانا هناك أمام الأشجار؛ ولكنهما اختفيا الآن ولكنهما كانا هناك؛ هناك بالأسفل. لقد رأيتهما. يجب أن أجلس".

عندما أخفضت جسدها فوق الصخرة؛ لم ينطق بكلمة ولكنه أخذ منها النظارة التى كانت تضعها حول عنقها. نظر إلى أسفل ولكنه لم ير أى أثر لشخص.

"ما الذى رأيته تحديدا؟".

"كانا يتشاجران، وقد تبينت أنها كانت غاضبة حانقة عليه من هيئتها فى الوقوف. كانت تضع يديها على ركبتيها. كانت عدوانية". كان عليها أن تبتلع ريقها وتركز لأن معدتها كانت قد بدأت تضطرب. وهى ترتجف؛ التقطت سترتها وارتدتها. ربطتها بإحكام حول جسدها، ثم أضافت: "صفعته؛ ثم دفعته إلى الوراء ثم صفعته ثانية. وعندها ضربها. رأيت الدماء على وجهها. أعتقد أننى رأيت الدماء على وجهها. يا إلهى؛ يا إلهى!".

ما كان من برودى ألا أن وجه نظره تجاه ريسى، قائلاً: "لن تصابى بالهيستريا ثانية. يجب أن تنهى القصة وتخبرينى بما رأيته فعلاً".

"ثم انحنى عليها وأمسك بشعرها وضرب رأسها بالأرض؛ أعتقد. لقد بدا الأمر ... لقد خنقها". عندما استعادت الأحداث؛ أخذت ريسى تحك مؤخرة يدها بفمها وتدعو الله أن تتمالك نفسها. "لقد خنقها؛ وكانت تركل الأرض بقدميها إلى أن خمدت أنفاسها. جريت؛ وصرخت وفكرت ولكن المكان بعيد؛ بعيد".

"إنها مسافة طويلة والرؤية صعبة؛ حتى بالمنظار؛ فهل أنت واثقة مما رأيته؟".

عندها رفعت رأسها إلى أعلى؛ كانت عيناها متورمتين ومنهكتين، فقالت: "هل سبق ورأيت شخصا مقتولا؟".

"كلا".

دفعت نفسها إلى أعلى ومدت يدها نحو حقيبتها، قائلة: "أما أنا فقد رأيت. لقد أخذها فى مكان ما؛ حمل جثتها بعيدا. لقد سحبها

بعيدا؛ ولكنه قتلها وهو الآن يفلت بفعلته. يجب أن نحصل على المساعدة".

"أعطنى حقيبتك".

"أستطيع أن أحملها بنفسى".

سحبها منها ونظر إليها فى إشفاق، قائلاً: "احملى حقيبتى أنا؛ إنها أخف وزنا". خلع الحقيبة عن ظهره ومنحها إياها، قائلاً: "يمكننا أن نبقى واقفين هنا نتجادل فى الأمر. هذا لا يزعجنى؛ ولكننا سوف نهدر الوقت".

حملت حقيبته على ظهرها، وبالطبع كان محقا. كانت أخف كثيرا من حقيبتها. كانت قد حملت معها الكثير؛ كانت فقط تريد أن تكون واثقة من ...

"الهاتف الجوال! يا لى من حمقاء!".

قال بينما كانت تدس يدها فى جيبها: "ربما، ولكن الهاتف الجوال لن يجدى هنا، فليس هناك إرسال".

بالرغم من أنها واصلت سيرها إلا أنها على رأيها، فقالت: "قد نصل إلى بقعة يمكن الاتصال منها، ثم إننا سنستغرق وقتا طويلا إلى أن نعود إلى البلدة. يمكنك أن تسير بسرعة أكبر بمفردك. يجب أن تسبقنى".

"كلا".

"ولكن -".

"من الذى قتل أمامك من قبل؟".

"لا يمكننى أن أتحدث فى هذا الأمر. كم سنستغرق من الوقت إلى أن نصل البلدة؟".

"سنصل عندما نصل. ولا تبدئى قصيدة السؤال عن وقت العودة".

كادت تبتسم. كان سريعا ومفاجئا وكان يدفع الخوف عنها. كان محقا. سوف يصلان عندما يصلان. سوف يفعلان ما يجب عليهما فعله فور العودة.

إن سرعة خطوته وهو يلتهم الأرض؛ جعلتها تدرك أنها سوف تقطع طريق العودة فى نصف الوقت الذى استغرقته فى طريق

الذهاب إن نجحت فى مسايرته.

"تحدث معى؛ من فضلك، تحدث معى فى أى شىء آخر، أى شىء. حدثنى عن روايتك الجديدة".

"لا، أنا لا أتحدث عن عمل مازال تحت الإعداد".

"حدثنى عن الذوق الفنى".

"كلا هذا حديث ممل".

" لن أمل".

رماها بنظرة ثم قال: "ممل بالنسبة لى".

"يا إلهى!"؛ كانت تريد كلمات؛ منها أو منه. أى كلمات. "حسنا؛ لم اخترت أنجيل فيست؟".

"ربما لنفس السبب الذى اخترتها أنت من أجله. كنت أبحث عن تغيير فى المشاهد".

"لأنك فِصلت من عملك فى شيكاغو".

"أنا لم أُفصل".

"ألم تلكم رئيسك فى العمل وتُفصل من جريدة الـ تريبيون؟ هذا هو ما سمعته".

"لقد لكمت من يمكن أن أطلق عليه . تجاوزا . زميلاً لى فى العمل لأنه سرق الكتابات التى كنت قد أعددتها لإحدى القصص، ولكن بما أن رئيسى فى العمل كان قريب هذا الأحمق؛ فقد صدق كلامه هو؛ فقدمت استقالتى".

"لكى تؤلف روايات. هذا ممتع".

"أظن ذلك".

"أراهن على أنك قد قتلت هذا الأحمق فى أولى رواياتك".

نظر إليها ثانية ولمحت الدهشة فى عينيه؛ عينين ذواتى لون أخضر مثير للاهتمام، فقال: "أنت محقة. لقد ضربته حتى الموت بالفأس. وقد شعرت عندها بتمام الرضا".

"كنت أحب قراءة الألغاز والقصص المثيرة؛ ولكننى لم أتمكن من مواصلة قراءتها ... لفترة". تجاهلت عضلات ساقها المجهدة وهما يواصلان الهبوط.

كان عليها أن تسير بشكل مختلف الآن، وهى تهبط المنحدرات.

كان يجب أن تبقى وزنها إلى الأمام وتسير على أصابع قدميها بدلا من كعبيها، كما كان يفعل برودى.

"ربما يمكننى أن أقرأ إحدى رواياتك".

رفع كتفيه فى تجاهل ثانية، قائلاً: "يمكنك أن تفعلى ما هو أسوأ من ذلك".

٦

سارا فى صمت لفترة من الوقت عبر السهول حول المستنقع. تذكرت أنها كانت قد رأت البط وهو يسبح فى البحيرة؛ وكذلك مالك الحزين، وتلك السمكة المسكينة التى فتك بها. شعرت بتيبس عضلات جسدها وشرود ذهنها.

"برودى؟".

"مازلت هنا".

"هل ستصحبنى إلى قسم الشرطة؟".

توقف عن الشراب، ثم مد لها يده بزجاجة الماء. كانت عيناه باردتين وهادئتين وهو ينظر إليها؛ عينان خضراوان مثل أوراق

الشجر فى أواخر فصل الصيف.

"سوف نتصل من منزلى بالقسم. سوف يكون هذا أقرب من قطع الطريق الطويل إلى البلدة".

"شكرا".

فى ارتياح وشعور بالامتنان؛ واصلت ريسى سيرها وهى تضع قدمًا أمام الأخرى فى اتجاه أنجيل فيست.

لكى تحافظ على تركيزها؛ أخذت تسترجع بعض وصفات الطعام، وتتصور نفسها وهى تزن المقادير وتعد الوجبات.

علق برودى قائلاً: "يبدو هذا جيدا"، ثم صرف بصره عنها "ماذا؟".

"أياً ما كان يدور هنا" وأشار بإصبعه إلى صدغه، مستطرداً: "أهو الجمبرى المشوى؟".

قالت فى نفسها؛ ليس هناك داع؛ ليس هناك أى داع بالمرة للشعور بالحرج. كانت قد تخطت هذا الحد بزمان، فأجابت: "الجمبرى المشوى. لم أكن أعرف أننى كنت أتحدث مع نفسى". بقيت مثبتة نظرها أمامها، ثم أضافت: "إنها مشكلة أعانى منها".

"لا أرى أى مشكلة فى ذلك باستثناء أننى جائع، وليس هناك جمبرى هنا".

"إننى فقط بحاجة للتفكير فى شىء آخر. أى شىء آخر. أنا فقط بحاجة. يا إلهى؛ يا ربى!". شعرت بانقباض فى صدرها وتهدج فى أنفاسها. لقد فاجأتها نوبة قلق جعلتها تحس بغصة فى حلقها، ثم شعرت بدوار فى رأسها ومالت بخصرها إلى الأمام وهى عاجزة عن التقاط أنفاسها، قائلة: "لا أستطيع أن أتنفس؛ لا أستطيع".

"بلى، تستطيعين، بل إنك تتنفسين بالفعل؛ ولكنك إن واصلت تنفسك على هذا النحو فسوف تفرطين فى التنفس وتنهارين فوقى، وأنا لن أستطيع بحال أن أحملك بطول طريق العودة؛ لذا عليك بتمالك نفسك". كانت نبرة صوته حازمة وحاسمة وهو يجذبها إلى الأمام. التقت عيناهما، وهو يقول: "تمالكى نفسك".

"حسنا" كان هناك إطار ذهبى حول بؤبؤ عينه وفى جانب حدقة العين. ربما كان هذا هو ما يجعلها عميقة التأثير إلى هذا الحد.

"أنهى طهى الجمبرى".

"ماذا؟".

"أنهى طهى الجمبرى".

" أجل؛ أجل. أضف نصف الثوم المفروم إلى إناء الجمبرى المشوى؛ قلبه، ثم انقله فى طبق التقديم وزينه بشرائح الليمون وبعض الأوراق الخضراء وقدمه مع خبز السيباتا المحمص وباقى الثوم المفروم".

"إن نجحت فى الحصول على جمبرى؛ يمكنك أن تردى الجميل وتعدى لى طبقاً مثل هذا".

"بالطبع".

"ولكن ما هو خبز السيباتا هذا؟".

لم تدر لم أثار هذا السؤال ضحكها؛ ولكن ذهنها أصبح أكثر صفاء مع مواصلة السير، فقالت: "يطلق عليه أيضا اسم الخبز الإيطالى. إنه شهى. سوف يعجبك".

" أنت إذن تخططين للارتقاء بمطعم جوانى؟".

"كلا؛ إنه ليس مكانى".

أضاف قائلا عندما بقيت صامتة: "وهل كنت تملكين مكانا؟ مكانك الخاص؟ مطعمك؟ إن الطريقة التى تمارسين بها عملك فى المطبخ تؤكد أنك كنت تديرين مطبخا من قبل؟".

"كنت أعمل فى أحد المطاعم؛ ولكننى لم أملك يوما مطعماً خاصاً. لم أرغب فى ذلك أبداً".

"و السبب؟ أليس هذا هو الحلم الأمريكى؟ أن يكون لكل شخص ممتلكاته الخاصة؟".

"إن الطهى فن. أما امتلاك مكان فهو يكبلك بالأعباء. كنت فقط أريد أن ...".

كانت على وشك القول بأنها تريد أن تبدع، ولكنها شعرت أن هذا سوف يجعلها تبدو متفاخرة، فقالت: "كنت أريد أن أطهو".

"كنت تريدين؟".

"أريد أن ... ربما ... لا أدرى ما الذى أريده"، ولكنها كانت تعلم؛ وبينما كانا يشقان طريقهما عبر الغابة الخلابة؛ قررت أن

تتحدث، فقالت: "أريد أن أصبح طبيعية ثانية؛ أن أكف عن الخوف. أريد أن أكون ما كنت عليه منذ عامين ماضيين، لذا فأنا أحاول أن أعرف ما الذى سوف أكون عليه لباقى حياتى".

"ولكن باقى حياتك هذا وقت طويل. ربما تودين أن تعرفى ما الذى سوف تكونين عليه على مدى الأسبوعين التاليين".

نظرت إليه، ثم أشاحت عنه بوجهها، قائلة: "ربما على أن أبدأ بمعرفة ما سأكون عليه على مدى الساعتين التاليتين".

اكتفى برفع كتفيه إلى أعلى وهو يدس يده لاستخراج هاتفه الجوال. بدت له المرأة سلسلة من الألغاز المعقدة. قد يكون من المثير أن تسعى للكشف عن ذاتها والتعرف على لب المشكلة. لم يكن يراها ضعيفة كما كانت هى ترى نفسها. لم يكن من السهل على أحد أن يقطع كل مسافة العودة الطويلة بدون أن ينهار بعدما رأى ما رأته.

"لابد أن هناك إرسالاً هنا" قالها وضغط على بعض الأرقام، وتحدث فى الهاتف، قائلاً: "أنا برودى. أود أن أحادث مأمور القسم. كلا. الآن".

قررت ريسى أنه ليس بوسعها مجادلته؛ فقد كانت نبرته قوية وآمرة؛ لأنها كانت مجردة من حس الحاجة الملحة. أخذت تسائل نفسها؛ هل يمكن أن تسترجع فى يوم من الأيام ولو قدراً من هذا التحكم وهذه الثقة؟

"ريك؛ أنا مع ريسى جليمور؛ على بعد ربع ميل من كبينتى فى ليتل أنجيل تريل. أريدك أن تقابلنا هناك. أجل؛ هناك مشكلة. لقد شهدت جريمة قتل. أجل هذا هو ما قالته. سوف تخبرك بكل ما رأته. إننا على وشك الوصول".

أغلق الهاتف وأعاده إلى جيبه، قائلاً: "سوف أقدم لك نصيحة بالرغم من أننى أكره النصائح كلها - توجيهها وتلقيها".

"ولكن".

"ولكن عليك أن تظلى محتفظة بهدوئك. أما إن كانت ستنتابك الحالة الهيستيرية ثانية فتصيحين وتصرخين وتدوخين؛ فعليك الانتظار لحين انتهاء سماع أقوالك، بل الأفضل أن تنتظرى لحين

مغادرتك الكبينة بالمرة؛ لأننى لا أريد أن أواجه هذا الموقف. كونى دقيقة وواضحة وأوجزى".

"إن بدأت أفقد توازنى؛ فهل يمكنك أن توقفنى؟". شعرت بعبوسه فى الواقع قبل أن ترى وجهه؛ فاستطردت قائلة: "أعنى قاطعنى أو اكسر مصباح الإضاءة. لا تقلق سوف أسدد لك ثمنه. افعل أى شىء لكى أتمالك نفسى".

"ربما".

"أستطيع أن أشم رائحة البحيرة. يمكنك رؤيتها عبر الأشجار. أشعر دائما أننى فى حال أفضل عندما أرى الماء. ربما يجدر بى أن أعيش فوق جزيرة باستثناء أن المياه سوف تكون غامرة. يجب أن أثرثر لبعض الوقت. ليس عليك أن تصغى".

ذكرها قائلاً: "ولكننى أملك أذنين"، ثم انحرف نحو أقصر الطرق الموصلة إلى كبينته.

قاده الطريق إلى مؤخرة الكبينة الكامنة وسط الأشجار والنباتات العطرية. أدركت عندها أنه يمكنه رؤية الجبال من أية نافذة.

"إنها بقعة لطيفة. أنت تقطن فى بقعة لطيفة"، ولكنها شعرت بالذهول عندما فتح الباب الخلفى؛ لم يكن الباب مغلقا. كان بوسع أى أحد أن يقتحم المكان من خلال الباب غير المغلق.

عندما لم تتبعه؛ استدار نحوها، قائلاً: "هل تريدين البقاء هنا لحين التحدث مع ريك؟ المأمور؟".

"كلا" ثم استجمعت شجاعتها، ودخلت عبر الباب وراءه.

ثم إلى المطبخ. لاحظت أن المكان كان صغيرا؛ ولكنه مصمم بشكل جيد للغاية. كان مستوى نظافة المكان يؤكد أنه رجل؛ ينظف مثل باقى الرجال. يا له من تعميم صارخ؛ هكذا فكرت فى نفسها، ولكن معظم الرجال الذين كانت تعرفهم ممن لم يكونوا من أصحاب نفس مهنتها كانوا ينظفون أسطح المطبخ فقط؛ يغسلون الصحون، وربما يمسحون المائدة، وهكذا يعتبرون أنفسهم قد أنجزوا كل ما يجب فعله.

كانت هناك تفاحتان وموزة تكاد تكون معطوبة داخل إناء

للفاكهة فوق المنضدة الحجرية الرمادية وإناء لإعداد القهوة وفرن لتحميص الخبز يبدو متهالكاً ودفتر كتابة.

توجه برودى فى الحال نحو إناء إعداد القهوة وملأه قبل أن يخلع سترته. بقيت ريسى واقفة فى مكانها بعد عتبة الباب مباشرة بينما تقدم هو نحو حامل عليه ثلاثة أكواب كبيرة بيضاء.

"هل لديك شاى؟".

رماها بنظرة مرحة من فوق كتفه، قائلاً: "بالطبع، ولكن دعينى أعثر أولا على إبريق الشاى؟".

"سوف أعتبر هذه إجابة بالنفى. أنا لا أشرب القهوة؛ إنها تجهد أعصابى. أكثر مما هى مجهدة بالفعل". غيرت أسلوبها عندما قطب فى وجهها فى استغراب، فقالت: "الماء. الماء سوف يكون كافيا، وهل تترك الباب الأمامى مفتوحا هو الآخر أيضا؟".

"ليس هناك أى مبرر لإغلاق الأبواب. إن كان أحدهم يريد اقتحام المكان فسوف يكسر الباب أو النافذة ويدخل". عندما شحب وجهها؛ رفع رأسه وسألها: "ماذا؟ هل تريدين أن أتفقد خزانة الملابس، وأفتش تحت السرير؟".

أدارت وجهها ببساطة بعيدا عنه لكى تخلع عنها حقيبته، قائلة: "أراهن أنك لم تشعر بالخوف يوما فى حياتك".

لقد أثارها ردى؛ هكذا فكر فى نفسه؛ وهو يفضل نبرة الغضب والتطاول فيها عن الارتجاف والخوف، فقال: "مايكل مايرز".

استدارت وراءها فى اضطراب، قائلة: "من؟ شريك؟".

"يا إلهى! أيتها النحيفة؛ مايك ميارز. مايكل مايرز. ذلك الفتى المروع الذى يرتدى قناعاً فى فيلم هالووين؟ لقد شاهدته على الفيديو عندما كنت فى قرابة العاشرة من العمر. لقد أفزعنى، وبقى مقيما فى خزانة ملابس غرفتى لسنوات بعدها".

أرخت كتفيها قليلا وهى تخلع سترتها، قائلة: "وكيف تخلصت منه وقد بقيت تشاهده فى الأفلام؟".

"أحضرت فتاة إلى غرفتى وأنا فى السادسة عشرة، جنيفر ريدجيواى. كانت فتاة صهباء جميلة تملك الكثير من ... الطاقة. وبعد ساعتين قضيتهما معها فى الظلام؛ تلاشى خوفى من مايكل

مايرز".

"هذا هو ما يسمى العلاج مع الجنس الآخر".

"وقد نجح هذا العلاج معى"، ثم قام نحو الثلاجة واستخرج منها زجاجة ماء، مضيفاً: "أخبرينى إن كنت تريدين تجريب هذه الطريقة".

"سوف أفعل". وفى استجابة آلية تلقائية؛ تلقفت الزجاجة التى ألقاها إليها، ولكنها كادت تسقطها وتيبس كتفها ثانية عندما سمعت نقراً على الباب الأمامى.

"هذا هو المأمور. إن مايكل مايرز لا يطرق الباب. هل تريدين الإدلاء بأقوالك هنا؟".

نظرت إلى مائدة المطبخ، قائلة: "هذا المكان يناسبنى؛ انتظر قليلا".

عندما ذهب لكى يفتح الباب؛ فتحت الزجاجة وشربت الماء البارد؛ شديد البرودة. سمعت صوت الهمسات الخفيضة وصوت نقر أحذية الرجال. ذكرت نفسها: اهدئى، اهدئى؛ كونى واضحة ودقيقة.

دخل ريك وأومأ إليه بعينين عجزت عن قراءة ما بهما، ثم قال: "لقد صادفت يا ريسى بعض المشاكل كما فهمت".

"أجل".

"دعينا نجلس هنا؛ لكى تقصى علىَّ ما رأيته".

جلست؛ وبدأت وهى تناضل لكى تقص عليه التفاصيل بدون الاستغراق نفسيا بداخلها، وبدون استرجاع أية أحداث مشابهة لها. وفى صمت؛ صب برودى القهوة ووضع كوبا أمام ريك.

بينما كانت تتحدث؛ كانت تمرر يدها أعلى وأسفل الزجاجة بينما كان المأمور يدون ما تقوله ويراقبها. مال برودى فى اتجاه المنضدة وأخذ يحتسى القهوة بدون أن يتفوه بكلمة.

"حسنا؛ أخبرينى إذن هل يمكنك التعرف على أى منهما؟".

"هى؛ ربما؛ ربما. ولكننى لم أره هو. لم أر وجهه؛ أعنى أنه كان يعطينى ظهره وكان يضع قبعة فوق رأسه. أظن أن كليهما كان يرتدى نظارة شمسية. كانت هى ترتدى نظارة فى البداية. كانت

صاحبة شعر بنى أو أسود، وإن أعتقد أنه بنى؛ على ما أظن شعر بنى طويل مموج. وكانت ترتدى سترة حمراء وقبعة، أو طاقية".

استدار ريك لكى ينظر إلى برودى، قائلاً: "ما الذى رأيته؟".

"ريسى". ثم سار برودى عائدا نحو الحامل ثم أعاد كوبه عليه، مستطرداً: "كانت على بعد ما يقرب من ربع ميل على الطريق منى عندما توقفت. لم يكن بوسعى رؤية المكان الذى رأته هى من حيث كنت أجلس، حتى ولو كنت أنظر فى نفس الاتجاه".

ضغط مردسون على شفته السفلى، قائلاً: "لم تكونا معًا إذن".

"كلا؛ كما قالت ريسى؛ لقد جاءت إلى حيث كنت أعمل وتبادلنا حوارا مقتضبا ثم واصلت سيرها. بقيت وحيدا لما يقرب من ساعة بعدها ثم وجدتها تعدو نحوى. أخبرتنى بما حدث فصعدت معها إلى حيث كانت تقف".

"وهل رأيت أى شىء عندها؟".

"كلا. هل تريد أن أحدد لك تلك البقعة؟ يمكننى أن أريك إياها على الخريطة".

"سوف أقدر لك هذا يا برودى". ثم استطرد ريك فى حديثه عندما خرج برودى: "هل رأيت أى قارب أو سيارة أو شاحنة؟ أو أى شىء من هذا القبيل؟".

"كلا. لقد بحثت بالفعل عن قارب ولكننى لم أر شيئا. ففكرت أنهما ربما جاءا للتخييم فى هذه البقعة، ولكننى لم أجد أية معدات أو خيام. لقد رأيتهما هما فقط. رأيته وهو يخنقها".

بادرها قائلاً: "أخبرينى بكل التفاصيل الممكنة عنه؛ أى شىء يخطر على بالك بشأنه، من يدرى؟ ربما نجد خيطا فى هذه التفاصيل يقودنا إلى الرجل".

"لم أكن منتبهة إليه فى واقع الأمر. كان أبيض؛ أنا واثقة من ذلك. رأيت يديه ولكنه كان يرتدى قفازين، أسودين أو بنيين. ولكن وجهه من الجانب ... أنا واثقة من أنه كان أبيض. أظن أنه من أصل هسبانى أو أمريكى أصلى. كان بعيدا للغاية حتى بالنظر من خلال النظارة. فى البداية؛ كنت أسعى فقط للاستمتاع بوقتى

بمراقبتهما. ثم صفعته، ثم صفعته ثانية، ولكنه فى هذه المرة دفعها؛ أو ضربها، فسقطت. كل هذا حدث فى سرعة بالغة. كان يرتدى سترة سوداء. سترة سوداء وإحدى قبعات الصيد؛ برتقالية أو برتقالية ضاربة إلى الحمرة".

"حسنا؛ هذه بداية جيدة. وماذا عن شعره؟".

"لا أظن أننى لاحظت شعره".

شعرت برغبة فى الارتجاف. لقد كان الأمر كذلك من قبل؛ الأسئلة التى . ببساطة . لم تكن تجد لها إجابة. فما كان منها إلا أن قالت:"لقد كان يغطى شعره بالقبعة على ما أظن ومعطفه. لا أظن أن شعره كان طويلا. لقد صحت؛ صرخت ربما، ولكنهما لم يسمعا. كنت أحمل معى آلة التصوير فى حقيبتى؛ ولكن لم يخطر على بالى استخدامها. لقد تجمدت ثم جريت".

"أظن أنه كان يمكنك أن تقفزى فى النهر؛ وتسبحى فيه ثم تقبضى عليه وتسلميه للسلطات بقوة إرادتك". كان تعليق برودى غير عابئ عندما عاد حاملا خريطة للمنطقة. بسط برودى الخريطة على المائدة وأشار بإصبعه نحو البقعة المقصودة ، قائلاً: "هنا".

"هل أنت واثق من هذا؟".

"أجل".

أومأ ريك ونهض على قدميه، قائلاً: "حسناً، إذن، سوف أتوجه إلى هناك على الفور؛ وأرى ما يمكننى عمله. لا تقلقى يا ريسى؛ سوف نعتنى بالأمر. سوف أعاود الاتصال بك. ولكن فى هذه الأثناء؛ أريدك أن تفكرى فى الأمر ثانية. إن طرأ أى جديد على بالك أو تذكرت أى شىء؛ حتى إن بدا لك غير ذى أهمية؛ فيجب أن تبادرى بإخبارى. اتفقنا؟".

"أجل، أجل، اتفقنا. شكرا".

بعدما أومأ إلى برودى؛ التقط ريك قبعته وغادر المكان.

قالت ريسى وهى تطلق تنهيدة طويلة: "حسناً، هل تظن أنه يستطيع أن ... هل هو كفء؟".

"لم أر منه ما يجعلنى أشك فى كفاءته؛ ولكن معظم الحوادث

فى منطقتنا تنحصر فى حوادث سكر أو بعض الفوضى أو بعض الشجارات الأسرية، أو إقدام بعض الصغار على سرقة محتويات المتاجر، ولكنه يجيد التعامل مع كل هذه الأشياء، وإن حدث وفقد أحد الأشخاص من متسلقى الجبال أو راكبى القوارب أو أصيب أو وقع أى حادث مرورى عندما تعج البلدة بالسياح؛ فإنه يبدو دائما قادرا على إنجاز المطلوب. إنه ... متفانٍ فى عمله؛ أظن أن هذا هو الوصف الذى يناسبه".

"ولكن جرائم القتل؛ إنه أمر مختلف".

"ربما، ولكنه الرجل المسئول هنا، وبما أن هذا حدث خارج حدود البلدة؛ فسوف يتعين عليه أن يتصل بالمدينة أو الولاية. لقد رأيت ما رأيت وأبلغت عنه وأدليت بأقوالك. هذا كل ما يمكن عمله".

"أجل أنت محق". تماما كما حدث لها من قبل؛ ليس هناك شىء آخر يمكن أن تفعله، فأضافت: "إذن سوف أرحل الآن. شكرا لك على ... كل ما فعلته" قالتها وهى تنهض من على المقعد.

"ليس هناك شىء آخر يمكننى أن أفعله أنا أيضا؛ سوف أوصلك إلى منزلك بالسيارة".

"لا تزعج نفسك. يمكننى أن أسير".

رفع حقيبتها وخرج من المطبخ نحو الباب، قائلاً: "لا تكونى حمقاء".

ولأنها شعرت بالفعل بالحمق؛ فقد سحبت ريسى سترتها وسارت وراءه. خرج من الباب مباشرة بدون أن يمنحها الوقت الذى كانت ستحب فيه أن تتفحص المكان وتراقب تفاصيله؛ ولكنها كانت قد كونت انطباعا سريعا وهو أن المنزل يتسم بالبساطة، وبعض الفوضى المعقولة والسمات التى يتصف بها عادة منزل الرجل الأعزب".

لم تكن هناك زهور أو لمسات جمالية أو وسائد مبعثرة على الأرض، أو أى لمسة ملطفة فى الجزء الخاص بالمعيشة الذى مرت به. كانت هناك أريكة ومقعد واحد ومائدتان ومدفأة حجرية مريحة تغطى الجدار البعيد.

كان المنزل ذا طابع جاف وخطوط مستقيمة؛ لم تلحظ فيه أى

شىء لافت قبل خروجها من الباب.

بدأت حديثها، قائلة: "لقد سببت لك الكثير من الإزعاج اليوم".

"أنت محقة تماما. هيا بنا".

توقفت وقد تحول شعورها بالتقدير إلى رغبة فى السباب والثورة. لقد تلاشى شعورها بالتقدير، فقالت: "أنت فظ؛ عديم الأحاسيس؛ سليط اللسان".

مال على سيارته، مجيبا: "وما الذى ترمين إليه من وراء قولك هذا؟".

"لقد قُتلت امرأة اليوم؛ خُنقت حتى الموت. هل تفهم ذلك؟ لقد كانت حية؛ ولكنها الآن ميتة، ولم يتمكن أحد من مساعدتها. لم أتمكن من مساعدتها؛ بقيت واقفة أراقب كل ما يجرى من مكانى هناك. لم أفعل شيئا؛ تماما مثلما حدث من قبل. لقد شاهدته وهو يقتلها وأنت الشخص الوحيد الذى استطعت أن أقص عليه ما جرى، وبدلا من أن تثور ثائرتك وتغضب وتتعاطف مع الحدث؛ قابلته ببرود واقتضاب ورغبة فى التنصل مما جرى. اذهب إذن إلى الجحيم. إننى أفضل أن أسير لستة أميال إضافية بدلا من أن أركب معك سيارتك الغبية البالية مسافة ميلين. أعطنى حقيبتى اللعينة".

بقى واقفا فى مكانه بعدما تلاشت علامات السأم من على وجهه، ثم قال: "لقد كنت أتساءل إلى الآن إن كان سلوكك طبيعيا؛ فهل أصبحت فى حال أفضل الآن؟".

كرهت اندفاعها على هذا النحو، وشعرت بالحنق لأن لامبالاته أثارتها حتى جعلتها تصب جام غضبها وقلقها وخوفها عليه، فقالت: "يمكنك أن تذهب إلى الجحيم".

"أتمنى أن أجد لنفسى مكانا محجوزا هناك، ولكننى الآن أريدك أن تركبى السيارة. لقد مررت بيوم عصيب". ثم فتح الباب، مستطرداً: "ولكن للعلم فقط فإن الرجل لا يكون بارداً؛ وإنما يكون صلبا، وهذا أفضل".

قالت: "أنت رجل مستفز ومحير"، ولكنها ركبت السيارة.

"هذا مقبول أيضا".

صفع الباب ثم توجه نحو مقعد السائق. بعدما وضع حقيبتها فوق المقعد الخلفى وجلس وراء عجلة القيادة، سألته: "هل كان لديك أى أصحاب فى شيكاغو ؟ أو بعض الأشخاص ممن يرونك مستفزاً ومحيراً وصلبًا كما تقول؟".

"لدى من الصنفين؛ على ما أظن".

"ألا يجب أن يكون الصحفى صاحب لمسة إنسانية حتى يُشعر الآخرين بالارتياح والبوح بمكنون أنفسهم؟".

"لا أدرى، ولكننى لم أعد صحفياً على أية حال".

"ولكن كاتب الروايات الخيالية يمكن أن يكون بطبعه ميالا للوحدة والغرابة وضيق النفس".

"ربما. هذا ينطبق علىَّ على أية حال".

أجابت وأضحكته بردها: "أنت هكذا حتى النخاع".

فاجأها صوته إلى الحد الذى دفعها للالتفات نحوه. كان لا يزال مبتسما وهما يدوران حول البحيرة، فقال:"ها قد وصلنا أيتها النحيفة. كنت أعرف بالفعل أن لديك عمودا فقريا ولكننى لم أكن أعرف أن لديك أسناناً أيضا".

ولكنه عندما توقف أمام أنجيل فود، وألقت نظرة على نافذتها بالأعلى شعرت أن عمودها الفقرى يتهاوى، وأن أسنانها تكاد تصطك ببعضها البعض، ولكنها مع ذلك نجحت فى الخروج من سيارتها. كانت ستمد يدها لكى تلتقط حقيبتها ما لم يكن قد سبقها هو وأمسك بها أولا.

وقفت على الرصيف ما بين الكبرياء والذعر.

"هل هناك مشكلة؟".

"كلا. نعم. اللعنة! طالما أنك قد قطعت الطريق كله إلى هنا. فهل يمكنك أن تصعد معى إلى أعلى لدقيقة؟".

"لكى أتأكد أن مايكل مايرز لا ينتظرك بالأعلى؟".

"شىء من هذا القبيل. يمكنك أن تتراجع فى إطرائك إذن بشأن عمودى الفقرى، إن كان هذا يروق لك".

ما كان منه إلا أن وضع الحقيبة على كتفه وبدأ يلف حول البناء

خلفها، وما إن أخرجت المفتاح من فتحة الباب؛ حتى سبقها هو بالدخول.

قللت من عدم حساسيته، فلم يصدر صوتا أو ينطق بكلمة وإنما اكتفى فقط بالدخول أولا.

"ما الذى تفعلينه هنا بحق الله؟".

"ماذا؟ عفوا؟".

أشار قائلا: "ليس لديك تلفاز أو مذياع".

"لقد انتقلت لتوى إلى هذه الشقة فى واقع الأمر، كما أننى لا أقضى وقتا كثيرا هنا".

دار فى المكان ولم تسع لمنعه؛ فلم يكن هناك الكثير ليراه.

الفراش المرتب بعناية والأريكة والمقاعد الخشبية، ولكنه لاحظ أن رائحة المكان أنثوية، بيد أنه لم ير أى أثر لتلك اللمسات الرقيقة التى تميز الأنثى. لم ير تلك الأشياء الجميلة عديمة القيمة التى تحرص النساء على وضعها فى المكان الذى يعشن فيه، لم ير أية تذكارات خاصة ببلدها، أو الأماكن التى سافرت إليها.

"إنه حاسوب جيد" قالها وهو يضع إصبعه عليه.

"لقد ذكرت أنك جائع".

رفع عينه من فوق الحاسب وداهمه شعور بقسوة وحدتها وسط هذه الغرفة الخاوية، فقال: "هل قلت ذلك؟".

"نعم قلته من قبل. إن كنت كذلك؛ يمكننى أن أعد لك وجبة. إنه رد للدين. يمكننا أن نسميه مكافأة لما فعلته اليوم وهكذا نصبح متعادلين".

قالتها بشكل بسيط، ولكنه كان يجيد قراءة الأفكار، فأدرك أنها لم تكن على استعداد للبقاء وحدها، وكان على أية حال جائعا بالفعل، وكان يعلم أنها تجيد الطهى.

"أى طعام يمكنك إعداده؟".

" دعنى أر". مررت يدها فى شعرها وألقت نظرة على المطبخ. لاحظ أنها تجرى جردا ذهنيا لما عندها من الطعام. قالت: "يمكننا أن أعد أرزًا، ودجاجًا سريعًا. خلال عشرين دقيقة".

"حسنا. هل لديك عصير برتقال؟".

"كلا. آسفة؛ لدى مانجو"، ثم استدارت نحو المطبخن مستطردة: "لدى عصير مانجو مثلج".

"هذا جيد بالفعل. هل تشعرين ببرودة؟".

"برودة؟".

"إن لم تكونى تشعرين بالبرودة؛ فلتخلعى معطفك".

استخرجت زجاجة العصير وفتحتها، ثم استخرجت لفافة بها قطعتان مخليتان من الدجاج من المبرد الصغير. كان عليها أن تذيب الثلج عن الدجاج، على الأقل جزئيا، داخل فرن الميكروويف الصغير ولكنه لم يسعفها.

بينما أخذت معطفه والمعطف الآخر الذى كان قد ألقاه على أحد المقاعد؛ لكى تضعهما فوق السرير؛ فتح برودى زجاجة العصير.

"ليس لدى سوى بعض الكئوس العادية"، ثم استدارت إلى الخلف لكى تفتح خزانة المطبخ، مضيفة: "إن هذا العصير فى واقع الأمر خاص بالطهى".

"هل هذا يعنى أنك سوف تقدمين لى عصيرًا مطبوخاً؟".

قالت بشىء من المبالغة: "ولكنه عصير جيد، أنا لا أطهو إلا بالعصير الذى يمكن أن أشربه، فلا تقلق".

صب بعض العصير فى كوب ومد لها يده به ثم التقط كوباً آخر، وصب فيه بعض العصير. تذوقه ثم أومأ، قائلاً: "حسنا؛ دعينى الآن أتعرف على المزيد من سيرتك الذاتية. أين تعلمت الطهى؟".

استدارت بعيدا عنه وبدأت تنهمك فى عملها، قائلة: "فى عدة أماكن".

"مثل باريس؟".

استخرجت الثوم والبصل الأخضر، مجيبة: "لمَ تسألنى مادام الدكتور دوك والاس حكى لك كل شىء عنى بالفعل؟".

"بل إن ماك هو الذى أخبرنى والذى علم بدوره من دوك. أنت لم تستوعبى بعد الإيقاع الذى تسير به الأمور فى البلدة هنا".

"أظن ذلك". استخرجت إناء لغلى الماء لطهى الأرز.

حمل برودى كوبه، ثم جلس على أحد المقاعد وأخذ يراقبها.

إنها على كفاءة عالية؛ هكذا فكر فى نفسه. إنها تمسك بزمام الأمور بشىء من الشاعرية. إن أعصابها التى تبدو غير مستقرة فى مواقف أخرى تبدو فى منتهى الهدوء عند ممارسة الطهى.

كان كل ما تحتاج إليه فى واقع الأمر أن تتناول المزيد من الطعام الذى كانت تعده لكى تكتسب عشرة أرطال كاملة؛ على الأقل. تلك الأرطال التى فقدتها . على الأرجح . بعدما تعرضت للتجربة التى دفعتها للهروب من بوسطن.

ومرة ثانية؛ أخذ يسائل نفسه من هو الشخص الذى شاهدت مقتله؟ ولماذا؟ وكيف؟

أعدت شيئا سريعاً باستخدام بعض القرمشات والجبن المغطى بالقشطة والزيتون والقليل من الفلفل الحلو على ما بدا له، ثم وضعت المزيج فى إناء تقديم أمامه.

ابتسمت له ابتسامة سريعة قبل أن تبدأ فى تشريح الدجاج وتقطيع الثوم، قائلة: "الطبق الأول".

كان قد التهم نصف القرمشات . كان طعمها لذيذاً . بحلول الوقت الذى كانت قد أسقطت فيه الأرز فى الإناء، كانت رائحة الثوم النفاذة قد عبأت المكان.

بينما كان جالسا فى هدوء؛ كانت هى تدير ثلاث أوانى طهى؛ آنية للدجاج وآنية للأرز وآنية أخرى كانت قد وضعت فيها شرائح الفلفل والمشروم وبعض قطع البروكلى.

"كيف تستطيعين طهى كل هذه الأشياء وإعدادها فى وقت واحد؟".

نظرت إليه وبدا وجهها مسترخياً بل ومشرباً بشىء من الحمرة جراء السخونة، قائلة: "كيف تعرف أنك قد أنهيت فصلا، وبدأت فى الفصل التالى؟".

"معك حق. تبدين جيدة وأنت تمارسين الطهى".

"إننى أطهو أفضل مما أبدو"، ثم قذفت بالخضراوات فى آنية الطهى وهزت آنية الدجاج.

وكما لو أنها أرادت أن تثبت له مهارتها؛ أطفأت النار وبدأت تقدم الطعام. وضعت طبق طعامه أمامه مما جعله يرفع حاجبه فى

دهشة، قائلاً: "عشرون دقيقة، ورائحة الطعام تفوق كثيرا الحساء المعلب الذى كنت عازما على تناوله الليلة".

"لقد استحققت هذه الوجبة"، ثم أعدت طبقها بمقدار أقل منه كثيرا؛ قبل أن تحضر لكى تجلس على المنضدة بجواره. وللمرة الأولى؛ رفعت كوبها.

تناولت نصف الكوب وتذوقته، قائلة: "حسنا؟ ما رأيك؟".

تناول أول قضمة من الطعام ثم جلس وكأنه يفكر، ثم قال: "أنت تملكين وجها مميزا، أنت صاحبة وجه مدهش خاصة هاتين العينين الواسعتين. تستطيعين أن تجتذبى رجلا وتغرقيه إن لم يكن متوخيا حذره منك، ولكن"، واصل حديثه بينما بدت هى وكأنها تتراجع قليلا: "ربما كان طهيك يفوق شكلك بالفعل".

ولكن الطريقة التى سطعت بها ابتسامتها جعلته يغير رأيه، فواصل تناول طعامه والاستمتاع بوجبته وبصحبتها على نحو كان يفوق توقعه.

سألها: "إذن؛ هل تعلمين ما الذى يدور عنا بالأسفل الآن؟".

"لدى جوانى؟".

"نعم. عندما يشاهد الناس سيارتى أمام المنزل هنا ولا يروننى بالداخل. سوف يقول أحدهم شيئا ثم يرد عليه الآخر بشىء آخر، مثل: لقد شاهدته وهو يصعد مع ريسى أو مع طاهية جوانى الجديدة. لقد مضى عليهما بعض الوقت وهم يجلسان معا بالأعلى".

فقالت بتأفف: "أجل؛ أجل ولكننى لا أكترث بمثل هذه الأمور"، ثم جلست فى مزيد من الاستقامة، مكملة: "فهل تكترث أنت؟ هل تهتم بالقيل والقال؟".

"لا أكترث بالمرة. ألا تكترثين برأى الناس فيك أو حديثهم عنك؟".

"أحيانا؛ أكترث كثيرا؛ ولكن فى أوقات أخرى لا أهتم بالمرة. كما أننى لا ألتفت بالمرة إلى الرهان الذى خسرته مع ماك دروبر بشأن إقامة علاقة مع لو".

أضاءت عيناه بالبهجة والدهشة وهو يواصل تناول الطعام،

قائلاً: "لقد بالغت فى تقدير قدرات لو وانتقاصك قدرك الحقيقى".

"يبدو ذلك، وربما إن ذاع بين الناس أن هناك علاقة ما تربطنى بـ لو فسوف يكف هو عن محاولاته معى".

"هل يضايقك؟".

"كلا. إن الأمر ليس كذلك، كما أن الوضع أصبح أفضل عندما صارحته بحقيقة مشاعرى؛ ولكن هذا لن يؤذيه. أظن أننى مازلت مدينة لك بخدمة أخرى".

"أظن ذلك. هل يمكنك أن تدعونى مرة أخرى لتناول العشاء؟".

"أنا ... حسنا؛ أظن أن هذا سوف يكون ممكنا"، ثم رفعت حاجبيها فى شىء من الاضطراب، قائلة: "إن رغبت فى ذلك".

"متى يحين موعد عطلتك التالى؟".

" أجل ...". يا إلهى! كيف سقطت فى الفخ بمنتهى السهولة؟ أضافت: "الثلاثاء. سوف تنتهى نوبتى فى الساعة الثالثة. هل هذا يناسبك؟".

"عظيم. سوف أحضر فى السابعة. هل هذا يناسبك؟".

"السابعة. بالطبع. بالطبع. حسنا؛ هل هناك شىء لا تحب تناوله أو تعانى من حساسية منه؟".

"لا تعدى أية أحشاء داخلية؛ فأنا لا أتناولها بالمرة".

"أجل فهمت ما تعنيه".

و الآن ماذا؟ لم يكن بوسعها أن تستحضر أى موضوع لفتح باب الحوار، أو أى حديث. لطالما كانت تجيد ذلك فى الماضى. لقد كانت تستمتع بالحديث أثناء تناول الطعام؛ كانت تستمتع بالممازحة والتضاحك، ولكن عقلها الآن لم يصبح قادرا على ذلك.

"سوف يأتى إلى هنا فى الوقت المقدر لمجيئه هنا".

التقت عيناها بعينى برودى، قائلة: "إن كنت بمثل هذه الشفافية؛ فعلى إذن أن أستعين ببعض الظلال".

"إنه أمر طبيعى ومنطقى أن يبقى الأمر مستحوذا على فكرك. لقد تناسيته قليلا أثناء الطهى".

"لابد أنهم عثروا على الجثة. أياً كان من حملها؛ فلم يتسن له أن يذهب بها بعيدا وإن كان قد دفنها ...".

"من الأسهل أن يردمها بالحجارة أو يلقيها فى النهر".

" يا إلهى! شكرا على هذه الصورة؛ إننى واثقة من أنها لن تفارق مخيلتى".

"بالطبع؛ ولكن الجثة لن تبقى بالأسفل؛ ليس فى وجود التيار. لذا سوف ينتهى بها المآل لأن تطفو فوق السطح فى مكان ما. قد يعثر عيها البعض أثناء ممارسة الصيد أو يجدها بعض المارة أو بعض راكبى القوارب أو السياح من أوماها؛ اختارى ما يحلو لك. سوف يتلقى أحدهم مفاجأة فاتكة فور ظهورها له".

ولكنها تجهمت، قائلة: "هلا كففت عن هذا! حتى إن حدث شىء من هذا القبيل؛ فسوف تبقى إشارة؛ سوف يبقى دليل على ما حدث. دماء. لقد دفع رأسها بشدة على الأرض؛ كما أن مكان الجريمة سوف يبدو واضحا إثر تلك الحركات العنيفة أو ربما ... آثار الأقدام. هل ستكون هناك آثار للأقدام؟".

"على الأرجح. إنه لا يعلم إن كان هناك من رآه؛ فلمَ يكبد نفسه إذن مشقة إخفاء الآثار؟ يبدو لى أن شغله الشاغل كان منصباً على التخلص من الجثة والهروب؟".

"نعم، وهذا يعنى أن المأمور سوف يتوصل إلى شىء".

قفزت عند سماع وقع أقدام بالخارج.

قال برودى فى سهولة: "إنه هو على الأرجح". ثم نهض من مقعده لكى يفتح الباب بنفسه.

٧

خلع ريك قبعته وهو يخطو داخل المنزل، قائلاً: "برودى! ريسى!". جال ببصره إلى أن استقر على المنضدة، فقال: "آسف لمقاطعة عشائكما".

"لقد انتهينا. ما عليك". بالرغم من أن ركبتيها كانت تصطكان ببعضهما البعض إلا أن ريسى تمكنت من النهوض من على مقعدها لتسأله: "هل عثرت عليها؟".

"هل يمكننى الجلوس؟".

كيف لها أن تنسى مثل هذه الطقوس الخاصة برجال الشرطة فى مثل هذه المواقف؟ عليها أن تدعوه للدخول والجلوس وتعرض

عليه تناول القهوة. لقد كانت تشترى القهوة فى تلك الأيام لكى تقدمها للأصدقاء ورجال الشرطة.

قالت ريسى وهى تدعوه للجلوس على الأريكة: "آسفة، من فضلك. تفضل. هل يمكننى أن أعد لك شيئا؟".

"لست بحاجة إلى تناول شيء. شكرا لك". بعدما استقر فى جلسته على الأريكة، وضع ريك قبعته على حجره، وانتظر لحين جلوس ريسى. وكما سبق وفعل من قبل فى كبينته؛ بقى برودى جالسا منحينا على المنضدة.

لقد أدركت قبل أن يتفوه بكلمة؛ لقد قرأت وجهه. لقد تعلمت كيف تقرأ بمنتهى العناية تلك التعبيرات المحايدة التى كان يرسمها رجال الشرطة على وجوههم.

"لم أجد شيئا".

ومع ذلك؛ فقد هزت رأسها، قائلة: " ولكن -"

قاطعها ريك قائلاً: "دعينا فقط نتحدث فى هدوء وعلى مهل، لمَ لا تقصين علىَّ ما حدث ثانية؟".

فركت ريسى يديها بعنف على وجهها، قائلة: "يالهى!"؛ وغطت عينيها بأصابعها ثم أسقطت يديها فى حجرها، مناجية نفسها: أجل؛ بالطبع. أقص ثانية. إنه جزء آخر من الطقوس.

قصت عليه ثانية كل ما رأته؛ وكل ما تتذكره، ثم علقت: "لابد أنه ألقى جثتها فى النهر أو دفنها أو -".

"لقد بحثنا هذه الإمكانية. هل أنت واثقة من الموضع؟"، ثم نظر إلى برودى وهو يلقى السؤال.

"لقد أريتك على الخريطة البقعة التى أخبرتنى ريسى أنها كانت مسرح الجريمة. لقد كانت بالقرب من منحدر النهر الصغير".

قال ريك لريسى بنبرة محايدة وهو يرسم ذلك التعبير على وجهه: "الجانب المقابل من النهر! من على بعد كل هذه المسافة؛ ألا يمكن أن تكونى قد أخطأت؟".

"كلا. كلا لم أخطئ؛ لم يكن خيالا".

"لم يكن هنا أى أثر لشجار فى المنطقة. لم يكن هناك أى أثر عندما قمت بنفسى بتمشيط المكان".

"لابد أنه أخفاها جميعا".

" ربما"، ولكنها سمعت الشك فى نبرة صوته؛ إنها نبرة تنم عن عدم التصديق أكثر منها حيادية، ثم استطرد: "سوف أعاود الذهاب ثانية فى الصباح؛ بمجرد أن يظهر بعض الضوء. برودى، هل تود مصاحبتى إلى هناك لكى أتأكد من أنه المكان الصحيح؟ وفى هذه الأثناء؛ سوف أجرى بعض الاتصالات؛ لكى أتأكد من عدم افتقاد أو غياب أى سائح أو ساكن".

قال برودى: "هناك بعض الكبائن المتناثرة فى هذه المنطقة".

"لقد توجهت بالفعل نحو بعض الكبائن القريبة من المكان. لدى كبينة هناك وجوانى لها كبينتان أيضا. إنها أماكن للإيجار وهى تكون شاغرة عادة فى مثل هذا الوقت من العام؛ ولكننى لم أر أحدا أو أية إشارة تنم عن استخدام أى منها. سوف أتفقد كل هذا أيضا. سوف نعرف الحقيقة يا ريسى. لا أريدك أن تقلقى بهذا الصدد. برودى، هل ستصحبنى صباح الغد إلى هناك؟".

"بالطبع؛ يمكننى ذلك".

بدأت ريسى حديثها، قائلة: "يمكننى أن أطلب من جوانى الآن أن تمنحنى عطلة فى الغد لكى أصاحبكما إلى هناك أيضا".

"لقد كان برودى محقا. أعتقد أن واحداً منكما يكفينى، وأتمنى ألا تقصى ما حدث على أى شخص آخر فى الوقت الحالى. كى نتقصى الأمر قبل أن يذيع الخبر". نهض ريك على قدميه؛ وأومأ إلى برودى، قائلاً: "ما رأيك؛ سوف أمر عليك غدا فى منزلك لكى نذهب معا فى قرابة السابعة والنصف".

"اتفقنا".

"حاولى أن تستمتعى بباقى أمسيتك يا ريسى. اطردى ما حدث من عقلك. ليس هناك ما يمكنك فعله أكثر من ذلك".

"كلا. كلا. ليس هناك بالطبع ما يمكننى فعله أكثر مما فعلت".

بقيت ريسى جالسة بينما ثبت ريك قبعته فوق رأسه وخرج.

"إنه لا يصدقنى".

"لم أسمعه يقول ذلك".

"بلى. سمعته"، ثم اعترتها نوبة غضب: "لقد سمعناه؛ سمعناه

بدون أن يقوله".

قال برودى: "ما الذى يدفعه إلى عدم تصديقك؟".

"عدم عثوره على أى شىء، وعدم مشاهدة أى شخص آخر للجريمة، ووجودى فى البلدة منذ أسبوعين فقط. وأسباب أخرى كثيرة.

"ولكننى أنا أيضا لا أملك إلا هذه المعلومات ومع ذلك أصدقك".

لمعت عيناها، وشعرت برغبة بأن تقفز وتدس وجهها فى صدره وتذرف الدموع فى أحضانه، ولكنها بدلا من ذلك بقيت جالسة فى مقعدها وهى تضغط يديها فى حجرها. "شكرا لك".

"سوف أعود إلى المنزل. ربما يجدر بك أن تعملى بنصيحة المأمور، وتخرجى هذا الأمر من رأسك لفترة. تناولى قرصا مهدئا واخلدى إلى النوم".

"كيف عرفت أننى أتعاطى أقراصا؟".

قلب شفتيه، قائلاً: "تناولى قرصا واهدئى. سوف أوافيك بكل التفاصيل. بشكل أو بآخر. فى الغد".

"حسنا. شكرا". قامت لكى توصله إلى الباب بنفسها، قائلة: "طاب مساؤك".

بعد أن اطمأن إلى أنه تركها منزعجة وليست محبطة؛ مضى فى طريقه خارجا بدون أن ينطق بكلمة.

أغلقت الباب؛ وتفقدته ثم تفقدت النوافذ. دفعتها العادة إلى التوجه نحو المطبخ أولا لتنظيف الأطباق والصحون؛ ولكنها عدلت عن رأيها وأدارت حاسوبها المحمول.

سوف تكتب كل شىء؛ كل شىء؛ فى مذكراتها.

فيما جلست ريسى أمام حاسوبها؛ عاد ريك إلى مكتبه وأضاء النور. علق قبعته ومعطفه ثم عاد ثانية إلى غرفة الاستراحة الصغيرة لكى يحتسى قدحا صغيرا من القهوة.

بينما ترك القهوة على النار اتصل بمنزله. وكما توقع؛ ردت عليه ابنته الكبرى مع أول رنة، قائلة: "مرحبا يا أبى! هل يمكننى أن أضع بعض الرموش الصناعية استعداداً لحفل السبرنج فلانج؟

القليل فقط؛ *الكل* يفعل. من فضلك؟".

ضغط بأصابعه على عينيه؛ لم تبلغ تلك الفتاة الثالثة عشرة بعد وتريد أن تضع الرموش الصناعية وتذهب إلى حفلات المدرسة الراقصة، فقال: "ما رأى أمك؟".

"قالت إنها سوف تفكر فى الأمر. أبى ـ"

"إذن سوف أفكر فى الأمر أنا الآخر أيضا. دعينى أحادث والدتك يا صغيرتى".

"ألا يمكنك العودة إلى المنزل؟ يمكننا أن نناقش الأمر".

رحماك ربى. "لدى عمل حتى وقت متأخر الليل، ولكننا سوف نناقش هذا الأمر فى الغد. أوصلينى بوالدتك".

" *أمى!* أبى يريد محادثتك على الهاتف. سوف يتأخر فى العمل الليلة وسوف نناقش الأمر غدا؛ نناقشه فى هدوء".

"شكرا على النشرة". خرجت نبرة صوتها أقرب إلى السرور منها إلى الضيق ـ سأل ريك نفسه؛ كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ ثم أمسكت ديبى مردسون بسماعة الهاتف، قائلة: "كنت أتمنى أن تكون فى طريقك إلى المنزل".

"على أن أبقى فى المكتب لفترة. لا يمكننى أن أتنبأ إلى متى. ما سبب رغبة هذه الفتاة الطائشة فى وضع الرموش الصناعية؟ إنها تملك عينين كعينيك؛ إنها تملك أكثر الرمش طولا فى وومينج". كان بوسعه أن يراها؛ تلك الرموش الطويلة الممتدة والعينين الزرقاوين من تحتها.

"لنفس السبب الذى يدفعنى إلى وضع الرموش الصناعية على عينى؛ لأن رموشى فاتحة اللون، و الرموش الصناعية هى إحدى أدوات تجميل المرأة الأساسية هذه الأيام".

"سوف تسمحين لها إذن بوضع الرموش الصناعية؟".

"إننى أفكر فى الأمر".

بدأ الآن يحك مؤخرة عنقه. كان هذا الرجل يرثى لحاله من كثرة النساء من حوله، فقال: "فى البداية كان أحمر الشفاه".

قالت ديبى مصححة: "بل ملمع الشفاه، ملمع للشفاه فقط".

"أياً كان بحق الله! والآن تريد وضع رموش صناعية! إذن الوشم

هو خطوتها القادمة. إنها نهاية العالم".

"أظن أنه مازال بوسعنا أن نرجئ الوشم قليلا. إن طلبتنى قبل المغادرة؛ سوف يكون بوسعى أن أعد لك بعد طعام العشاء".

"ربما فى وقت لاحق. لقد اشتريت رغيف لحم من جوانى. لا تقلقى. قبلى البنات من أجلى".

"سوف أفعل. لا تجهد نفسك حتى يتسنى لك العودة إلى المنزل وتقبيلى".

"سوف أحرص على ذلك. ديبى؛ أحبك".

"أحبك أنا أيضا. إلى اللقاء".

جلس لفترة فى هدوء يحتسى القهوة ويتناول الرغيف؛ جلس يفكر فى زوجته وبناته الثلاث. لم يكن يريد أن تضع ابنته الرموش الصناعية؛ ولكنها كانت ستضعها رغما عنه؛ كان يعرف ذلك، فابنته الكبرى تتسم بنفس صلابة جدتها.

تنهد ثم دس المنديل الورقى فى كيس بلاستيكى وقذف به فى مكان ما، ثم صب لنفسه قدحا آخر من القهوة؛ وأخذ يسترجع أقوال ريسى؛ مراجعا كل التفاصيل والفترة الزمنية. وبهزة رأس؛ أضاف مبيض القهوة إلى قدحه وحمله وتوجه إلى مكتبه.

فتح هو الآخر حاسوبه. كان قد حان وقت التعرف على مزيد من التفاصيل عن ريسى جليمور؛ يتعرف على أكثر من أنها لا تملك أى سجل جنائى، وأنها قادمة من بوسطن.

قضى عدة ساعات فى البحث والقراءة وإجراء الاتصالات الهاتفية وتدوين الملاحظات. عندما أنهى مهمته، وضع حصيلة ما جمعه داخل ملف، وبعد جدل داخلى مع نفسه، احتفظ بالملف فى الدرج الأخير من مكتبه.

كان الوقت متأخرا عندما غادر المكتب إلى المنزل؛ مضى وهو يسائل نفسه أمازالت زوجته فى انتظاره؟

و عندما عاد إلى أنجيل فود بسيارته، لاحظ أن الأنوار كانت مازالت مضاءة فى الغرفة العلوية.

في السابعة والنصف من صباح اليوم التالى؛ بينما كانت ريسى تناضل من أجل التركيز على إعداد كعك الزبد باللبن والبيض؛ كان برودى قد تسلح بترمس من القهوة وركب فى سيارة ريك.

"عمت صباحا. أشكرك على مصاحبتك لى يا برودى".

"لا عليك. إننى أنظر إلى الأمر باعتباره بحثا".

ابتسم ريك ثم تلاشت ابتسامته، قائلاً: "أعتقد أنك تفكر فى الأمر على أنه لغز غامض وقع بين يديك. ما هى الفترة الزمنية التى مرت منذ أن قصت عليك ريسى ما حدث وحتى عدتما معا".

"أنا لا أدرى مقدار الوقت الذى قطعته لحين هبوطها إلى حيث كنت أجلس. كانت تجرى؛ وكنت أنا بالفعل بصدد التوجه إلى أعلى. عشر دقائق لا أكثر على ما أظن. خمس دقائق؛ قبل أن نعود أدراجنا نحو الطريق، وربما عشر إلى خمس عشرة دقيقة أخرى لحين وصولنا إلى المكان الذى رأت منه الحادث".

"وكيف كان حالها عندما رأيتها؟".

انتابه الشعور بالحنق والغيظ، فقال: "تماما حال أى امرأة شاهدت امرأة أخرى تخنق حتى الموت أمام عينيها".

"حسنا؛ حسنا؛ اهدئ يا برودى؛ لا تظن أننى لا أتفهم الموقف، ولكن على أن أنظر إلى الأمر بعين مختلفة. أريد أن أعرف ما إن كانت رابطة الجأش؛ واضحة فيما تقول".

بعد مرور دقيقتين؛ أعتقد أنها كانت كما تقول بالفعل. يجب أن تضع فى اعتبارك أنها كانت على بعد أميال من الحصول على أية مساعدة؛ عن أى طريق يمكنها أن تحصل من خلاله على المساعدة باستثنائى أنا؛ فضلا عن أن هذه كانت أول مرة تصعد فيها هذا الطريق تحديدا. لا تنس أنها كانت بمفردها وأنها كانت مصدومة؛ كانت خائفة وعاجزة أثناء مشاهدة ما حدث ".

قال ريك وهو يرفع إحدى يديه: "من خلال نظارتها المكبرة، قد يكون الأمر قد حدث تماما مثلما حكت لنا؛ ولكن على أن آخذ فى الاعتبار الملابسات وعدم وجود دليل. هل يمكنك أن تخبرنى أنك واثق؛ بلا أى شك؛ من أنها لم تكن مخطئة؟ ربما شاهدت شخصين يتشاجران أو حتى شاهدت رجلا يضرب امرأة".

كان قد فكر فى الأمر مليا فى الليلة السابقة؛ كان قد راجع كل التفاصيل نقطة بنقطة وهو يتذكر وجهها الشاحب المفزوع؛ وعينيها الواسعتين العميقتين.

إن المرأة لا تشعر بخوف مطبق عندما تشهد نزاعا بين شخصين غريبين، فقال: "أنا أصدق أنها رأت تماما ما حكت عنه. ما قصته عليه فى الطريق وما قصته عليك ثلاث مرات فى أقوالها. إنها لم تخطئ فى أى جزئية؛ ولو مرة واحدة".

نفخ ريك خديه، معلقاً: "أنت محق فى ذلك. هل هناك علاقة بينكما؟".

"ماذا تعنى؟".

أطلق ريك ضحكة، قائلاً: "لا تناور يا برودى. أنت حاد الذكاء. هل هناك علاقة شخصية بينكما؟".

"وأى فارق يمكن أن يحدثه ذلك؟".

"إن أى معلومة تحدث فارقا فى التحقيق".

" لمَ لا تسألنى إذن إن كنت أزورها ليلاً؟".

قال ريك فى ابتسامة متكلفة مقتضبة: "حسنا؛ لقد كنت أسعى لأن أكون واضحا ورقيقا فى سؤالى، ولكن حسنا إذن؛ هل تزورها ليلاً؟".

"كلا".

كرر قائلاً: "حسنا؛ إذن".

"وماذا لو قلت لك نعم؟".

"إذن سوف أضع هذه المعلومة فى اعتبارى كأى مسئول رسمى عن القانون. إنه شأنك يا برودى، باستثناء بالطبع أن مثل هذه الأمور تشيع فى البلدة بسرعة انقضاض القط على الفأر. ليس هناك ما هو أهم من العلاقات الخاصة؛ سواء ممارستها أو التحدث بشأن ممارسة الآخرين لها".

"ولكننى أفضل ممارسة هذه العلاقات عن التحدث عنها".

ارتسمت الابتسامة ثانية ثم تلاشت، قائلاً: "هذا أنت، وأنا مثلك أيضا".

قاد السيارة فى صمت لفترة إلى أن انعطف ريك خارج

الطريق.

"هذا هو أسهل طريق مختصر موصل إلى البقعة التى أريتنى إياها على الخريطة".

وضع برودى حقيبة صغيرة فوق كتفه. فحتى وإن كانوا ينتوون السير لهذه المسافة القصيرة؛ فإنه من الحكمة اقتناء الأساسيات. سارا عبر الأشجار والغابة حيث شاهد برودى آثارا ربما لدب أو غزال وآثار أقدام ريك من اليوم السابق على حد افتراضه.

أشار ريك قائلا: "ليس هناك أية آثار آدمية لشخصين سارا نحو النهر، هذه هى آثار أقدامى من الأمس. بالطبع يمكن أن يكونا قد سارا من زاوية مختلفة ولكننى بحثت جيدا. لو كان لديك جثة ترى التخلص منها فإن إلقاءها فى النهر هو أول ما سوف يتراءى لك؛ بدافع الحدس والفزع".

سار بخطى بطيئة وأبقى نظرته مثبتة على الأرض والأشجار، مكملاً: "أو يمكنك أن تدفنها، وسوف يخلف هذا أثرا كبيرا يا برودى. ليس هناك ما يشير إلى سحب جثة على الأرض لمسافة طويلة، كما أن حفر قبر أمر يفوق ما تتخيله صعوبة".

وضع يديه على ساقيه، قائلاً: "لو كان هناك شىء من هذا القبيل لظهر، وخاصة فى منطقة بكر كهذه. يمكنك أن ترى بنفسك الآن؛ ليس هناك أى أثر لأى شخص جاء إلى هنا أو خرج من هذه المنطقة بالأمس. سوف أطرح عليك السؤال ثانية؛ هل يمكن أن تكون قد حددت لى موقعا خاطئا؟".

"كلا".

عبر أشجار الأناناس والتوت وغابات ثمر الخمان؛ سارا جهة الشمال الغربى نحو النهر. كانت الأرض رطبة بفعل ذوبان الجليد كما لاحظ برودى، وهذا يعنى أنها كانت ستبقى على أى أثر لأقدام بشرية كما هو الحال لأثر أقدام الحيوانات مثل حيوان الموظ أو الغزال؛ ولكن بالرغم من أنه شاهد آثار أقدام حيوانات إلا أنه لم يلحظ وجود أى آثار بشرية على الطريق. التفا حول الأدغال؛ وبينما توقف برودى ليلقى نظرة وهو ينحنى بحثا عن أية علامة؛ بقى ريك منتظرا.

"أظن أنك فعلت هذا بالأمس؟".

قال ريك مؤكدا: "أجل، التقطت بعض ثمار التوت؛ إنه موسمها. جمعت إذن حبات التوت اللامعة وثمار عنب الدب".

ثم صمت واستدار حيث أصبح بإمكانه أن يشم رائحة النهر.

"برودى؛ إن حاول رجل إخفاء جثة هنا؛ فسوف يخلف أثرا لا محالة، وبحلول هذا الوقت؛ أتوقع أن تكون الحيوانات قد اشتمت الرائحة وتوافدت إلى هنا".

قال برودى وهو ينهض على قدميه: "أجل، أجل. أنت محق. حتى ساكنو المدن من أمثالى يدركون هذا جيدا".

بالرغم من ملابسات الموقف؛ ارتسمت ابتسامة على وجه ريك، قائلاً: "وهل كنت تحكم زمام أمورك جيدا فى المدينة يا ابن المدينة".

"كم من الوقت يجب أن أقضيه هنا لكى أتخلص من هذا اللقب؟".

"ربما بعد وفاتك بعشرة أو خمسة عشر عاما".

قال برودى بعدما شرعا فى مواصلة سيرهما ثانية: "هذا ما تصورته. أنت لم تولد هنا أيضا، يا رجل الجيش".

"حضرت إلى هنا عندما استقرت أمى فى شيين قبل عيد ميلادى الثانى عشر، أى أننى سبقتك بكثير. هل تسمع صوت خرير الماء على المنحدر الآن؟".

جاء صوت الخرير الخفيض للماء عبر النسيم الرقيق وغابات خشب الحور القطنى والزهور الحمراء. ازدادت أشعة الشمس سطوعا إلى أن رآها برودى منعكسة على صفحة الماء. وخلفهما برزت المرتفعات حيث كان يقف هو وريسى بالأمس.

أخذ برودى يشير إلى ما فوق الصخور، وقال وهو يرفع عينيه مشيرا بيده: "هذا هو المكان الذى كانت تجلس عنده عندما شاهدت ما حدث".

غير أنه فكر فى نفسه؛ ولكن المكان أجمل هنا؛ أجمل بجوار الماء والهواء العليل؛ ولكن الشمس كانت ساطعة إلى حد دفعه إلى استخراج نظارته الشمسية من جيبه.

استخرج ريك نظارته وسار متبعا الاتجاه الذى أشار إليه برودى، قائلاً: " على أن أقر يا برودى أنه طريق طويل للغاية. يا له من طريق منهك طويل! كما أن أشعة الشمس تكون قوية نافذة فى هذا الوقت من النهار".

"ريك؛ لقد ربطتنا علاقة حميمة على مدى العام الماضى".

"أجل".

"ولعل هذا ما سوف يدفعنى إلى طرح السؤال عليك بشكل مباشر. لم لا تصدقها؟".

"دعنا أولاً نستعرض ما جرى خطوة بخطوة. لقد كانت بالأعلى ورأت ما حدث هنا بالأسفل ثم جرت عائدة نحو الطريق حيث وجدتك أنت. فى هذه الأثناء؛ ما الذى فعله الرجل بجثة القتيلة؟ هل ألقى بها فى النهر؛ لو كان الأمر كذلك لكانت قد طفت. ليس هناك ما يجذبها إلى أسفل أى أنها كانت ستطفو بعد انقضاء نصف ساعة إلى ساعة. أرى أنها لم تكن لتستغرق أكثر من الوقت الذى استغرقتماه فى قطع المسافة إلى حيث يمكنما رؤية مكان الحادث".

" يمكن أن يكون قد جذبها خلف هذه الصخور هنا أو بين الأشجار؛ بما لا يتسنى لنا رؤيته من موقعنا بالأعلى عبر النهر. ربما عاد لكى يحضر فأسا أو حبلا. الله وحده يعلم".

أطلق ريك تنهيدة ثم قال: "وهل رأيت أية إشارة تنم عن آثار شخص كان يسير جاذبا جثة وراءه؛ أو أية آثار للدفن؟".

"كلا لم أر، ليس بعد".

"الآن دعنا نتجول فى المنطقة؛ كما سبق وفعلت بالأمس. ليس هناك أية إشارة تنم عن وجود جثة حديثة الدفن. مما لا يترك أمامنا سوى احتمال أنه سحبها أو حملها من هنا ووضعها فى سيارة أو كبينة. إنه طريق طويل لحمل جثة، كما أنه أطول من أن ينجح فى إخفاء آثاره؛ كل آثاره بدون أن يترك إشارة واحدة".

استدار جهة برودى، مستطرداً: "لقد أكدت لى أن هذه هى البقعة التى رأت فيها الحادث، وأنا أقول لك إننى لم أعثر على أى شىء يشير إلى وجود أى شخص قضى وقته هنا بالأمس؛ ناهيك

عن ضرب امرأة ودفعها نحو الأرض وخنقها".

كان كلامه منطقياً بالفعل، ومع ذلك قال: "لقد محا آثاره".

"ربما؛ ربما. ولكن متى فعل هذا بحق الله؟ هل خبأها بعيدا عن الأنظار ثم عاد ومحا آثاره وهو لا يعلم أن هناك من رآه وهو يرتكب جريمته".

"أو بافتراض أنه لم ير ريسى بالأعلى".

عندها استخرج ريك نظارته الشمسية ونظر من خلالها فوق الماء إلى أعلى الطريق، قائلاً: "حسنا إذن؛ لنفترض أنه قد رآها. فهل يتسنى له أن ينظف المكان فى الدقائق الثلاثين التى تحكى عنها؟ حتى لو كانت أربعين دقيقة؛ فإننى لا أرى أن هذا وقت كاف".

"هل تظن أنها تكذب؟ اختلقت الأمر؟ ما هو مقصدك؟".

خلع ريك قبعته ثم فرك حاجبه، قائلاً: "لا أظن أنها تكذب، بل هناك ما هو أكثر من ذلك يا برودى. إن رؤيتكما معا بالأمس. فى البداية فى منزلك ثم فى منزلها هى. لقد تصورت أن هناك علاقة بينكما. وأنك ربما تعرف المزيد عنها".

"المزيد عن ماذا؟".

"دعنا نتجول فى المنطقة وسوف أخبرك؛ ولكن عليك أن تكتم كل ما سأقوله لك عنها. أظن أنك أحد القلائل فى أنجيل فيست ممن يملكون القدرة على الكتمان".

وبينما كان يسيران؛ أبقى برودى عينيه مثبتتين على الأرض أو أخذ يتفقد العشب. لقد كان يريد. أكثر مما كان يظن هو. أن يعثر على شىء يثبت به أن ريك كان مخطئا.

مما يعنى. هكذا أدرك فى نفسه. أنه كان يبذل جهده لكى يثبت أن هناك امرأة قد قتلت عن أن هناك امرأة مخطئة.

و لكنه تذكر مظهرها؛ كيف كانت تناضل لكى تمنع نفسها من الانهيار أثناء رحلة العودة الطويلة، وكيف بدت له وحيدة فى غرفتها شبه الخاوية.

عندما توقف برودى ونظر إليه مضيقا عينيه، هز ريك رأسه وقال: "لقد أجريت بعض التحريات عنها، أرى أن هذا جزء من

واجبى. يجب أن أتحقق من هوية كل شخص يفد إلى المدينة ويستقر بها؛ يجب أن أتأكد من صحيفته الجنائية. لقد فعلت نفس الشىء معك".

"وهل نجحت فى الاختبار؟".

"لم يسبق وأخبرتك بشىء غير هذا؛ أليس كذلك؟"، ثم صمت ورفع ذقنه جهة اليسار، مستطرداً: "هذه هى مؤخرة كبينة جوانى. إنها الكبينة الأقرب إلى مسرح الجريمة وقد استغرقنا ما يقرب من عشر دقائق سيرا على الأقدام. كنا نسير بسرعة جيدة وبدون حمل جثة. هذا هو أقرب مكان لاستقلال أية مركبة؛ ليس هناك ما هو أقرب من ذلك. على أية حال؛ كان لابد أن نعثر على آثار الإطارات".

"هل دخلت الكبينة؟".

"إن صفتى كمأمور لا تمنحنى حق اقتحام أملاك غيرى؛ ولكننى تفقدت المكان من خلال النوافذ ووجدت الأبواب مغلقة، كما أننى تفقدت الكبينتين الأقرب منها والتى من بينهما كبينتى أنا شخصياً. وقد تفقدت كبينتى بالداخل بالطبع. لم أعثر على أى شىء".

ومع ذلك؛ واصلا سيرهما نحو الكبينة ودارا حولها.

واصل ريك حديثه بينما كان برودى ينظر من خلال نوافذ الكبينة: "إن ريسى صاحبة صفحة جنائية نظيفة؛ إن كنت تريد أن تعرف، ولكنها تورطت فى شىء ما منذ بضعة أعوام".

تراجع برودى إلى الوراء وتحدث بمنتهى الحرص، قائلاً: "فيما تورطت؟".

"تورطت فى جريمة قتل وقعت فى المطعم الذى كانت تعمل به فى بوسطن. كانت هى الناجية الوحيدة من الحادث. لقد أطلق عليها النار مرتين".

"يا إلهى!".

"أجل، ثم تُركت باعتبارها مقتولة فى خزانة أو دولاب. لقد حصلت على كل هذه التفاصيل من شرطى ببوسطن كان يعمل فى قضيتها. كانت فى المطبخ؛ وكان الباقون فى غرف الصالة،

ثم سمعت صرخات؛ طلقات نارية؛ تتذكر أو تظن أنها تتذكر أنها التقطت هاتفها الجوال، ثم دخل عليها أحد الرجال وأطلق عليها النار. إنها لا تتذكر تفاصيل كثيرة. لا تعرف شكل الرجل تحديدا. لقد تم دفعها فى الخزانة حيث عثر عليها رجال الشرطة بعدها بساعتين. لقد ذكر لى الضابط أنها كانت على وشك الموت. بقيت فى غيبوبة بعد الجراحة لأسبوع كامل تقريباً وبقيت ذاكرتها مشوشة بعدها، كما أن حالتها العقلية لم تكن أفضل من حالتها البدنية".

لم يكن أى شيء؛ أى شيء مما تصوره يقترب من هذه الصورة. "كيف حدث هذا؟".

"كما أقول، لقد أصيبت بانهيار عصبى. بقيت تُعالج لشهور فى مصحة نفسية. لم تنجح فى ذكر تفاصيل كافية للشرطة أو تدلى بأية أوصاف. لم تنجح الشرطة فى العثور على مرتكبى الجريمة؛ ثم اختفت بعدها ريسى من على الخريطة. كان كبير المحققين يتصل بها من آن إلى آخر على مدى العام الأول بعد وقوع الحادث، وفى آخر مرة حاول الاتصال بها؛ علم أنها رحلت بدون أن تخطر أحدا بمكانها. ليس لها عائلة إلا جدتها، ولكنها أخبرت الشرطة أن ريسى قد رحلت وأنها لا تخطط للعودة ثانية".

توقف ريك عن حديثه وأجرى مسحا طويلا متأنيا، ثم غير اتجاهه وعاد من حيث أتى. وعندها سمع صوت عصفور يغرد بنبرته العالية السريعة.

"مازلت أذكر بعض تفاصيل عن هذه القصة؛ لقد هزت تلك الجريمة الرأى العام على ما أذكر. إننى أحمد الله أننا نعيش هنا؛ وليس فى المدينة".

" أجل؛ ليس هناك مسدسات هنا".

زم ريك خديه قائلاً: "إن سكان أنجيل فيست هنا يقدرون حقوقهم المدنية لذا فهم ليسوا بحاجة إلى حمل السلاح. إنهم يحترمون هذه الحقوق. هل فهمت يا ابن المدينة؟".

" ولكنك نسيت حزب بينكو الليبرالى".

" لقد كنت مهذبا".

قال برودى فى خفة: "بالطبع كنت كذلك، أيها اليمينى

الفاضل".

أطلق ريك ما يشبه الضحكة، قائلاً: "لا أدرى كيف أصبحت صديقا لأحد أبناء المدن، ولكننى فوجئت بأنك لم تسمع شيئاً عن هذا الأمر؛ بما أنك أحد كبار المحققين الصحفيين فى المدينة".

استرجع برودى وقت وقوع الحادث. إن كان هذا قد وقع بعدما استقال من عمله فقد كان وقتها على الأرجح يعانى من مرارة تجربته. لقد بقى وقتها ثمانية أسابيع كاملة بدون أن يقرأ صحيفة، كما أنه كان قد قاطع قناة الـ CNN ؛ لأنها لم تكن تتفق مع مبادئه.

"لقد قاطعت الأخبار كلها على مدى شهرين بعدما تركت صحيفة *التريبيون*".

"حسنا؛ أظن أن النشاط الإعلامى حول القضية كان قد خمد فى هذه الفترة الزمنية التى انقطعت فيها. إن الإعلام يبحث دائما عن القضايا الملتهبة لكى يطرحها على العامة".

"ولكن دستوريا؛ يجب أن يسبق التعديل الأول التعديل الثانى".

" وهذا شىء مؤسف؛ ولكن دعنى أقل لك إن ما حدث لريسى تجربة عصيبة يصعب على أى شخص أن يتعافى منها، وربما لم تتعاف منها تماما إلى الآن".

"إذن؛ فقد خُيل إليها أن رأت جريمة قتل؟ أتعنى أنها اختلقت القصة يا ريك؟".

"ربما تكون قد أغفت قليلا، وشاهدت كابوسا مزعجا. لقد ذكر لى الضابط الذى كان يحقق فى قضيتها أنها كنت تتعرض لمثل هذه الأشياء. لقد قطعت طريقا طويلا إلى أن وصلت إلى البقعة التى كانت تجلس فيها؛ وهذا يعنى أنها كانت متعبة عندما وصلت إلى هناك. ربما تكون قد أصيبت بشىء من الدوار. لقد قالت لى جوانى إنها لا تأكل إلا عندما تضع طبقا أمامها، كما أنها مضطربة عصبياً أيضا. لقد سحبت خزانة الملابس فى غرفة نومها بالفندق، ووضعتها أمام باب الغرفة المجاورة لها وأبقت عليها كذلك طوال الوقت، كما أنها لا تفرغ مقتنياتها من الحقيبة أبدا".

"إن الحرص الزائد لا يعنى أنها مجنونة".

"كف يا برودى، أنا لم أقل إنها مجنونة، ولكننى أرى أنها مازالت مشوشة عاطفيا"، ثم رفع كلتا يديه فى الحال، قائلاً: "دعنى أسحب كلمة *مضطربة* وأستبدلها بكلمة *حساسة*. هذه هى نظرتى للأمر، وهذا لا يعنى أننى سوف أتجاهل الأمر، ولكننى لن أخطر الولاية عن هذا الحادث. ليس هناك أى داع لاستدعائهم الآن. سوف أتحرى عن كل المفقودين وأطابق مواصفاتهم مع المواصفات التى ذكرتها ريسى عن المرأة التى شاهدتها. لا يسعنى أن أفعل أكثر من ذلك".

"هل هذا ما سوف تخبرها به؟ إنك لن تفعل المزيد".

خلع ريك قبعته ومرر أصابعه فى شعره، قائلاً: "هل ترى ما أراه أنا هنا؟ ليس هناك شىء؟ إن كان لديك وقت؛ يمكنك أن تصحبنى وأنا أتفقد باقى كبائن المنطقة".

"لدى وقت؛ ولكن لماذا أنا وليس نائب من النواب؟".

"لأنك كنت معها". وكالعادة، وضع ريك قبعته على رأسه، قائلاً: "يمكننا أن نصفك بأنك شاهد ثانوى".

"أنت تسعى لتغطية نفسك يا ريك".

قال ريك بدون انفعال: "هل هذه هى التسمية التى تروق لك؟ اسمعنى جيدا. أنا أرى أنها تظن أنها قد رأت شيئا، ولكن ليس هناك دليل يؤيد ما تقول. أرى أنها نامت ورأت كابوسا مزعجا وعليك أن تأخذ فى اعتبارك على الأقل أن هذا أمر وارد. لا أريد أن أضاعف همومها؛ ولكن على أن أتعامل مع حقائق، والحقائق تؤكد أنه ليس هناك دليل واحد يمكن أن أعتمد عليه. ليس هناك دليل واحد على تواجد أى شخص بالمرة، على الأقل ليس بكل تأكيد على مدى الأربع وعشرين ساعة الماضية. سوف نجرى مسحا ثانيا فى طريق العودة ونتفقد الكبائن فى هذا الجزء. إن عثرنا على شىء؛ فسوف يكون هذا خيطا جيدا؛ وسوف أتصل بالولاية وأواصل البحث. ولكن إن لم أعثر على دليل فسوف أكتفى بتفقد المفقودين من آن إلى آخر".

"أنت لا تصدقها إذن".

"بعد كل ما قلته لك يا برودى؟" قالها ريك وهو ينظر إلى النهر

أمامه والصخور بالأعلى، ثم أضاف: "كلا؛ بالطبع لا أصدقها".

عندما انتهت ضجة الإفطار؛ بادرت ريسى على الفور بإعداد حساء اليوم. سوت الخضر وقطعت بقايا اللحم فى شكل مكعبات والبصل إلى شرائح. لم تكن جوانى قد وافقت على شراء العشب الطازج لذا قررت أن تستخدم العشب المجفف.

يفضل أن تستخدم الريحان وعشب الروزمارى الطازج، كما أن الفلفل الأسمر الطازج سوف يكون أفضل بكثير أيضا من المسحوق الرمادى المعلب. وبحق الله؛ كيف كان يمكن أن تطهو باستخدام مسحوق الثوم؟! كانت تتمنى اقتناء ملح البحر. كما أنها لم تنجح أيضا فى العثور على طماطم ذات مذاق جيد فى هذا الوقت من العام.

قالت جوانى: "الديك الكثير من الشكاوى"، ثم أضافت وهى تتجه نحو الإناء؛ وتشم الرائحة: "تبدو رائحته زكية بما يكفى بالنسبة لى".

مازلت أحادث نفسى ثانية؛ هكذا أدركت ريسى، فقالت: "آسفة. الحساء على ما يرام؛ سوف يكون على ما يرام. أنا فقط فى حالة مزاجية سيئة".

"لقد تبينت هذا بنفسى على مدى النهار، كما أننى سمعته أيضا الآن، ولكنك لا تعملين هنا فى مطعم فاخر. إن كنت تريدين مكانا أفخم من ذلك فما كان يجدر بك أن تأتى إلى هذا المكان".

"كل شىء على ما يرام. آسفة".

"أنا لم أطلب منك الاعتذار الأول لكى تقدمى لى اعتذارا ثانيا. هذا يثير ضيقى. ألا تملكين أية عظام فقرية هنا؟".

"كنت أملكها بالفعل فى يوم من الأيام ولكنها مازالت فى طور الإصلاح".

أياً كان السبب الذى يقف وراء تعكر مزاجها؛ فإن نظرات عينى ريسى وعصبيتها وتوترها كان مثيرا بالفعل للقلق. "لقد قلت لك؛ تخيرى الحساء الذى يحلو لك؛ أليس كذلك؟". كانت جوانى

تتحدث بسرعة. "إن كنت تريدين اقتناء شيء ليس بحوزتنا؛ أعدى قائمة بما تريدين، وسوف أتفحص محتوياتها وربما أحضر بعضها، ولكن إن لم تكن لديك الشجاعة لطلب ما تريدين فكفى إذن عن الثرثرة بهذا الشأن".

"حسناً".

"ملح البحر!" قالتها جوانى فى تندر؛ ثم مضت لتصب لنفسها كوبا من القهوة. من الزاوية التى كانت تقف فيها؛ كان بوسعها أن تتفحص ريسى جيدا بدون أن تلفت نظرها. كانت الفتاة مائلة إلى الشحوب. هكذا لاحظت جوانى. كما أن الهالات السوداء كان تحيط بعينيها، فقالت: "لا أرى أن يوم العطلة كان مجديا بالنسبة لك".

"أنت محقة".

"لقد أخبرنى ماك أنك تسلقت أنجيل تريل".

"أجل".

"وعدت بصحبة برودى كما رأيت".

"لقد ... لقد تقابلنا صدفة فى الطريق".

احتست جوانى القليل من قهوتها، قائلة: "إن الطريقة التى ترتجف بها يدك الآن يمكن أن تجعلك تقطعين أصابعك بدلا من الجزر".

وضعت ريسى السكين على المنضدة ثم استدارت، قائلة: "جوانى؛ لقد رأيت -" ثم قطعت الحديث عندما دخل برودى المطعم، فقالت: "هل يمكننى أن آخذ استراحتى الآن؟".

هناك ما يريب؛ هكذا فكرت جوانى وهى تراقب برودى الذى بقى واقفا منتظرا. هناك ما يريب، ولكنها قالت: "أجل؛ تفضلى".

لم تجر ريسى حول المنضدة وإنما تحركت بخطى سريعة وأبقت عينيها مثبتتين على وجه برودى. أخذ قلبها يخفق بشدة وكأنه يصفع قفصها الصدرى. ومدت يدها نحوه وهى مازالت بعيدة عنه.

"هل عثرتما على -"

"دعينا نخرج من هنا".

اكتفت بالإيماء وهو ما كان كافيا بالفعل، حيث إنه بادر بجذبها

نحو الباب. كررت ريسى: "هل عثرتما عليها؟ "أخبرنى. هل عرفتما هويتها؟".

واصل سيره وهو يمسك ذراعها بقوة؛ إلى أن وصلا إلى جانب البناء أسفل الدرج المؤدى إلى شقة ريسى.

"لم نعثر على شىء".

"و لكن ... لابد أنه ألقى بجثتها فى النهر". لقد تصورت هذا المشهد مئات المرات طوال الليل، فأضافت: "يا إلهى؛ لقد ألقى جثتها فى النهر".

"لم أقل أحدا وإنما قلت شيئا يا ريسى".

"لابد أنه ..."، ثم منعت نفسها من الكلام والتقطت نفسا عميقا. ثم تحدثت بمنتهى الحرص: "أنا لا أفهم".

"لقد ذهبنا إلى المكان الذى ذكرت أن الجريمة قد وقعت فيه. غطينا المسافة من البقعة التى أشرت إليها حتى الطريق وعدنا أدراجنا ثانية من اتجاهات مختلفة. تفقدنا الكبائن الخمس الأكثر قربا من المنطقة. كانت كلها خاوية؛ كما أننا لم نعثر على أية علامة تشير إلى غير ذلك".

شعرت بغصة فى معدتها، فقالت: "ولكن تواجدهما فى هذه البقعة لا يعنى بالضرورة أنهما كان يقيمان فى إحدى الكبائن".

" لا، ولكن يجب أن يكونا قد وصلا إلى هذه البقعة من مكان ما؛ بيد أنه لم تكن هناك أية آثار؛ لم تكن هناك أية علامات".

"لقد ذهبتما إلى المكان الخاطئ".

"كلا؛ هذا لم يحدث".

عندها احتضنت نفسها بذراعيها؛ لم يكن السبب الذى دفعها إلى ذلك هو هواء الربيع البارد، فقالت: "ولكن هذا ليس ممكنا. لقد كانا هناك. لقد تشاجرا. لقد تنازعا ثم قتلها. لقد رأيته".

"لم أقل غير ذلك، ولكننى أقول لك إننا لم نعثر على شىء هناك يدعم أقوالك".

ألقت ريسى بجسدها على الدرج، قائلة: "سوف يفلت بفعلته. سوف يمضى لحال سبيله ويعيش حياته، لأننى أنا الوحيدة التى رأيت الحادث ولم أتمكن من رؤية ما يكفى؛ لم يكن بوسعى فعل

أى شىء".

"هل العالم يدور دائما من حولك؟".

رفعت رأسها عندها؛ وقد انتابها شعور بأنها ممزقة بين الصدمة والبؤس، فقالت: "وكيف بحق الله كان سيكون شعورك لو كنت مكانى؟ أظن أنك كنت ستطرد الأمر عن ذهنك. يا إلهى؛ لقد فعلت ما يمكننى فعله؛ ويجدر بى الآن أن أذهب لتناول العصير، وأتمدد على الأرجوحة المعلقة".

"ولكن الوقت مازال مبكرا على احتساء العصير. إن المأمور سوف يتفقد كل أسماء المفقودين، كما أنه سيتوجه إلى المنتجعات السياحية ويبحث فى كل أماكن الإقامة والمخيمات المجاورة. هل لديك وسيلة أفضل لإنجاز هذه المهمة؟".

"هذه ليست مهمتى".

" ولا أنا أيضا".

دفعت نفسها فوق قدميها، سائلة: "لماذا لم يعد ثانية لكى يحادثنى؟ لأنه لا يصدق أننى رأيت شيئا"، ثم أضافت قبل أن يتمكن من الرد عليها: "هو يظن أننى اختلقت الأمر".

"إن كنت تريدين معرفة رأيه، يمكنك أن تسأليه هو. أما أنا فأقول لك ما أعرفه".

"ولكننى أريد أن أذهب إلى هناك. أريد أن أرى بنفسى".

"كما تشائين".

"ولكننى لا أعرف كيف أذهب إلى هناك، وربما تكون أنت آخر شخص يمكننى أن أطلب منه أن يسدى لى هذه الخدمة الجليلة؛ ولكن هل تعلم شيئاً آخر أيضا؛ أنت الشخص الوحيد الذى أعلم تمام العلم أنه لم يقتل هذه السيدة. ما لم تكن تملك . بالطبع فضلا عن مواهبك العديدة الأخرى . القدرة على التحليق فى السماء. سوف أنهى عملى فى الثالثة عصراً. يمكنك أن تمر لتصحبنى حينئذ من هنا".

"هل يمكننى ذلك؟".

"أجل، يمكنك. وسوف تفعل، لأنك تهتم بهذا الأمر قدر اهتمامى به". دست يدها فى جيبها واستخرجت ورقة قديمة

ومغضنة فئة العشرة دولارات ثم وضعتها فى يده، قائلة: "خذ هذا. هذا هو ثمن الوقود".

عادت من حيث أتت وتركته وهو يحدق فى العشرة دولارات بمزيج من الدهشة والضيق.

٨

تركت ريسى الحساء يغلى على النار، وبما أنها كانت فى حالة غليان هى الأخرى؛ فقد بدأت تعد قائمة بالمواد الأساسية التى يجب توافرها فى أى مطبخ؛ من وجهة نظرها.

مطعم خمس نجوم؛ مطعم فى بلدة صغيرة؛ مطبخ شخصى. وما هو الفارق بحق الله؟ الطعام هو الطعام؛ لم لا يعد إذن بالشكل الصحيح؟!

أعدت طلبات لبعض الأشخاص؛ الذين كانوا يريدون. لأسباب تجهلها هى. تناول البرجر الجاموسى قبل الظهيرة. وفى الوقت الشاغر ما بين إعداد الطلبات؛ انهمكت فى تنظيف وحدات المطبخ

من الداخل إلى الخارج.

كانت تجلس على ركبتيها تنظف أسفل الحوض عندما مالت عليها ليندا جيل قائلة: "هل تسعين للتقليل من شأننا جميعا؟".

"كلا. إننى فقط أريد أن أبقى فى حالة انهماك دائم".

"عندما تفرغين من عملك هنا؛ يمكنك أن تذهبى إلى منزلى وتشغلى نفسك هناك. هل أنت غاضبة من جوانى؟".

"كلا. أنا غاضبة من العالم. كل هذا العالم الوضيع القبيح".

نظرت ليندا جيل إلى الوراء وأخفضت صوتها وهى تقول: "هل جاءتك الدورة الشهرية؟".

"كلا".

"أنا لا أغضب من العالم القبيح الوضيع هذا إلا يومًا أو اثنين على مدار الشهر. هل يمكننى أن أسدى لك نصيحة؟".

"هل يمكنك أن تمحى الأربع وعشرين ساعة الماضية من ذهنك؟".

"كلا؛ على الأرجح" قالتها وهى تضع يدها على ظهر ريسى وربتت عليها، مستطردة: "ولكن لدى شيكولاتة فى حقيبتى".

أطلقت ريسى تنهيدة وأسقطت المنشفة التى كانت تعمل بها فى الماء المزود بالرغوة، قائلة: "أى نوع من الشيكولاتة؟".

"تلك الشيكولاتة الصغيرة فى الغلاف المذهب التى تضعها الفنادق فوق الوسائد ليلا. لقد أحضرتها لى ماريا التى تعمل فى خدمة الغرف هناك".

بدت الابتسامة غريبة على وجه ريسى حتى أنها كادت تكون مؤلمة، ثم قالت: "إنها ليست سيئة. شكرا؛ ربما ـ".

"ريسى". جاء صوت جوانى بارداً وحاداً مما دفع ريسى إلى الإسراع بالخروج من تحت الحوض. "أريدك دقيقة فى مكتبى".

تبادلت ريسى النظرات مع ليندا جيل؛ كانت ليندا تفيض شفقة على ريسى قبل أن تنهض وتتبع جوانى إلى مكتبها الصغير.

"أغلقى هذا الباب. لقد وصلتنى للتو مكالمة هاتفية من ابنى. يبدو أن المأمور يجرى تحقيقا فى المزرعة، يبدو أنه يبحث عن أشخاص؛ وخاصة سيدة قد تكون مفقودة. لو لم يتمكن من معرفة

المزيد منه؛ ولكننى لم أرب أحمق لذا فقد علم منه ما يكفى".

استدارت جهة نافذة مكتبها الصغيرة وفتحتها قبل أن تستخرج لفافة التبغ من جيبها، مستطردة: "يقول ريك إنه ربما يكون هناك شخص قد رأى شيئا يخص هذه المرأة وإن هذا الشخص ربما يكون قد صعد إلى ليتل أنجيل ورأى شيئاً ما عبر النهر، وبما أننى لست حمقاء أنا الأخرى؛ فقد تصورت أن هذا الشخص ربما يكون أنت".

"لقد طلب منى المأمور ألا أبوح بكلمة قبل أن ينهى التحقيق ولكن بما أنه لم يتوصل إلى شىء ... فقد رأيت رجلا يقتل امرأة؛ لقد رأيته وهو يخنقها وكنت أبعد من أن أتمكن من مساعدتها. أبعد من أن أفعل أى شىء. والآن لم يتمكن هو من التوصل إلى أى شىء. وكأن شيئا لم يكن".

نفثت جوانى خيط دخان سريعًا، قائلة: "أية امرأة؟".

"لست أدرى. لم أتعرف عليها. لم أرها بمثل هذا الوضوح. لم أر وجهها أو وجهه. ولكننى رأيت ... رأيت ...".

أبقت جوانى صوتها باردا وحازماً وهى تقول: "لا تفقدى أعصابك هنا، اجلسى إن أردت ولكن لا تفقدى أعصابك".

قالت ريسى: "حسناً، لا بأس"، ولكنها لم تجلس وإنما مسحت دموعها براحة يديها، مضيفة: "لقد رأيتهما. رأيت ما فعله بها. كنت الشخص الوحيد الذى شاهد ما حدث".

حذاؤها العالى وهو يقرع الأرض.

كان حذاء عاليا من ماركة (نيكى) أسود اللون مزوداً بحلى فضية.

كانت سترته سوداء، وكان يرتدى قبعة صيد برتقالية اللون.

فوهة مسدس أسود كبير.

كررت قولها: "كنت الوحيدة التى شاهدت ما حدث، ولكننى لم أر ما يكفى".

"لقد ذكرت أنك كنت مع برودى هناك".

"كان فى مكان ما أسفل منى بكثير. لم ير شيئاً، ولكنه صعد معى بعدها، غير أننا لم نر شيئا". وبما أنها لم تجد ما يكفيها من هواء تتنفسه داخل تلك الغرفة الصغيرة الأشبه بالعلبة فقد

اتجهت ريسى نحو النافذة، مضيفة: "لم يُخيل إلىّ شىء".

"وما الذى يدفعنى إلى افتراض أنك قد تصورت شيئاً لم يحدث؟ إن كنت مازلت تعانين مما حدث كان يمكنك أن تتغيبى عن العمل اليوم".

"كان الأمس يوم عطلتى وانظرى ما الذى حدث. هل قال لك لو ... إن كانت هناك امرأة تقيم فى المزرعة؟".

" لم يكن هناك مفقود من بين المقيمين أو العاملين هناك".

"بالطبع" قالتها وهى ليست واثقة ما إن كان يجدر بها أن تشعر بالارتياح أم بالذعر. أغمضت ريسى عينيها، مضيفة: "بالطبع، ليس هناك مفقود بينهم".

بعد نقرة سريعة على الباب؛ دست ليندا رأسها بالداخل، قائلة: "آسفة، ولكن المكان أصبح يعج بالزبائن".

قالت جوانى فى لهجة آمرة: "أخبريهم أن ينتظروا قليلاً"، ثم انتظرت لحين إغلاقها الباب ثانية، فأضافت: "هل يمكنك أن تستكملى نوبة عملك اليوم؟".

"أجل، أفضل أن أبقى منهمكة".

"إذن، اذهبى وواصلى الطهى، ومرة ثانية عندما تشعرين أن هناك ما ينغص عليك حياتك؛ فلا تلتفتى إلى ما يقوله ريك مردسون؛ يمكنك أن تبوحى إلىّ بما تريدين".

"شكرا، لقد كان هناك عراك شديدٌ فى أحشائى".

"لست مندهشة، ولكن لابد أنك أفضل حالا الآن بعدما بحت بما لديك".

"بالفعل، ولكن هل لى أن أعرف رأيك فى المأمور ريك . أعنى باعتباره مسئولا عن الأمن هنا؟ لقد سبق وسألت برودى عن رأيه فيه ولكنه صديقه".

"فائق الكفاءة ما دفعنى للتصويت لصالحه مرتين. إننى أعرفه هو وديبى منذ اثنى عشر عاما تقريبا منذ أن انتقلا للعيش فى شيبين".

"أجل ولكن ...". بللت ريسى شفتيها، ثم أضافت: "ولكننى أقصد ما رأيك فيه كضابط شرطة؟".

"فيما يتعلق بهذا الصدد؛ فهو يعرف ما يجب عليه عمله بدون أن يحدث جلبة من حوله. قد تظنين أنه ليس لديه الكثير مما يجب القيام به فى بلدة بهذا الحجم، ولكننى أؤكد لك أن كل أم فى أنجيل فيست تملك مسدسا، بل إن معظمهم يملك أكثر من مسدس واحد؛ ولكن ريك يجعلهم يستخدمون هذه المسدسات فى الصيد والرماية، كما أنه يحافظ على الاستقرار والأمان عندما تعج البلدة بالسياح. إنه يؤدى عمله بنجاح".

لم تكن جوانى بحاجة لأكثر من لمحة بعينيها لكى تدرك أن ريسى لم تقتنع بكلامها، فقالت: "دعينى أطرح عليك سؤالاً، هل كان بوسعك أن تفعلى شيئا فى هذا الصدد أكثر مما فعلت بالفعل؟".

"لا أدرى".

"إذن اتركى الأمر لريك وعودى إلى المطبخ وواصلى عملك".

"حسناً، أظن أنك محقة. جوانى؟ لقد أعددت هذه القائمة وأردت فقط أن أنوه إلى أن شراء الثوم الخام سوف يكون أرخص ثمنا من شراء الثوم المسحوق؟".

"سوف أضع هذا فى اعتبارى".

كان الحساء شهيا لذا لم تكن هناك مدعاة لأن تشغل بالها بأنه يمكن أن يكون أفضل مذاقا لو كانت تملك بين يديها كل المكونات التى تريدها.

كان هذا فى الماضى. عندما كانت تناضل من أجل ما هو أحسن؛ من أجل الأفضل؛ من أجل المثالية. ألم تدرك الآن بعد كل ما مرت به أنه لا بأس من أن ترضى بالمستوى المتوسط؟ لا أحد هنا يعبأ ما إن كان الريحان طازجا أو بقى محفوظا فى إناء من البلاستيك على مدى ستة أشهر.

فلم تعبأ هى إذن؟

كل ما كان عليها أن تطهو وتقدم الطعام وتقبض أجرها.

لم تكن تستثمر أموالها هنا، بل إنها فى واقع الأمر شعرت أنها أخطأت عندما استأجرت الشقة العلوية، لأنها شديدة القرب من مقر عملها. عليها أن تنتقل إذن إلى الفندق.

بل الأفضل من هذا كله أن تحزم كل مقتنياتها فى السيارة وتمضى لحال سبيلها.

ليس هناك ما يدعوها للبقاء هنا. ليس هناك ما يدعوها للبقاء فى أى مكان.

صاحت ليندا قائلة: "لقد جاء برودى، إليك تذكرة الطلب؛ هو والطبيب سوف يتناولان الحساء".

همهمت ريسى: "برودى والطبيب،أليس هذا رائعا؟".

سوف تعد لهما الحساء؛ حسناً، ما من مشكلة على الإطلاق.

بينما بدأ الغضب يدب فى أوصالها بدأت تعد صحنين للتقديم؛ وضعت فى كل منهما الخبز والزبد. وعندما سوى المزيج على النار؛ حملت الطلب بنفسها وخرجت لتقدمه للرجلين.

"إليكما حساءكما. وإليكما طبقى الجانبى ؛دعانى أخبركما أننى لست بحاجة أو برغبة لإجراء فحص طبى. أنا لست مريضة، كما أننى لست مصابة بأية علة فى عينى فضلا عن أننى لم أنم فوق المرتفع ولم أحلم بأننى شاهدت امرأة تُخنق حتى الموت".

كانت تتحدث بصوت عال ومع اندلاع كلماتها فى الهواء، توقفت كل أحاديث الموائد المجاورة. للحظة؛ كان الصوت الوحيد المنبعث هو صوت كارث بروكز الصادر من صندوق الموسيقى.

أنهت ريسى حديثها وعادت تسير إلى المطبخ، قائلة: "استمتعا بغدائكما". خلعت مريلتها وارتدت سترتها، مضيفة: "انتهت نوبتى، سوف أصعد إلى شقتى".

قالت جوانى وهى تضع فى هدوء شريحة برجر على الشواية: "هيا انطلقى، نوبتك سوف تبدأ من الحادية عشرة إلى الثامنة غداً".

"أعرف جدولى". سارت نحو الخلف ودارت إلى الجانب ثم صعدت الدرج.

داخل شقتها؛ توجهت مباشرة إلى خريطتها ودليلها واستخرجت ما تود التعرف عليه. سوف تعثر على طريقها إلى البقعة التى تريدها بنفسها. لم تكن بحاجة إلى مرشد أو مساعد؛ لم تكن بحاجة إلى رجل يسعى للتحكم فيها والسيطرة عليها وإذلالها.

فتحت الخريطة؛ ثم فردتها بأصابعها على الأرض.

كان الخريطة مغطاة بالخطوط الحمراء والعقد والبقع. كانت المنطقة التى رأتها من على المرتفع فى اليوم السابق محاطة بالدوائر؛ محاطة بعدة دوائر.

إنها لم تفعل ذلك. لم تفعله؛ ولكنها مع ذلك بقيت تنظر إلى أصابعها وكأنها تتوقع أن ترى البقع الحمراء على أطرافها. لقد كانت الخريطة نظيفة تماما فى اليوم السابق، والآن بدت لها وكأنها فتحت وأعيد فتحها مرات ومرات؛ بل وكُتب عليها شفرات مجنونة.

إنها لم تفعل ذلك. لا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك.

أخذت تتنفس بسرعة، ثم هرعت إلى درج المطبخ وفتحته. هنا؛ وجدته حيث وضعته؛ قلمها الأحمر الكبير. بأصابع مرتجفة؛ فتحت الغطاء فوجدت طرفه مفلطحًا ومستخدمًا.

ولكن كيف حدث ذلك؟ لقد اشترته منذ أيام قليلة فقط من متجر السيد دروبر.

و بحرص شديد غيرت طرف القلم وأعادته ثانية داخل الدرج. ثم أغلقته ثم استدارت وقد أعطت ظهرها للجدار وأجرت مسحا للشقة.

لم يكن هناك أى شىء قد تحرك من مكانه. كانت تعلم ذلك جيدا. كانت تستطيع أن تعرف ما إن كان الكتاب قد تحرك من مكانه ولو لبوصة واحدة. ولكن كل شىء كان موضوعا بعناية حيث وضعته وكما تركته فى الصباح. عندما أغلقت الباب وراءها.

تفحصت القفل مرتين، ربما ثلاث مرات.

نظرت إلى الخريطة الموضوعة على الأرض ثانية. هل هى التى فعلت هذا؟ ربما فى وقت ما أثناء الليل ما بين الأحلام واليقظة؛ ربما تكون قد استيقظت والتقطت القلم من الدرج.

إذن لمَ لا تتذكر؟

قالت لنفسها؛ لا يهم، ثم عادت ثانية لكى تلتقط الخريطة. لقد كانت غاضبة؛ هذا أمر طبيعى. لقد كانت شديدة الغضب، لذا التقطت القلم لكى تتأكد من أنها لن تنسى البقعة التى وقعت فيها

الجريمة.

و لكنها لم تفقد عقلها.

أعادت طى الخريطة. سوف تشترى خريطة جديدة؛ هذا ما قررته فى نفسها. سوف تتخلص من هذه الخريطة. سوف تدفنها فى سلة مهملات جوانى. وسوف تشترى خريطة جديدة. لم تكن سوى خريطة. لم تكن شيئا يستحق أن يثير ضيقها.

ولكن عندما سمعت وقع خطوات على الدرج؛ دستها بسرعة وبشعور بالذنب فى جيبها الخلفى.

كان الطرق سريعا؛ كما أنه كان. على حد تقييمها لصوت الطرق على الخشب. غاضباً. مما جعلها تتأكد أن برودى هو الطارق.

انتظرت دقيقة لحين استعادت هدوءها بما يكفى ثم سارت نحو الباب وفتحت القفل ثم فتحت الباب.

"هل أنت مستعدة؟".

"لقد غيرت رأيى. سوف أذهب بمفردى".

"حسناً. افعلى ما يحلو لك"، ولكنه دفعها للتراجع خطوة ثم خطا بالداخل وصفع الباب وراءه، قائلاً: "لا أدرى ما الذى أثار ضيقك. أنا لم أجر الطبيب إلى هنا لكى يلقى نظرة عليك. ما الذى يدفعنى إلى ذلك بحق الله؟ هذا أمر طبيعى ويتكرر كثيرا؛ فهو يأتى لتناول الغداء مرات قليلة على مدى الأسبوع وهو ما لاحظته بنفسك. ما لم تكونى عمياء أو حمقاء. إلى الآن. كما أننا كثيرا ما نجلس معا عندما يأتى إلى المطعم. هذا هو ما يسمى العلاقات الاجتماعية. هل أنت سعيدة الآن؟".

"كلا، ليس كثيراً".

"حسنا؛ لأن هذه السعادة سوف تتلاشى الآن ثانية على أية حال. لقد أجرى ريك بعض التحقيقات. وهو من صميم عمله من واقع توصيفى لمهام عمله. لذا ذاع الخبر، وسألنى الطبيب إن كنت أعرف شيئا عن الأمر. لم أكن قد أجبته بعد ولم أكن قد عقدت العزم ما إن كنت سوف أبلغه إلى أن حملت أنت الحساء. كان حساء شهيا للغاية بالمناسبة أيتها المهووسة".

"لقد بقيت فى مصحة نفسية لثلاثة أشهر، لذا فإن كلمة

مهووسة لا تثير غضبى".

"ربما كان يجدر بك أن تبقى هناك لبضعة أسابيع أخرى".

فتحت فمها ثم أغلقته، ثم سارت نحو الأريكة وجلست وضحكت. ظلت تضحك وهى تفك العقدة التى كانت قد لفت بها شعرها وتركته حرا فوق ظهرها، قائلة: "لم تثر هذه الطريقة فى الحديث شعورى بالارتياح لم تثر هذه الفظاظة والغلظة فى الحديث ارتياحى عن الحديث الذى ينم عن الشفقة؛ مثل "يا لهذه المسكينة!" و "هل كل شىء على ما يرام؟" ربما أكون مهووسة بالفعل، ربما أكون قد فقدت عقلى".

"ربما يجدر بك أن تكفى عن الرثاء لحالك".

" كنت أظن ذلك، ولكننى لم أفعل. كان كل الأشخاص من أصحاب النوايا الطيبة يحومون بالأطباء والمحللين النفسيين من حولى كلما رمشت بعينى".

"ولكننى لست من أصحاب النوايا الطيبة كما أننى لا أحبك".

"سوف أتذكر هذا فى المرة القادمة". وضعت توكة شعرها على المائدة الصغيرة بجوار الأريكة ثم أضافت: "أمازلت تود مصاحبتى إلى هناك؟".

"لقد فرغت نفسى اليوم لتلك المهمة الشاقة على أية حال".

"حسناً، إذن"، ثم نهضت لكى تحضر حقيبتها.

وقف عند الباب وأخذ يراقبها وهى تتفحص محتويات الحقيبة؛ أغلقتها، ثم فتحتها وتفحصت محتوياتها ثانية، وعندما أغلقتها للمرة الثانية أخذت تقاوم رغبتها فى أن تفتحها للمرة الثالثة.

عندما فتح الباب، خرجت ثم أغلقته، ثم وقفت ببساطة للحظة تراقب الباب.

"هيا، تفحصى القفل. ليس هناك أية مدعاة لأن يظل القلق والتوتر مسيطرين عليك بعدما نغادر".

"شكرا". تفحصت القفل ثم ألقت إليه نظرة اعتذار مقتضبة ثم تفحصت القفل ثانية قبل أن تشرع فى هبوط الدرج.

قالت له: "هذا تحسن، لقد كنت أستغرق عشرين دقيقة فى العادة لحين مغادرة الغرفة. هذا فضلا عن أننى كنت أفعل هذا

بمساعدة عقار الكزانكس".

"من الأفضل أن تستعينى بالكيمياء".

"ليس كثيرا. إن الأقراص تجعلنى ... متبلدة أكثر مما أبدو عليه لك". قبل أن تركب السيارة؛ تفحصت المقعد الخلفى، قائلة: "لم يكن هذا الشعور بالتبلد يثير ضيقى لفترة، لكننى أصبحت أفضل الآن أن أستغرق كل الوقت اللازم لتفقد كل الأشياء بنفسى بدلا من أن أتناول الأقراص ولا أكترث بها من الأصل".

أغلقت حزام الأمان واختبرته، ثم استطردت: "ولكن ألا يعنيك أن تعرف سبب تواجدى فى المصحة النفسية؟".

"هل أنت بصدد سرد قصة حياتك على الآن؟".

"كلا، ولكننى أرى أننى مادمت قد ورطتك إلى هذا الحد فلابد أن تعرف جزءاً من حياتى".

انعطف بالسيارة وبدأ يقودها حول البحيرة خارجا من البلدة، ثم قال: "إننى أعرف بالفعل جزءاً من قصة حياتك. لقد أجرى المأمور تحريات عنك".

"إنه -" ثم قاطعت نفسها لكى تتفكر فى الأمر، مضيفة: "أظن أن هذا أمر طبيعى، فلا أحد يعرفنى، وفجأة أصبح: جريمة قتل!".

"هل تم القبض على الشخص الذى أطلق عليك النار؟".

"كلا "، ثم بدأت يدها تتحرك بشكل تلقائى فوق صدرها، قائلة: "إنهم على الأقل يعتقدون أنهم قد تعرفوا على أحدهم، ولكنه هرب قبل أن يتسنى لهم إلقاء القبض عليه واستجوابه. لقد كان هناك أكثر من شخص واحد. لا أعرف عددهم بالضبط، ولكنهم كانوا أكثر من شخص واحد. لابد أنهم كانوا أكثر من شخص واحد".

"حسناً".

"اثنا عشر شخصاً؛ أشخاص عملت معهم وطهوت معهم وأحببتهم. كلهم ماتوا. كان يجب أن أكون قد مت أنا الأخرى أيضا. هذه هى أحد الأشياء التى أظل أفكر فيها. ما الذى جعلنى أبقى على قيد الحياة بينما لقى الجميع حتفهم. هل هناك أى مغزى فى ذلك؟".

"إنه القدر".

"ربما، وربما كان الأمر سخيفاً وهزليا إلى هذا الحد". سألت نفسها؛ هل يمكن أن يكون كذلك؟ إنهم لم يحصدوا إلا ألفى دولار، لأن معظم الأشخاص يستخدمون بطاقات الائتمان عند الخروج لتناول العشاء. ألفا دولار تقريبا وأية مقتنيات أخرى لا قيمة لها داخل محافظ النقود والحقائب، القليل من المجوهرات؛ لم يكن هناك شىء يستحق. كنا نملك خزانة عصائر جيدة، ولكن ألهذا مات كل هؤلاء؟ ألم يجد الجناة من يتصدى لهم؛ من يقف فى وجوههم. كل هذا من أجل بعض المال، بعض العصائر، بعض الساعات؟!".

"ولكن ما الدافع وراء قتلهم؟".

أخذت تحدق فى الجبال الشامخة القوية؛ البرية التى كانت تعانق لون السماء الأزرق المشرب بالبياض، مجيبة: "لأن الأشخاص الذين جاءوا إلى المكان أرادوا ذلك، فقط من أجل المتعة. قتل بغرض التسلية! هذا ما سمعت رجال الشرطة يقولونه. لقد عملت هناك منذ كنت فى السادسة عشرة. لقد ترعرعت فى مطعم مانو".

"كنت تعملين وأنت فى السادسة عشرة من عمرك. لابد أنك كنت طفلة متمردة".

"كان لدى بعض مواقف التمرد، ولكننى أردت أن أعمل، أردت أن أعمل فى مطعم. كنت أعد الموائد وأحضر الطعام فى عطلات نهاية السبوع؛ أثناء فصل الصيف والعطلات. كنت أحب ذلك. كنت أحبهم".

استرجعت أثناء حديثها نفس المشاعر التى كانت قد اعترتها وقتها؛ صوت الضجيج فى المطبخ والفوضى بالخارج عند الباب المتأرجح والأصوات والروائح.

"كانت آخر ليلة لى فى المطعم، وكانوا قد أعدوا لى حفل وداع احتفاء بى. كان من المفترض أن تكون مفاجأة لذا أخذت أتسكع فى المطبخ لكى أمنحهم وقتا كافيا للإعداد، ثم سمعت صياحًا وصوت إطلاق نار وارتطامًا. شعرت أننى فقدت وعيى لدقيقة. أنت لا تسمع مثل هذا الصياح وصوت إطلاق النار فى مانو. هذا أمر غير معتاد فى مطعم عائلى. شيرلى كرو".

"ماذا؟".

"فى مذياع المطبخ؛ كانت شيرلى كرو. دسست يدى لالتقاط هاتفى الجوال - هذا هو كل ما أتذكره على أية حال، ثم فتح الباب وبدأت أستدير - أو ربما بدأت أجرى. عندما أتصور هذا الأمر فى رأسى؛ عندما أفكر فيه أو أحلم به؛ أرى مسدسا؛ وأرى الـ (سويت شيرت) الرمادى الغامق. هذا هو كل ما حدث. رأيت هذا ثم سقطت ثم بدأ الألم يدب فى جسدى. مرتين؛ هكذا قالوا. لقد أطلق على النار مرة فى الصدر وأخرى فى رأسى؛ ولكننى لم أمت".

عندما صمتت؛ رماها بنظرة، قائلاً: "أكملى".

"سقطت فى الخزانة؛ خزانة أدوات التنظيف. كنت قد وضعت أدوات التنظيف فى الخزانة ثم سقطت بداخلها. لقد أخبرنى الضباط بذلك فى وقت لاحق. لم أدر أين كنت. وعندما أفقت من الصدمة قليلا - كنت فاقدة الحس؛ باردة ومضطربة".

فركت يدها على صدرها ثانية وأضافت: "لم يكن بوسعى التقاط أنفاسى؛ كل هذا الوزن الذى كان يجثم فوق صدرى. هذا الألم الفظيع ولم يكن بوسعى أن أتنفس؛ أن أحصل على بعض الهواء. كان الباب مازال مفتوحا ليس عن آخره وإنما بضع بوصات قليلة. سمعت أصواتا وفى البداية حاولت أن أطلب المساعدة، ولكننى لم أنجح. لحسن الحظ لم أنجح، فقد كان هناك صوت بكاء وصياح وضحك".

أنزلت يدها بمنتهى السيطرة ووضعتها على حجرها، مستطردة: "وبعدها لم أفكر فى طلب المساعدة، وإنما كل ما فكرت فيه هو أن أبقى محتفظة بهدوئى؛ هدوئى الكامل حتى لا يعودوا ثانية لتفقد الأمر، حتى لا يعودوا لقتلى، ثم سمعت صوت ارتطام. سقطت صديقتى التى كانت تشاركنى فى أعمال الطهى على الجانب المقابل من الباب؛ جينى. جينى شانكز. كانت فى الرابعة والعشرين من عمرها. كانت قد خطبت لتوها فى الشهر السابق على الحادث، وكانت ستتزوج فى شهر أكتوبر التالى وكان من المفترض أن أكون وصيفتها فى حفل عرسها".

عندما بقى برودى صامتا، أغمضت ريسى عينيها واستكملت

قصتها: "سقطت جينى؛ كنت أرى وجهها عبر ثقب بالباب. كانت مصابة وملطخة بالدماء فى البقعة التى لابد أنهم أطلقوا فيها النار عليها. كانت تبكى وتتوسل. والتقت أعيننا لثانية واحدة، ثم فعلوها. سمعت صوت طلق نارى ثم انتفضت؛ مرة واحدة فقط وكأنها دمية على وتر. وفى لمح البصر فارقت الحياة. لابد أن أحدهم ركل الباب لأنه أغلق. بقيت فى ظلام دامس. كانت جينى على الجانب المقابل من الباب، ولم يكن هناك شىء يمكننى أن أفعله لها؛ شىء يمكننى أن أفعله لأى منهم. لم يكن بوسعى الخروج. كنت فى قبرى؛ كنت مدفونة وأنا حية وكنا جميعا أمواتًا. هذا هو ما تراءى لى.

"ولكن الشرطة عثرت على وبقيت على قيد الحياة".

"وكم بقيت فى المستشفى؟".

"ستة أسابيع، ولكننى لا أتذكر أول أسبوعين بالمرة، وكذلك بضع لقطات بسيطة من الأسابيع التالية، ولكننى كنت عاجزة تماما عن مواجهة الأمر".

" أى أمر؟".

"الحادث؛ البقاء على قيد الحياة؛ الشعور بأننى ضحية".

" وكيف يستطيع الشخص أن يواجه إطلاق النار عليه وتركه إلى أن يلقى حتفه ورؤية صديقه وهو يُقتل أمام عينيه؟".

"بالاستجابة للعلاج وتقبل أنه لم يكن بوسعى أن أفعل شيئاً لمنع أو تجنب ما حدث، بل وفى النهاية الشعور بالتقدير لكونى قد بقيت على قيد الحياة. التوجه إلى الله أو الانغماس فى متع الحياة ولذاتها وأنهل منها حتى أرتوى". ثم قالت بنفاد صبر: "لا أدرى، ولكننى عجزت عن التكيف والتواؤم مع كل ما حدث. كنت أصاب بنوبات ذعر ليلا، وكانت ذكرى الحادث لا تكف عن مهاجمتى. كنت أسير أثناء نومى وأصاب بنوبات هيستيرية ثم نوبات خمول. كان يهيئ لى أننى أسمع أصوات مجيئهم وأرى (السويت شيرت) الرمادى الغامق على أناس غرباء فى الطريق. أصبت بانهيار عصبى نقلت على إثره إلى مصحة للعلاج النفسى".

"خضعت إذن لعلاج نفسى".

"لقد لجأت بنفسى إلى العلاج فى مستشفى للعلاج النفسى عندما أدركت أن حالتى لم تتحسن. لم يكن بوسعى أن أعمل أو أتناول الطعام. لم يكن بوسعى فعل أى شىء". ثم فركت صدغها، مضيفة: "ولكن كان على أن أرحل لأننى أدركت كم من السهل أن أستسلم للبقاء فى هذه البيئة الآمنة. كان على أيضا أن أكف عن تعاطى الأقراص المهدئة، لأنها كانت تشعرنى بالتبلد وتفقدنى الحس، وكنت قد عشت هذا الشعور بالفعل لفترات طويلة قبلها".

" إذن أنت الآن مضطربة الأعصاب والعقل".

"يمكنك أن تقول ذلك، كما أننى مصابة برهاب الأماكن الضيقة والوسواس القهرى مع بعض نوبات البارانويا والكثير من نوبات الفزع المرضى، وأحلام مزعجة فضلا عن أننى أستيقظ أحيانا وأشعر أن كل هذا الحادث يعيد نفسه ثانية، أو يمكن أن يحدث ثانية؛ ولكننى رأيت هذين الشخصين؛ لم يُخيل إلى؛ لم أتخيل. لقد رأيتهما".

أوقف سيارته على جانب الطريق، قائلاً: "حسناً، سوف نسير من هنا".

خرجت هى أولاً ثم احتضنت نفسها واستخرجت الخريطة من جيبها، قائلة: "لقد صعدت إلى أعلى لكى أحضر هذه عندما انتابنى الشعور بالحنق ظنا منى بأنك جئت بالطبيب من أجلى. صعدت إلى أعلى واستخرجت الخريطة لأننى كنت أنوى المجئ إلى هنا بمفردى".

فتحت الخريطة ومنحته إياها.

"لا أذكر متى فعلت ذلك، ووضعت علامات هنا. لا أتذكر ولكن هذا لا يعنى أننى تخيلت ما حدث بالأمس. لابد أنه انتابتنى نوبة فزع ليلا ثم نسيتها".

"إذن، لمَ تريننى إياها؟".

"يجب أن تعرف من تتعامل معه".

تفحص الخريطة جيداً ثم أعاد طيها، قائلاً: "لقد رأيت وجهك بالأمس عندما هرعت تركضين. لو أنك كنت قد تخيلت أن هذه المرأة قد قتلت فهذا يعنى أنك تضيعين وقتك فى المطبخ، لأن

أى شخص يملك مثل هذا الخيال الخصب يجب أن ينتمى إلى فئتى أنا. سوف تفوق مبيعاتك فى هذه الحال أفضل الكتب".

"إذن أنت تصدقنى فعلا".

"يا إلهى! اسمعينى". أعاد لها الخريطة فى يدها، مضيفاً: "لو لم أكن أصدقك لما صحبتك إلى هنا، فأنا لدى حياتى وعملى ووقتى غالٍ. لقد رأيت ما رأيت وهذا ليس منصفا. لقد لقت امرأة حتفها، ويجب أن يأبه أحد بما حدث".

أغمضت عينيها لدقيقة، قائلة: "لا تسئ فهمى؛ حسناً؟". وما إن قالتها حتى تقدمت نحوه وقبلته.

"وكيف يمكن أن أسئ فهم ذلك؟".

"على أنه أى شىء آخر غير تقدير صادق". ألقت حقيبتها على كتفها، ثم أضافت: "هل تعرف الطريق؟".

"أجل؛ أعرفه".

وعندما انعطفا من على الطريق فى اتجاه الغابة؛ رمته بنظرة خاطفة، قائلة: "هذه هى المرة الأولى التى أقبل فيها رجلاً منذ عامين".

"إذن هذا هو سر جنونك. كيف كان الأمر؟".

"مريحاً".

تنهد قائلاً: "فى فرصة أخرى أيتها النحيفة ربما يمكننا أن نقدم على ما هو أكثر إثارة وليس راحة".

" ربما سنفعل". وقالت لنفسها فى لهجة آمرة؛ والآن فكرى فى أمر آخر. "لقد توجهت إلى المتجر فى إحدى فترات استراحتى، واشتريت روايتك يا جيسمون بى. برودى".

" أى رواية؟".

(غياهب الظلام). لقد أخبرنى ماك بأنهما أولى رواياتك؛ لذا أردت أن أبدأ بها، وقد أخبرنى أيضا بأنه معجب بها".

"وكذلك أنا".

ضحكت، قائلة: "سوف أخبرك برأيى. هل يناديك أحد باسمك الأول؟".

"كلا".

" ولكن إلام يشير حرف الـ (بى)؟".

"إلى كلمة مثابرة".

"هذا مناسب". وعندها بللت شفتيها، مستطردة: "يمكن أن يكونا قد أتيا إلى هنا من أى اتجاه".

" ولكنك قلت إنك لم تر أية مقتنيات أو أدوات".

"كلا لم أر شيئا، ولكن هذا يعنى أنهما ربما تركاها فى مكان أبعد قليلا إلى الوراء حيث لا يصل بصرى".

"لم تكن هناك أية آثار يا ريسى فى أى اتجاه باستثناء آثار قدمى ريك الذى كان قد قطع الطريق بحثا". انحنى ثم استطرد: "انظرى! أنا لست متخصصا فى مثل هذه الشئون، ولكننى أعرف بعض الأساسيات القليلة. هذه هى آثار أقدامى أنا وريك منذ الصباح؛ إن الأرض هنا رطبة للغاية".

"حسناً، إنهما لم يطيرا بجناحين".

"كلا، ولكن إن كان يعرف شيئا بشأن السير فى مثل هذه الأماكن وتسلق المرتفعات، فيمكنه أن يمحو آثاره".

"لماذا؟ من الذى سيبحث هنا عن جثة امرأة ميتة لم يره أحد وهو يقتلها؟".

"أنت رأيته، وربما رآك هو الآخر أيضاً".

"ولكنه لم ينظر حوله. لم ينظر عبر النهر؛ لم يستدر أبداً".

"ربما ليس أثناء مراقبتك له. لقد جريت؛ أليس كذلك؟ وتركت حقيبتك فوق الصخرة. ربما لمحك وأنت تركضين أو رأى حقيبتك على الصخرة. ربما حدث هذا بمنتهى السرعة. لقد استغرقنا ساعتين للوصول إلى كبينتى، وثلاثين دقيقة أخرى لحين حضور ريك، وساعة أخرى لحين انتهاء حديثه معك أولا. ثلاث ساعات. يا إلهى؛ يمكنك أن تمحى آثار فيل ضخم هنا إن كنت قد علمت أن هناك من رآك".

"لقد رآنى إذن". شعرت بغصة فى حلقها عند تصور ما يقوله.

"ربما، وربما لم يرك. على أية حال؛ لقد كان حريصا. لقد كان ذكيا وحريصا بما يكفى لكى يستغرق كل الوقت اللازم لتغطية أى أثر يشير إلى وجوده أو وجودها".

"لقد رآنى. لم لم أفكر فى هذا من قبل؟". مررت يدها على وجهها، مستطردة: "لقد سحبها أو حملها بعيدا أو قذفها فى الماء بحلول الوقت الذى وصلت فيه إليك".

" ولكننى أفضل الخيار الأول. سوف يستغرق وقتا لكى يرمى الجثة فى النهر".

"إذن، حملها بعيدا".

توقفت ريسى، لأنها سمعت صوت النهر وهو يمر بجوار الأشجار ورجفة الصخور. كان الصوت يدوى فى المرتفعات وكأنه الرعد. فكرت فى نفسها؛ كما لو كنا داخل صندوق سقفه السماء.

همهمت: "من هنا، كل شيء بين يديك ... وحدك هنا. النهر، مجرد وجود النهر يجعلك تنقطع عن كل شىء. إنها آية فى الجمال؛ من الذى يأبه؟".

"مكان مناسب للموت".

"ليس هناك مكان مناسب للموت. عندما تقترب من الموت؛ تدرك أنه ليس هناك مكان مناسب له، ولكن هذا المكان مذهل؛ الأشجار والصخور والجدران والماء. ربما يكون كل هذا آخر ما رأته؛ ولكنها لم تره كله. لقد كانت فى أوج غضبها. أظن أنها لم تر شيئا إلا نفسها وغضبها الجامح. ثم الخوف ثم الألم".

"هل يمكنك أن ترى البقعة التى كنت تجلسين فيها من هنا؟".

سارت، ثم اقتربت من النهر. إن الجو أكثر جمالا اليوم؛ هكذا فكرت فى نفسها؛ الشمس أكثر إشراقا. لم تكن الشمس قوية، وكانت السحب أكثر كثافة وكانت السحب البيضاء تغطى الزرقة الصافية.

أشارت إلى أعلى، قائلة: "هناك. لقد توقفت هناك وجلست وأكلت شطيرتى وتناولت بعض الماء. كانت الشمس دافئة، وكنت أصعد الجبال وأنا أسمع صوت الماء. رأيت الصقر. رأيته وهو يقف هناك".

استدارت جهة برودى، مضيفة: "تماماً كما نقف الآن؛ كان يقف هو أمامها؛ هكذا؛ وكان يعطى ظهره للماء. لا أظن أنها رأت

أى شىء باستثنائه هو. أظن أنها لم تكن ترى أى شىء سواه. وأظن أنه لم يكن يرى أى شىء سواها هى أيضا؛ ولكننى كنت أركز عليها لأنها كانت الطرف الأكثر حنقا. كانت تتحرك كثيرا".

دفعت ريسى ذراعيها إلى الخارج وهى تصيح: "إنها الدراما. كان بوسعك أن تستشعر احتدام المعركة عبر النهر. كانت تصرخ، ولكنه بدا لى رابط الجأش تماما، أو ربما كانت لغة جسده توحى بذلك. هل اختلق هذا؟". ضغطت بأصابعها على عينيها، مستطردة: "هل أتذكر ما حدث أم أننى واهمة؟".

"أنت تعلمين ما رأيته".

دفعتها نبرة صوته الهادئة تماما إلى إسقاط يديها وساعدتها على تهدئة الاضطراب الذى كان قد أصاب معدتها، إذ قالت: "نعم، نعم، أتذكر. كان تطيح بذراعيها وتشير بإصبعها له، كما لو كانت تقول: أنا أحذرك. بدا لى الأمر كذلك، ثم دفعته بقوة".

ثبتت ريسى يديها على صدر برودى ثم دفعته، قائلة: "أظن أنه تراجع إلى الوراء خطوة"، ثم قالت بجفاء: "ألا يمكنك أن تتقمص الدور من فضلك؟".

قال مذعناً: "حسنا".

"ثم فعل هكذا" عقدت ريسى يديها، ثم أطاحت بهما إلى الوراء: "لقد ظننت أنه يسعى لاحتواء الموقف!".

شعر بشىء من المرح، فقال: "مثل إشارة كرة القاعدة؟ هل هذا ما ظننته أنت؟".

"الثانية، ولكن كانت *الضربة القاضية. لقد فاض بى الكيل*، ثم صفعته".

عندما أرجحت ريسى يدها؛ أمسك بها برودى، قائلاً: "لقد استوعبت الصورة".

"لم أكن أنوى صفعك. لقد أمسك بيدها فى المرة الأولى، ثم أفلتت منه وصفعته ثانية. وعندها دفعها إلى أسفل. هيا!".

"بالطبع"، ثم دفعها برودى، فترنحت إلى الوراء قليلا، ولكن ليس إلى أسفل.

رفعت يديها عندما ابتسم لها ودفعها ثانية، قائلة: "لابد أن

الدفعة كانت أقوى من ذلك بكثير. كلا، سوف أواصل تجسيد الموقف". ألقت نظرة وراءها لكى تقيم المسافة إلى الصخور. إن إعادة تمثيل الجريمة لا يعنى أن تصيب نفسها بأذى، فقالت: "انتظر، إنها لم تكن تضع حقيبة على كتفها". خلعت ريسى حقيبتها، ووضعتها جانبا ثم سقطت على الأرض.

"لابد أن السقطة كانت أقوى من ذلك؛ وأظن أن رأسها قد ارتطم بالصخور؛ كان الارتطام قويا على أية حال . على الأرض أو ربما على الصخور هنا. بقيت على الأرض لدقيقة. ثم سقطت قبعتها. لقد نسيت هذا. لقد سقطت قبعتها، وعندما هزت رأسها . كما لو كانت تعانى من بعض الدوار . رأيت بريقا؛ قرطاً، لابد أنها كانت ترتدى قرطاً. لم أنتبه إلى هذا جيداً".

"أرى أنك مخطئة فى ذلك. ثم ما الذى فعله هو عندئذ؟ هل اتجه نحوها؟".

"كلا، كلا. لقد نهضت بسرعة وانقضت عليه. لم تكن خائفة؛ كانت حانقة، حانقة بشدة. كانت تصيح فى وجهه. لم أسمعها ولكننى رأيتها، ثم قذفها على الأرض بسرعة؛ لم تكن دفعة عادية فى هذه المرة ثم ثبتها على الأرض".

نامت ريسى على الأرض ونظرت إلى برودى، قائلة: "هل تمانع؟".

"بالطبع لا"، ثم وضع إحدى قدميه على أحد جانبى ريسى.

"أمسك إحدى يديها على ما أظن؛ ولكنها لم تستسلم، وإنما دفعت نفسها على أحد مرفقيها وأخذ فمها يتحرك؛ وتصورت أنها تصيح وتصرخ وتسب. فانقض هو عليها. لقد أحكم تثبيت نفسه عليها حتى يبقيها بلا حراك".

وعندما انحنى برودى، قالت: "أجل". وعندما اتبع برودى إرشاداتها، قالت: "أجل، مثل ذلك. لم يكن يلاطفها أو يسعى لملاعبتها، على الأقل من وجهة نظرى. كانت تحاول أن تلوح وتفلت من قبضة يده؛ ولكنه كان قد ثبت ذراعيها إلى أسفل. كلا؛ لا تفعل!". انتابها الذعر عندما أحكم برودى قبضته على معصميها، فقالت: "لا أستطيع؛ لا تفعل".

"هونى على نفسك". أبقى عينه مثبتة عليها وهو يخفف قبضته ثم ثقل وزنه وقال: "أنا لن أؤذيك. أخبرينى إذن ما الذى حدث بعدها؟".

"بقيت تناضل وتتلوى من تحته، ولكنه كان أقوى منها. أحكم قبضته على شعرها وثبت رأسها إلى أسفل بقوة. ثم ... لف يديه حول حلقها. حاولت أن تفلت منه؛ ثم قبضت على معصميه، ولكن أظن أن قواها كانت قد خارت تماما عندها. انتظر ... لقد ثبت ركبتيها بذراعيه إلى أسفل لكى يشل حركتها. لقد نسيت هذا أيضا؛ اللعنة!".

"وهل تذكرته الآن؟".

"ضربت بساقيها الأرض فى محاولة لرفع نفسها على ما أظن. أخذت تدق الأرض بقدميها وتتشبث بأصابعها فيها، ثم توقفت حركتها. كل شىء توقف؛ ولكنه أبقى يديه مثبتتين حول حلقها. أبقاها هناك، وجريت أنا. انهض؛ لا بأس، انهض".

دار قليلا ثم جلس على الأرض بجوارها، قائلاً: "هل يمكن أن تكون بعد كل هذا قد بقيت على قيد الحياة؟".

جلست ريسى وثنت ركبتيها ودست وجهها قبالتهما، قائلة: "لقد أبقى يديه حول حلقها".

بقى صامتا لدقائق قليلة وترك النهر يجرى بحواره بينما كانت السحب تغير شكل الظلال فوق الصخور والماء، ثم قال: "أظن أنك من النوعية التى ترى نصف الكوب الفارغ".

"ماذا؟".

"بل إن أكثر من نصف الكوب فارغ على الأرجح؛ لأن الكوب قد تصدع وبدأ الماء يسيل منه. إذن لقد رأيت ما حدث وأخذت تقولين فى نفسك؛ يا إلهى! الذنب؛ الذنب واليأس. لقد رأيت امرأة تقتل ولم أتمكن من فعل أى شىء لمساعدتها. يا لها من مسكينة؛ يا لها من مسكينة!"، ثم استطرد حديثه: "بدلا من أن تفكرى فى أنك قد رأيت امرأة تقتل وأنه لولا وجودك فى ذلك المكان فى هذا الوقت لما عرف بما جرى لها".

وضعت ذقنها على ركبتيها لكى تتفحصه وهو يتكلم؛ ثم هزت

رأسها، قائلة: "أنت محق. أعلم أنك محق وأنا أحاول أن أنظر إلى الأمر بهذه الصورة، ومع ذلك فأنا لست من النوعية التى ترى نصف الكوب الممتلئ".

"نصف فارغ أو نصف ممتلئ؛ ما هو الفرق بحق الله؟ إن كان هناك أى شىء فى الكوب، فاشربيه".

ضحكت. فى نفس المكان الذى تجلس فيه كانت هناك امرأة تقتل فى اليوم السابق. شعرت ريسى بداخلها برغبة فى الضحك ثم خرجت الضحكة بالفعل، وهى تقول: " سياسة جيدة؛ ولكننى أتمنى الآن أن أضيف بعض المذاق إلى كوب الماء".

بعدما ضغطت بكفى يديها على عينيها، دفعت نفسها على قدميها، قائلة: "إن إعادة تمثيل الجريمة قد خلف آثار أقدام؛ هذه آثار كعب حذائى العالى على الأرض، وهذه آثار يدى. لا يجب أن تكون محققا خاصا لكى ترى آثار تواجد شخصين ووقوع عراك هنا".

سار برودى لبضع أقدام قليلة لكى يكسر غصن إحدى الأشجار ثم بدأ يمحو الآثار من فوق الأرض،، قائلاً: "إنه ذكى" قالها وهو ينظف المكان، ثم أضاف: "لقد سحبها بعيدا عن الأنظار فى مكان ما، ثم التقط غصنا مثل هذا من مكان آخر وعاد ثانية وتأكد من محو كل أثر".

ثم اعتدل وتفحص الأرض، مستطرداً: "نظيفة تماما. ربما يكون أى شخص محترف قادراً على تبين أى أثر ولكننى كهاو لم أكن لأتبين أى شىء، وهذا يعنى أننا إن أحضرنا فريقاً من خبراء الجريمة هنا فقد يعثرون على خصلة شعر؛ ولكن ما الذى سوف يثبته هذا على أية حال؟".

نحى الغصن جانباً، ثم أضاف: "لا شىء. كان كل ما عليه أن يغطى آثاره. هناك الكثير من الأماكن التى يمكن أن يدفن فيها الجثة هنا. أما لو كنت مكانه وكان معى سيارة لوضعت الجثة بداخلها وانتقلت إلى مكان آخر؛ فى مكان آخر أستطيع أن أقضى فيه كل الوقت اللازم لحفر قبر عميق بما يكفى بعيدا عن متناول الحيوانات".

"لابد أنه بارد برود الثلج".

"إن قتل شخص يتطلب إما حرارة النار أو برودة الثلج؛ تبعا للحالة، أما الإفلات من قبضة قاتل فهذا يتطلب دماً بارداً. هل تعلمين ذلك؟".

أومأت، قائلة: "أكثر مما ينبغي".

٩

بينما كانا يسيران فى طريق العودة، فتحت ريسى زجاجة الماء الخاصة بها لكى تشرب، وعندما مد برودى لها يده منحته إياها.

"يقولون دائما إنه ليس هناك أبداً ما يسمى بالجريمة الكاملة".

شرب الكثير من الماء ثم أعاد إليها الزجاجة، قائلاً: "إنهم يقولون الكثير، ولكنهم يخطئون، وكثيراً ما يخطئون فى واقع الأمر".

"هم بالفعل كذلك. ولكن مع ذلك، فأياً كانت هذه السيدة؛ فهى تنتمى إلى أسرة، وجاءت من مكان ما، كما أنها على الأرجح كانت تملك عملا ومنزلا، وربما كانت لديها أسرة".

"ربما؛ على الأرجح".

شعرت ريسى بالضيق، فدست يديها فى جيبها، قائلة: "حسناً، لقد كانت هناك علاقة تربطها على الأقل بشخص واحد. وقد قتلها هذا الشخص. كانت هناك علاقة بينهما".

" عدنا ثانية إلى ربما وعلى الأرجح. من الممكن أن يكونا قد تقابلا فى اليوم الذى جاءا فيه إلى هنا، أو ربما كانت تربطهما علاقة منذ عقد كامل. ربما جاءا إلى هنا من أى مكان. ربما جاءا من كاليفورنيا أو تكساس أو من الجزء الشرقى. اللعنة؛ ربما كانا فرنسيين أيضا".

"فرنسيان؟".

"الناس من كل الأجناس يرتكبون جرائم القتل؛ ولكن ما أريد قوله هو أنه كما يمكن أن يكونا من أى مكان آخر، فيمكن أن يكونا أيضاً من المنطقة هنا. إن عدد السكان الذين يعيشون فى وومينج يقل عن عدد السكان الذين يعيشون فى ألاسكا".

"وهل هذا ما دفعك إلى العيش هنا؟".

"إلى حد ما، ربما. كنت أعمل فى جريدة؛ فى إحدى الجرائد الكبرى والناس يتتبعون خطى أمثالى، وأعنى أن هذين الشخصين على الأرجح قد جاءا إلى هنا من مكان آخر".

"ثم تشاجرا حتى الموت لأنهما ضلا الطريق ولم يتوقف لكى يسأل عن الاتجاه الصحيح؟ إنه سيناريو سطحى جدير بأن يلقى فى سلة المهملات؛ أؤكد لك. لقد تقابلا هنا أو جاءا إلى هنا لأنهما أرادا التحدث بشأن شىء ما أو التشاجر بشأن شىء ما".

أعجبته الطريقة التى كانت تتحدث بها. نادرا ما تسير فى الطريق المستقيم؛ تماما مثلما تطهو؛ تتلاعب بأى عدد من الأطباق فى آن واحد.

"هذه تكهنات وليست حقائق".

"حسناً، أنا أفترض أنهما لم يكونا فرنسيين".

"ربما إيطاليين. أو ربما جاءا من ليتوانيا؛ ليس هذا هو المهم".

"حسناً؛ لقد كانا من ليتوانيا ضلا الطريق؛ لأن الرجل. شأنه

شأن أى رجل آخر فى الكرة الأرضية؛ يفتخر برجولته ويعتمد عليها كبوصلة للتعرف على الطريق؛ مما جعله يحجم عن السؤال عن الطريق ولكن رجولته خذلته".

تجهم فى وجهها، قائلاً: "ولكن هذا سر ذكورى. من أين عرفت كل هذا؟".

"الكثيرات منا يعرفن ذلك بل أكثر مما تظن. على أية حال؛ يخرج الرجل من سيارته، ويسير وسط الأشجار فى اتجاه النهر لأن هذه هى بالتأكيد الوسيلة الوحيدة لتبين المكان الذى وصل إليه، ثم يتشاجران ويتعاركان فيقتلها، ثم، بما أنه رجل من أحد رجال جبال ليتوانيا، فهو يخفى كل الآثار بمنتهى المهارة ويحمل الجثة معه إلى بلده لكى يدفنها فى مسقط رأسها".

"يجدر بك أن تكتبى كل هذا".

"إذا كنت تكتب مثل هذه الأشياء التافهة؛ فأنا مندهشة لأنك نجحت فى نشر كتبك".

"ربما أكون قد ذكرت الجنسية الفرنسية، فقط لكى أوسع نطاق البحث ولكننى أقصد من وراء ذلك. أيتها النحيفة. أنهم يمكن أن يكونا من أى مكان".

كان من المجدى أن يفكرا فى الأمر على أنه لغز، لأن هذا كان يمنح الأمر بعدا أكبر.

"لو أنه كان قد محا آثاره بهذه البراعة، فهذا يعنى أنه يجيد تسلق المرتفعات والسير وسط الغابات".

"الكثيرون يعرفون ذلك، وإن عدنا إلى الافتراض ثانية فربما يكونا قد جاءا إلى هنا من قبل".

ألقى برودى نظرة حوله. كان يعرف مثل هذه النوعية من الأراضى؛ كان قد سبق له السير فى مثلها من قبل كما سبق له أيضا وصفها فى كتاباته. سوف تتفتح أزهار الكولومبين وأزهار المانى عما قريب، كما أن أشجار صريمة الجدى سوف تعلو وتعانق السماء. سوف تكون هذا المنطقة وارفة الظلال؛ سوف تكون رائعة الجمال.

سوف يبدو المكان أجمل كلما اقتربنا من شهر يونيو.

أشار قائلاً: "مازال الوقت مبكرا على حضور السائحين، ولكن البعض يأتى إلى هنا فى هذا الوقت من العام لتجنب ازدحام فصل الصيف، أو ربما يتوقفون هنا قليلا أثناء توجههم إلى مكان آخر، أو أولئك الذين يعيشون فى أنجيل فيست ويحضرون لتذوق طعامك".

"هذه بالفعل أفكار سعيدة. شكراً".

"هل رأيت ما كان يرتديه؟ هل يمكنك التعرف عليه ثانية؟".

"كان يرتدى قبعة صيد برتقالية وسترة جلدية سوداء. معطف؟ كلا؛ سترة؛ على ما أظن. إننى أرى مثل هذه الأشياء يوميا؛ ولكننى لم أمْلِ نظرى منه، وهذا يعنى أننى ربما أعددت له طبق حساء اليوم بدون أن أتعرف عليه. لا أدرى كيف سأتكمن من ... آه يا إلهى!".

لقد شاهده هو أيضا، بل إنه قد شاهده قبل أن تراه هى بعشر ثوان، فقال: "لن تثيرى اهتمامه".

"وهل تعرف ذلك بصفتك طبيبًا نفسيًا للدببة؟". بدا له أمرًا غير طبيعى بالمرة ألا تكون خائفة فى صميمها. على الأقل لم تقدم على ما ينم عن ذلك، وهى تضيف: "يا إلهى! إنه كبير حقا".

"لقد شاهدت ما هو أكبر منها حجما".

"هذا جيد. أليس من المفترض أن نجرى هربا؟".

"كلا. إن هذا سوف يثير اهتمامه إلى أن يلحق بنا. فقط واصلى التحدث والتحرك؛ وحاولى الابتعاد قليلا. حسناً؛ إنه يرانا".

فكرت فى نفسها وقد بدأ الخوف يعتريها بالفعل؛ حسناً، مرحى أيها الدب! ثم قالت: "وهل هذا جيد؟".

تذكرت الرسم التوضيحى داخل كتيبها الإرشادى، والذى ينصح بالتظاهر باتخاذ وضع الميت عند ظهور الدب. لقد بدا الوضع أشبه بوضع الطفل فى رياضة اليوجا.

يمكنها أن تفعل ذلك؛ لا مشكلة. يمكنها أن تسقط نفسها فى الحال على الأرض، لأنه إن اقترب منها فسوف تفقد وعيها على أية حال.

وقبلما يتسنى لها اختبار صدق كتيبها، نظر لهما الدب مليا

وأدار ذيله ثم انصرف بعيدا.

قال برودى معلقا: "إنه الخجل".

"أجل. ممتاز. أظن أننى أريد أن أجلس قليلا".

"فقط واصلى التحرك. إنها المرة الأولى التى ترين فيها دبا فى حياتك".

"بهذا القرب وهذه الحميمية؛ أجل. لقد نسيت أمر هذه الدببة". فركت يدها على صدرها لكى تتأكد من بقاء قلبها الذى كان يدق كالطبل فى مكانه بين ضلوعها، ثم أضافت: "إن إدراكك لوجود دب - كما فى الكتيب - يجعلك تنقطع عن التنفس". ثم دقت بأصابعها على صدرها ثانية، قائلة: "أظن أنه كان جميلا؛ ولكن على نحو مرعب".

"هناك شىء آخر وهو أنه إن كانت هناك جثة قريبة لاشتمها؛ ولأصبح أكثر عدوانية. وهذا يعنى أن الجثة إما أنها ليس قريبة من هنا وإما أنها مدفونة على عمق كبير".

كان عليها الآن أن تبتلع ريقها بعمق وصعوبة، وهى تقول: "المزيد من الصور الجميلة".

شعرت أنها أكثر أمنا عندما عادت إلى السيارة. أكثر أمنا ومتعبة إلى حد مثير. كانت تريد أن تنام بشكل غريب. كانت تريد غرفة هادئة؛ مظلمة وغطاء ناعماً وأبواباً مغلقة. كانت تبحث عن النسيان والسلوان.

عندما أدار المحرك؛ أغمضت عينيها المتهكتين للحظة، وراحت فى نوم عميق.

استسلمت للنوم فى هدوء؛ فكر برودى ؛ لم تصدر صوتا أو حركة، وبقى رأسها مثبتا فى الزاوية ما بين المقعد والنافذة وبقيت يديها ملقاتين بلا حراك على حجرها.

ما المفترض أن يفعله لها الآن بحق الله؟

بما أنه لم يكن واثقاً تماماً مما يجب عليه فعله؛ فقد بقى يقود سيارته بلا هدف؛ وأخذ يلف ويدور لكى يطيل من الوقت والطريق المؤدى إلى البلدة.

لقد كانت تجيد التعامل مع نفسها وتمالك أعصابها على قدر يفوق تقديرها، على الأقل كان هذا رأيه، فالكثيرون ممن قد يتعرضون لهذا الموقف لن يقدموا على ما أقدمت هى عليه، وإنما سيفترضون أنهم قد أدوا ما عليهم بمجرد الإبلاغ عن الجريمة.

ولكنها لم تفعل.

ربما بسبب التجربة التى مرت بها من قبل، أو ربما يكون هذا ببساطة هو تكوينها.

فكر فى نفسه؛ لقد ألحقت نفسها بمصحة نفسية، ومن نبرة صوتها أدرك أنها اعتبرت هذه الخطوة نوعاً من التراجع.

و لكنه يعتبرها خطوة شجاعة.

كما أنه استشعر من حديثها أيضا أنها تنظر إلى سفرها من بوسطن على أنه فرار، أما هو فينظر إليه باعتباره رحلة، تماما مثلما ينظر إلى تركه شيكاغو ومجيئه إلى هنا. إن الفرار يعنى الخوف والهروب، أما الرحلة، فتعنى مرحلة انتقالية؛ أليس كذلك؟ كان بحاجة إلى هذه المرحلة الانتقالية لكى يثبر أعماقه، ويحقق ما يريد ويعيش وفق شروطه؛ وفق أجندته وهواه.

من وجهة نظره، كانت ريسى جليمور تفعل نفس الشىء تقريبا؛ ولكنها كانت تحمل فقط حقائب أكثر كثيرا من حقائبه فى رحلتها.

إنه لم يشعر أبداً بالخوف فى حياته؛ ولكنه يستطيع أن يتصوره؛ التصور كان مهنته، تماماً مثلما كان يتخيل الشعور بفزع البقاء مضطرباً على سرير فى مستشفى، أو التشكك فى صحتك العقلية. هذا يفوق ما يستطيع أن يتحمله شخص واحد.

كما أنها أقحمته فى الأمر؛ وهو ما لم يكن سهلا، لم يكن من النوع الذى يملك القدرة على مداواة الجراح والتربيت على الظهر بيد حانية، ولكن الطبيعة فرضت مسارها، وكلما قلل عدد الأشخاص المتداخلين فى الأمر؛ كان هذا أفضل.

و لكنه أصبح متورطا فى الأمر الآن، وليس فقط لأنه كان على بعد شعرة واحدة من شهود جريمة. بالرغم من أن هذا وحده كان كافياً.

لقد جذبته، ليس بسبب ضعفها وإنما بسبب قوتها ورغبتها فى التصدى لمرتكب الجريمة. كان عليه أن يحترم هذا، تماماً كما كان عليه أن يقر بهذا القدر من الجاذبية الذى يشده إليها.

لا يمكن أن يقول فى واقع الأمر إنها من نوعه المفضل، فهذا الجسد النحيل تحت هذا الغطاء الضعيف كان يبديها فى شكل المحتاج، ولم يكن هو يطيق مثل هذه النوعية من النساء؛ فى العادة.

كان يحب المرأة الذكية المتزنة المنشغلة بحياتها؛ بحيث لا تستغرق الكثير من وقته.

ربما كانت هى بالفعل كذلك قبل أن تتعرض لما تعرضت له؛ هكذا قرر فى نفسه. وقد تعود كذلك ثانية؛ ولكنها لن تعود كما كانت أبدا. فكر أنه من المثير للاهتمام أن يشاهدها وهى تستعيد نفسها ثانية لكى يلقى نظرة ثاقبة على النتائج.

لذا بقى يقود سيارته أثناء نومها عبر العشب الأصفر واللون الأخضر الباهت. أخذ يتأمل جبال التيتونز فوق السهل. لم يكن هناك ارتفاع طفيف متدرج يسريه عن هذه القوة الهائلة الفريدة التى ترتفع إلى أعلى على حين غرة عن مستوى الأرض.

كانت الثلوج مازالت تتلألأ فوق القمم وكانت الخطوط البيضاء مازالت تداعب اللونين الأزرق والرمادى فى عنان السماء.

مازال يذكر أول مرة شاهدها فيها وكيف أنه - بالرغم من أنه لا يمكن أن ينعت نفسه بالرجل الروحانى - انبهر برؤية شموخها. كانت جبال الروكيز تفوقها عظمة - هكذا فكر فى نفسه - كما أن جبال الشرق كانت أكثر تأنقا، ولكن هذه الجبال التى أصبحت اليوم بيته؛ كانت بدائية.

ربما جاء إلى هنا لأن هذا المكان لا يفرض عليه أن يرفع يده محييا أشخاصاً يعرفهم أينما ذهب، ولكن هذه الجبال كانت بالقطع امتياز إضافى حقيقى.

قاد سيارته بسرعة حول الطريق الخالى عبر السطح المنبسط حيث كان قطيعا من الثيران يرعى. كانت تلتهم العشب بفروتها الغنية التى تشبه المعطف الوثير ورءوسها الكبيرة المنخفضة. كان هناك عجلان . صغيران على ما يبدو . يجلسان بالقرب من أمهاتهما.

بالرغم من أنه تصور أن ريسى كانت ستستمتع برؤية هذا المشهد، إلا أنه تركها تنام.

كان يعلم أن كل هذه الأراضى سوف تزخر بالزهور المتفتحة تحت شمس الصيف، وسوف تموج بالألوان الصارخة. وقد تراءى له أيضا أنه فى خضم هذه المساحات الشاسعة المفتوحة يمكن أن يبقى هذا القبر بدون أن يلحظه أى إنسان أو حيوان. هذا إن كان الرجل قد استهلك كل الوقت والصبر اللازمين لحفر قبر عميق وكبير.

سار نحو أنجيل فيست حيث كانت أشجار الأناناس والحور القطنى تحف الطريق. تأوهت ريسى فى هدوء أثناء نومها. عندما ألقى عليها برودى نظرة، رأى أنها بدأت تفيق.

توقف فى منتصف الطريق، ثم استدار لكى يهزها من ذراعها ليوقظها، قائلاً: "استيقظى".

أفاقت من نومها وكأنها عداء يخرج من مضمار السباق، قائلة: "كلا!". عندما وجهت إليه قبضة يدها؛ تصدى لها براحة يده.

قال فى هدوء: "اضربينى وسوف أرد الضربة".

بدأت تقول وهى تنظر فى تشوش إلى قبضة يدها التى كان قد أحكم قبضته عليها: "ماذا؟ ماذا؟ لقد نمت. هل نمت؟".

"إن لم تكونى قد فعلت؛ فقد قدمت صورة طبق الأصل لشخص نائم على مدى الساعة الماضية".

"هل لكمتك بيدى؟".

"لقد حاولت، ولا تحاولى ثانية".

حاولت أن تضبط ضربات قلبها لكى تهدئ من نفسها، قائلة: "فهمت هل يمكننى استعادة يدى؟".

فتح أصابعه لكى تستعيد هى يدها ثانية وتسقطها فى حجرها، قائلاً: "هل تستيقظين دائما على هذا الحال وكأنك قد سمعت

جرس بدء الجولة الثانية؟".

"لا أدرى. لقد مضى وقت طويل. لا أذكر كم من الوقت . منذ آخر مرة استسلمت فيها للنوم فى وجود شخص آخر. أظن أن هذا يعنى أننى أشعر بالراحة فى وجودك".

رفع حاجبه، قائلاً: "الراحة؛ المريح، أنت تستخدمين دائما مثل هذه الكلمات، مما سوف يدفعنى للشعور بضرورة تغيير طريقة تفكيرك".

ابتسمت قليلا، قائلة: "إن مثلك لا يملك القدرة على إيلام امرأة".

"حقا؟".

"أعنى؛ جسديا. أعتقد أنك حطمت بالفعل عدة قلوب، ولكنك لا تبادر بالضربة القاضية، وإنما تطعن المرأة فى كبريائها حتى الموت بالكلمات وهو ما أرى .الآن.أنه لا يقل إيلاما عن الصفع على الوجه. على أية حال؛ أقدر لك أنك تركتنى نائمة. لابد أننى ... يا إلهى! انظر؛ انظر هناك".

حولت بصرها وأطاح المشهد الرائع بكل ما كان يجول فى عقلها. انبهرت. فكت حزام أمانها ودفعت الباب. صفعها الهواء وهى تخطو خارج السيارة.

"إنه بِكْرٌ ومبهر ومخيف. كل هذا الاتساع الشاسع؛ وها هى ذى؛ وكأنها تربو . لا أدرى . فوق كل شىء. وكأنها قد شقت طريقها إلى أعلى من فوق الأرض. لكم أحب هذا الارتفاع المفاجئ".

سارت إلى مقدمة السيارة ومالت على مقدمتها، قائلة: "إننى أتأملها كل يوم من نافذتى أو عندما أسير فى طريقى من أو إلى العمل؛ ولكن الأمر يختلف تماما عندما تشاهدها خالصة بدون أية أبنية بدون أية أشخاص".

"ولكننى شخص".

"أنت تعرف ما أقصده. أنت هنا؛ عندما تواجهها تشعر أنك بشر كامل".

نظرت إليه وسعدت لأنه جاء ليقف بجوارها، وأضافت: "ظننت أننى سوف أمر بالمكان وأعمل به قليلا ثم أمضى لحال سبيلى،

وفى كل صباح أنظر فيه عبر نافذتى إلى البحيرة وأرى انعكاس صورة الجبال على صفحة الماء ينتابنى شعور بأنه ليس هناك سبب يدفعنى للرحيل".

"عليك أن تستقرى فى مكان ما فى النهاية".

"لم تكن هذه خطتى. حسنا؛ لم تكن لدى خطة فى الأصل؛ ولكننى ظننت أنه سوف ينتهى بى المآل للعودة من حيث أتيت عاجلا أم آجلا. ربما لن يستقر بى المقام فى بوسطن، ربما فرمونت. لقد التحقت بالمدرسة هناك؛ لذا فهى مدينة مألوفة بالنسبة لى. كنت واثقة من أننى سوف أفتقد الخضرة. تلك الخضرة فى الساحل الشمالى".

"إن السهول سوف تكتسى بالخضرة كما أن الزهور سوف تتفتح وتزدهر. إنه مشهد رائع".

"أنا واثقة من ذلك ولكن هذا المشهد أيضا رائع". دفعت رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها وتنفست؛ تنفست فقط.

"تبدين الآن مثلما تبدين أثناء الطهى".

فتحت عينيها ثانية؛ عينيها الإسبانية العميقة البنية، قائلة: "حقا! وكيف أبدو؟".

"مسترخية وهادئة وسعيدة".

"أظن أن هذا الشعور يجتاحنى عندما أكون واثقة من نفسى لأن الثقة تشعرنى بالاسترخاء والسعادة، وقد افتقدت هذا الشعور، لم أتمكن من حمل نفسى على الالتحاق بالعمل فى أحد المطابخ بعدما حدث. لقد سرق هذا منى أو تركته يُسرق منى. على أية حال لقد عدت ثانية. أنصت لهذه الطيور، ما نوعها؟".

لم يكن قد لاحظ صوتها إلى أن لفتت هى نظره إليها. فاستدارت لكى تلقى نظرة حولها واتسعت عيناها. أمسكت بذراعه وأشارت، قائلة: "انظر. يا إلهى!".

عندما استدار، شاهد قطيع الثيران الصغير وهو يشق طريقه عبر السهل، فقال: "أهى أول مرة ترين فيها هذا المشهد أيضا؟".

"مثل الدب؟! لقد شاهدته ولكننى لم أقف معه من قبل أبداً. إنه أمر مثير. تعالوا يا صغارى!".

تحول صوتها إلى نبرة أكثر رقة عندما نطقت بالكلمة وكأنها تذوب بين شفتيها.

لماذا تستخدم النساء دائما هذه النبرة عند قول كلمة (صغارى)؟

كادت تضرب ذراعه بمؤخرة يدها، وهى تقول: "إنها جميلة للغاية، ولكن حجمها سوف يصبح كبيرا للغاية فيما بعد".

"ثم تقومون بشيها وأكلها".

" من فضلك، إننى أستمتع بجمال الطبيعة الآن. إن رؤيتها تجعلنى أتمنى لو كنت على ظهر جواد بدلا من سيارتك، كما أننى بقدر ما أريد أن أمتطى حصانا أريد أيضا أن أمتطى ظبياً، ولكن على أن أتعلم امتطاءه أولاً".

"تريدين ركوب ظبى".

ضحكت ثانية بصوت خفيض وسلس، قائلة: "كلا، لقد اختلطت أفكارى. أريد أن أرى ظبياً أثناء امتطائى للحصان، ولكننى لا أعرف كيف أمتطى جواداً".

"ألم يعرض عليك لو أن يعلمك امتطاء الجياد؟".

دست يديها فى جيبها وهى مازالت تراقب القطيع، قائلة: "لم يكن هذا هو ما يريد منى امتطاءه، ولكننى واثقة من أننى سوف أسمح له بتعليمى القيادة، ولكن فقط عندما أكون واثقة من حسن سلوكه".

"هل تحرصين دائما على حسن تأدب أصدقائك؟".

قالت فى تلقائية: "ليس بالضرورة، ولكن يجب أن أتوخى الحرص فى هذه الحالة تحديداً".

لم يتوقف جرس الإنذار إلا بعدما استدار وثبت يديه على مقدمة السيارة على جانبى جسدها وحبسها بالداخل.

"برودى !".

"أنت لست غبية كما أنك لست بطيئة التفكير، ولست عصبية أيضا. هل يمكن الزعم بأنك لم تتوقعى أن هذا بصدد الحدوث؟".

قفز قلبها، ربما بسبب شعورها بشىء من الخوف، ولكن ليس كلياً.

"إننى لم أفكر فى مثل هذه الأمور منذ فترة طويلة. أظن أنه قد فاتنى التفكير فى الأمر".

"إن كنت لا تريدين هذا، فيجب أن تعربى عن رأيك بصراحة".

"بالطبع أريد ولكن فقط هذا ليس ... يا إلهى!".

لم تنجح فى استكمال كلمتها الأخيرة لأنه كان قد جذبها من ذراعيها وأوقفها على قدميه، قائلاً: "يجدر بك أن تلتقطى أنفاسك؛ سوف نغوض فى الأعماق".

لم تتمكن من التقاط أنفاسها؛ أو تلملم شتات أفكارها أو تستعيد توازنها. لم يكن فمه صبورا أو لطيفا؛ لم يكن مقنعا أو مثيراً. كان فقط يأخذ ما يريده. كان الشعور بالاجتياح الكامل قد ولد لديها الشعور بالطيش والاستهتار.

فكرت فى نفسها؛ مثير؛ صعب؛ جائع. كادت تنسى هذه المشاعر؛ مشاعر تعطش رجل إليها؛ تعطشه لالتهامها.

حتى بالرغم من أنها سألت نفسها ما إن كان سيبقى منها شىء بعد انتهائها؛ فقد لفت ذراعيه حول عنقه.

أخذ قلبها يدق بعنف وبسرعة.

كانت تفرض سيطرتها على استجابتها واحتياجاتها مما فرض عليه . وهو ما لم يكن يتوقعه . أن يسعى لملاطفتها حتى النهاية.

"ترفقى". لم تكن يداه ثابتتين تماما فى هذه المرة وهو يمسك ذراعيها، مضيفاً: "دعينا نسترح قليلا".

كانت تسمعه بالكاد وسط كل هذا الضجيج الهادر الصادر من رأسها؛ فتركت رأسها يسقط بكل ثقله فوق كتفيه، قائلة: "حسنا. حسنا. يا إلهى! لا يمكننا ... لا يجب ...".

"لقد فعلنا. وسوف نعيد الفعلة ثانية بكل تأكيد، ولكن بما أننا لسنا فى السادسة عشرة؛ فلن يكون هذا فى منتصف الطريق".

"كلا. صحيح". هل كانا فى قارعة الطريق بحق؟ نجحت فى رفع رأسها واستعادة تركيزها، مستطردة: "يا إلهى! نحن فى منتصف الطريق. تحرك. يجب أن تتحرك".

قفزت إلى أسفل؛ دست يديها عبر شعرها المبعثر ثم أنزلت

سترتها.

"تبدين على ما يرام".

لم تكن تشعر أنها كذلك. وإنما شعرت بأنها مُستغلة . ولكن ليس بما يكفى، فقالت: "لا يمكننا ... لست على استعداد لأن ... إنها ليست فكرة جيدة".

"أنا لا أطلب منك أن تتزوجينى وتنجبى أبنائى أيتها النحيفة. لقد كان التقبيل فكرة جيدة للغاية، ولكن الزواج سوف يكون فكرة أفضل كثيراً".

ضغطت بيديها على صدغيها، قائلة: "لا يسعنى التفكير الآن. سوف ينفجر رأسى".

"منذ عدة دقائق قليلة، شعرت أن جزءاً آخر من جسدك هو الذى بصدد الانفجار".

"كف عن هذا. من فضلك كف عن هذا! انظر إلى حالنا؛ نتطلع إلى بعضنا ونتحدث عن العلاقات الحميمة فى الوقت الذى لاقت فيه امرأة حتفها".

"سوف تبقى ميتة سواء عبرنا عن حبنا أو لم نعبر. إن كنت بحاجة لبعض الوقت للتفكر فى هذا؛ فلا بأس. أمامك بضعة أيام. ولكن إن فكرت؛ بعد كل ما جرى أننا لن نرتبط ببعضنا البعض فأنت مخطئة، أنت حمقاء".

"لست حمقاء".

"رأيت. لقد كنت محقا". ثم استدار ليسير حول السيارة

"برودى؛ ألا يمكنك أن تنتظر لدقيقة لعينة واحدة".

"أنتظر ماذا؟".

أخذت تنظر إليه؛ كان كبيرا مفعما بالرجولة والخشونة محاطا بروعة شموخ جبال التيتونز المهيبة، فقالت: "لا أدرى؛ لا أدرى ألبتة".

"إذن دعينا نعد. أريد أن أحتسى قهوتى".

"أنا لا أرتبط بكل رجل أشعر بانجذاب نحوه".

عندها مال على باب السيارة المفتوح، قائلاً: "وفقا لما قلته؛ فأنت لم ترتبطى بأى شخص منذ عامين".

"هذا صحيح. إن كنت تظن أنك سوف تستغلنى ... تستغل هذا الوضع".

"سوف أفعل بكل تأكيد" قالها وهو يبتسم بينما كان يدخل السيارة.

سارت نحو المقعد المجاور له وولجت بالداخل، قائلة: "هذا حوار سخيف".

"إذن أغلقى فمك".

همهمت: "أنا لا أعرف حتى ما الذى يعجبنى فيك، ربما لا يعجبنى شىء. ربما استجبت لك فقط لأنه قد مضى وقت طويل على آخر مرة ... مارست فيها أى تواصل حميم".

"لم تقولى ببساطة إنك لم ترتبطى برجل".

"أنت بالفعل لا تملك أى تأنق فى اختيار كلماتك؛ ولكن ما أريد قوله هو أن استجابتى لك لا تعنى أننى سوف أسمح لك بأن تقودنى إلى شقتك".

"أنا لا أخطط لتسديد لكلمة لك على الرأس واقتيادك من شعرك عنوة داخل كهفى".

"لن يدهشنى ذلك"، ثم استخرجت نظارتها الشمسية "وعلى الرغم من أننى أقدر لك تصديقك لى ومساندتك لى، فإننى لن -"

أوقف السيارة بشدة حتى أنها وثبت من مكانها، قائلاً: "اليس لهذا علاقة بذاك" جاء صوته باردا على نحو خطير، وهو يضيف: "لا تفكرى فى هذا".

"أنا ...". أغلقت فمها؛ والتقطت نفسها عندما بدأ هو يقود ثانية واستطردت: "كان هذا مهينا؛ أنت محق. كان هذا مهينا لنا نحن الاثنين. لقد أخبرتك أننى عاجزة عن التفكير. كان جسدى كله مشدودا وعقلى فى حالة فوضى. أنا غاضبة وخائفة وعصبية. كما أننى مصابة بصداع".

"تناولى قرصين من الإسبرين واستلقى، وما عليك إلا أن تخبرينى متى يكون مزاجك متعكراً".

أخذت ريسى تتأمل الجبال، قائلة: "لقد كان هذان اليومان أغرب يومين فى حياتى".

"قصى على ما جرى".

"بل إننى أريد أن أحادث المأمور. يمكنك فقط أن توصلنى إلى هناك".

"عودى إلى المنزل. تناولى الإسبرين واتصلى به".

كررت طلبها وهما يدخلان أنجيل فيست: "بل أريد أن أحادثه وجها لوجه. فقط أوصلنى. اذهب واحتس القهوة". عندما بقى برودى صامتا؛ استدارت فى مقعدها لكى تنظر إليه، مستطردة: "أنا لا أطلب منك أن ترافقنى إلى هناك، بل إننى لا أريدك معى، فإن تأكد للمأمور مردسون أننى لا أملك القدرة على الدفاع عن وجهة نظرى، فلديه كل الحق إذن فى عدم تصديق ما أدعيه".

"افعلى ما شئت".

"أحاول".

عندما أوقف سيارته أمام مكتب المأمور؛ ألقى عليها نظرة تفيض فضولا، قائلاً: "ماذا أعددت على عشاء الغد؟".

"ماذا؟".

"لقد دعوتنى على العشاء".

"آه. لقد نسيت. لا أدرى. سوف أفكر فى شىء ما".

"يبدو لى هذا شهيا. هيا أنجزى ما تريدين، ثم احصلى على قسط من الراحة؛ تبدين وكأنك سوف تسقطين من شدة الإجهاد".

"من فضلك؛ كف عن المجاملة؛ لقد أطحت برأسى". انتظرت لثانية؛ ثم رفعت حقيبتها من فوق الأرض وبدأت تتحسس الباب.

" هل هناك مشكلة؟".

"كلا. حسنا. ظننت أنك سوف تقبلنى مودعاً".

ارتجفت شفتاه بينما رفع أحد حاجبيه، قائلاً: "إذن أيتها النحيفة أنت تريدين الزواج منى".

"يا لك من فظ!"، ولكن الضحكة داعبت حلقها وهى تفتح الباب، فأضافت: "وعندما تعيد على الطلب ثانية لا تنس إحضار خاتم الخطبة"، ثم قرعت الباب برأسها، قائلة: "وزهور التوليب فهى زهورى المفضلة"، قالتها ثم صفعت الباب.

سارت بتلك الروح المرحة إلى أن وصلت إلى باب المأمور. لم تشعر بأى اضطراب فى أعصابها إلا عندما فتحت الباب وولجت بالداخل.

كانت رائحة القهوة والنقانق تعبق المكان. لاحظت وجود قدح القهوة على منضدة صغيرة على الجانب الأيسر من الغرفة حيث كان البخار الأسود مازال ينعبث من القدح شبه الخاوى. أما مصدر الرائحة الثانية فقد كان ينبعث من الأرض ما بين المكتبين المعدنيين المواجهين لبعضهما البعض حيث كان يعمل النائبان حسب افتراضها.

كان صاحب أحد المكاتب فقط مشغولا. كان صاحب شعر أسود؛ ولحية صغيرة مشذبة؛ وعينين عسليتين متفائلتين وبنية شابة نحيلة. تذكرت ريسى أن اسمه دينى داروين ؛ الذى كان يحب البيض ناضجًا عن آخره واللحم شبه محترق.

نظر نحو الباب عندما فتحته وفكر قليلا. أدركت من الطريقة التى حرك بها أصابعه سريعا على لوحة تشغيل الحاسوب أنه لم يكن يؤدى عملا رسميا.

"مرحى آنسة جليمور".

"ريسى". لم يكن أصغر منها كثيرا؛ هكذا فكرت فى نفسها.

كان فى الخامسة والعشرين على الأرجح وكان صاحب وجه بشوش بالرغم من لحيته، ثم أضافت: "كنت أود التحدث مع المأمور إن كان موجودا".

"بالطبع؛ لقد عاد إلى المكتب. تفضلى بالدخول".

"شكرا لك، إنه كلب لطيف". صمتت وألقت نظرة متفحصة عليه، قائلة: "لقد رأيت هذا الكلب من قبل. إنه الكلب الذى يحب السباحة فى البحيرة".

"إنه موزيز وهو كلب آبى مردسون؛ ابنة المأمور الوسطى".

"أجل. بالطبع، إنها تقذف الكرة له فى البحيرة لكى يسبح ويلتقطها من الماء".

"إنه يحب البقاء معنا عندما يكون الأبناء فى المدرسة".

فتح موزيز إحدى عينيه، وألقى نظرة على ريسى بوجهه المشعر

البنى ثم استدار بما يكفى ليلوح بذيله الكثيف المشعر.

"كثيرا ما يبقى لدينا بعض حساء العظم لدى جوانى. فقط أخطرنى عندما يكون موزيز بحاجة لبعض منها".

"شكرا لك".

"تسرنى رؤيتك يا موزيز".

سارت عبر المكتب الخارجى فى الاتجاه الذى أشار إليه دانى. كان هناك مكتب آخر للمهام المستعجلة؛ قبل الرواق مباشرة، ولكنه كان خاليا وهادئا فى ذلك الوقت.

وعند إحدى نهايات البهو كانت هناك وحدتان خاليتان أما عند النهاية المقابلة فقد كان هناك باب غرفة تحمل كلمة (مخزن) وأخرى تحمل كلمة (دورة مياه). ومقابل غرفة التخزين؛ كان باب غرفة مكتب ريك مردسون مفتوحا.

كان يجلس وراء مكتبه الخشبى العتيق الذى بدا لها وكأنه شهد عدة حروب. كان المكتب قبالة الباب؛ وكان ارتفاع النافذة من وراءه مباشرة يمنحه قدرا من الخصوصية وفى نفس الوقت الإضاءة اللازمة له، وبجوار الحاسوب والهاتف كان المكتب يحمل مجموعة من أطر الصور العائلية؛ وحامل ملفات وكوباً أحمر زاهيًا يضم مجموعة متنوعة من الأقلام الرصاص والجافة.

فوق الحامل القديم فى أحد الأركان كان المأمور قد علق قبعته وسترة بنية خابية اللون. كانت صور الأفلام التى علقها تضئ الجدران الرسمية ببجية اللون وتضفى عليها الحيوية. كانت تضم صورا لجون واين؛ وكلينت إيستوود؛ وبول نيومان فى ملابس رعاة البقر.

نهض عندما وجدها تقف فى تردد على عتبة الباب، قائلاً: "تفضلى يا ريسى. لقد اتصلت لتوى بمنزلك".

"يجب أن أزود الهاتف بجهاز الرد الآلى على المكالمات. هل لديك دقيقة؟".

"بالطبع. اجلسى. هل تودين تناول قدح من أسوأ أنواع القهوة فى وومينج؟".

"شكرا لك. هل لديك أية أخبار؟".

"حسنا؛ على الجانب الإيجابى؛ ليس هناك أى مفقودين فى أنجيل فيست، وهو ما ينطبق أيضا على الزوار الذين وفدوا إليها على مدى الأيام القليلة الماضية. ليس هناك أى مفقود فى المنطقة تنطبق مواصفته على السيدة التى أبلغت عنها".

"لم يكتشف أحد اختفاءها بعد. لم يمض سوى يوم واحد".

"ربما، وسوف أتفقد هذا الأمر بشكل دورى".

"هل تظن أننى اختلقت الأمر؟".

سار نحو الباب وأغلقه، ثم عاد ثانية وجلس على حافة مكتبه. لم تبد على وجهه أى علامات سوى علامات الطيبة والصبر وهو يقول: "يمكننى فقط أن أخبرك بما أعرفه، وأنا الآن أعرف أن كل أنثى فى بلدتى لم تصب بمكروه وهى متواجدة حيث يجب أن تكون، كما أننى أعرف أيضا أن كل زائر جاء إلى هنا أو كان هنا بالأمس مازال على قيد الحياة وبصحة جيدة. كما أننى عرفت أيضاً . لأن هذا جزء من عملى . أنك قد مررت بفترة عصيبة قاسية منذ عامين".

"ولكن هذا ليس له أية علاقة بما حدث".

"بل ربما تكون له علاقة. الآن أنا أريد أن أطلب منك أن تتروى وتفكرى مليا فى الأمر. ربما تكونين بالفعل قد رأيت شخصين . تماما مثلما قلت . يتشاجران. وربما تطورت الأمور أيضا واتخذت بعد التعدى البدنى؛ ولكنك كنت تبعدين كثيرا عن مسرح الحدث . حتى باستخدام نظارتك. أريدك أن تفكرى فى احتمال أن يكون هذان الشخصان قد غادرا سائرين على أقدامهما".

"لقد كانت ميتة".

"بالنظر إلى مكانك أعلى النهر فوق المرتفع؛ فإن هذا لا يسمح لك بقياس نبضها؛ أليس كذلك؟".

"كلا ولكن -".

"لقد راجعت أقوالك أكثر من مرة. لقد جريت إلى حيث كان يجلس برودى ثم عدتما إلى هناك ثانية، وقد استغرق هذا ما يقرب من ثلاثين دقيقة. ألا يمكن أن تكون هذه المرأة قد نهضت ومضت فى طريقها؟ ربما كانت لا تزال غاضبة؛ ربما كانت مصابة ببعض

الجروح ولكنها بقيت حية ترزق وبصحة جيدة؟".

لم يكن الكوب نصف ممتلئ أو نصف خاو؛ هكذا فكرت ريسى، وإنما كان مجرد كوب؛ وقد رأته بنفسها. "لقد كانت ميتة. لو أنها كانت قد سارت؛ فكيف تفسر اختفاء الآثار؟ كيف تفسر عدم وجود أية دليل على تواجد أى شخص فى المكان؟".

بقى صامتاً للحظات وعندما فعل بقى هذا الصبر اللانهائى مميزا لنبرته. كان الصمت قد بدأ يزحف عليها وكأنه عنكبوت يعبث بجسدها، ثم قال: "أنت لست من هنا؛ كما أنها كانت المرة الأولى التى تصعدين فيه المرتفع. لقد كنت فى حالة صدمة وغضب. إنه نهر طويل يا ريسى. أى أنه يسهل عليك إخطاء البقعة عندما عدت أدراجك ثانية بصحبة برودى. كان يمكن أن تكون البقعة على ارتفاع ميل إضافى من البقعة التى وصلتما إليها".

"لا يمكن أن أكون قد بلغت كل هذا الارتفاع".

"حسنا. لقد بذلت قصارى جهدى فى مسح المكان وهى مساحة شاسعة. ثم توجهت إلى كل المستشفيات الأكثر قربا من المكان. لم تكن أى منها قد استقبلت سيدة بمثل هذه المواصفات التى ذكرتها كما لم تتلق أية سيدة أى علاج يتفق مع وصفك للإصابات التى ألمت بها فى عنقها أو رأسها، وسوف أعيد الكرة غداً".

دفعت نفسها فوق قدميها، قائلة: "أنت لا تصدق أننى رأيت شيئا".

"أنت مخطئة؛ أنا أصدق أنك قد رأيت شيئا أثار فزعك وغضبك، ولكننى لم أعثر على أى دليل يؤيد وقوع جريمة قتل، بيد أننى سوف أواصل البحث، وكل ما أريده منك الآن أن تكفى عن التفكير فى الأمر. أنا بصدد العودة إلى المنزل لرؤية زوجتى وأبنائى. يمكننى أن أوصلك".

"ولكننى أفضل السير؛ أريد أن أنقى رأسى". سارت نحو الباب ثم استدارت، قائلة:

"إن هذه المرأة قد قتلت أيها المأمور، وهذا شىء لا يمكننى أن أتجاهله، أو أكف عن التفكير فيه".

عندما غادرت؛ زفر مردسون نفسا عميقا وهز رأسه. سوف يبذل

قصارى جهده. هكذا فكر فى نفسه؛ وهذا هو كل ما يمكنه عمله.

أما الآن فسوف يأخذ كلبه ويعود به إلى المنزل ويتناول العشاء بصحبة زوجته وأبنائه.

١٠

أحضر برودى لنفسه القهوة التى كان يود تناولها ودس فطيرة بيتزا مجمدة فى الفرن، وعندما ضغط على زر جهاز الرد الآلى على المكالمات، وجد رسالة من وكيله. كانت روايته التى حدد موعداً لنشرها فى بداية الخريف قد حققت صفقة مُرضية للغاية مع إحدى دور النشر.

ربما أمكنه بجزء من الدخل شراء تلفاز جديد؛ جهاز بلازما. يمكنه أن يضعه فوق المدفأة، ولكن هل يمكن تعليق شاشة بلازما فوق المدفأة؟ أم أن الحرارة يمكن أن تفسدها؟

حسناً، يجب أن يتفقد هذا الأمر؛ لأنه سوف يكون من الممتع

للغاية أن يتمدد فوق الأريكة، ويشاهد كل ما يريده على إحدى هذه الشاشات العملاقة.

ولكنه للآن كان يقف على عتبة المطبخ حاملا كوب القهوة فى إحدى يديه وهو يتأمل الضوء وهو يتلاشى والظلال وهى تزداد تعمقا نحو المغيب.

كان عليه عمل يجب إنجازه، لا يمكن أن تقتنى جهاز بلازما كبيراً إن لم تبذل جهدك فى العمل. كان عليه أن يقضى ساعتين فى إنجاز عمله الجارى، فضلا عن أنه كان هناك بحث لابد أن يجريه.

كان عليه أن يقتل امرأة.

ولكنه للآن وهو مازال يحتسى القهوة فى انتظار البيتزا؛ يمكنه أن يفكر فى امرأة أخرى.

إنها لم تسقط ببساطة. لم تكن سهلة المنال. كانت تتمتع بالكثير من نقاط القوة التى يمكن أن تجتذب الرجال. ربما كان هذا سر غموضها المثير للتحير فى الوقت الذى لم يكن يتطلع هو فيه إلى أى تحير. كان يحب فيها هذا التناقض العجيب بين الضعف والشدة؛ بين الحرص والتهور. إن الشخص التقليدى العادى سوف يشعر بالسأم والتعب بعد فترة.

فضلا عن ذلك؛ لم يكن يسعه إلا أن يشعر أنه شريك فى هذا الأمر رغما عنه.

وإلى أن يعثر على طريق الخروج من هذا الموقف؛ كان عليه أن يجرى المزيد من البحث عنها.

نظر حوله. كانت حاسوبه المحمول موضوعًا على المائدة.

"ليس هناك وقت أنسب من الآن"؛ هكذا قرر فى نفسه وبرشفة أخرى للقهوة؛ أغلق الباب.

أدار الجهاز ثم نهض لكى يحضر البيتزا من الفرن. كانت أداة قطع البيتزا الدوارة إحدى أدواته الأساسية تماما مثل إناء إعداد القهوة؛ إحدى أساسياته القليلة. وضع الفطيرة بالكامل وقطعها إلى أربع ثم وضعها فى طبق ثم التقط منشفتين ورقيتين وفتح زجاجة ماء وأطلق على هذا اسم عشاء.

كان يعرف أنه لن يستغرق وقتا يفوق الوقت الذى استغرقه المأمور فى التعرف على خلفية ريسى. كان عليه أن يفعل ذلك على أية حال لأن الفضول كان قد بلغ منه مبلغه.

عثر على مقال يتحدث عن الطهاة فى بوسطن بدت فيه ريسى عندما كانت فى الرابعة والعشرين من عمرها. لقد ثبت له بالفعل أنه كان محقا عندما طالع صورتها. كانت تبدو أفضل كثيراً وهى تحمل عشرة أرطال إضافية على وزنها الحالى؛ كانت تبدو جميلة بالفعل.

كانت شابة صغيرة نابضة بالحيوية؛ كانت تضحك فى وجه آلة التصوير بينما كانت تحمل إناءً أزرق كبيراً ومخفقة فضية لامعة. كان المقال يحكى عن خلفيتها التعليمية، وأنها قضت عاما كاملا فى الدراسة فى باريس. مما أضفى عليها الكثير من الحرفية. كما أنه تطرق إلى حياتها الخاصة عندما نوه إلى أنها كانت تعد خمسة أطباق على العشاء لدمياتها عندما كانت طفلة صغيرة.

تحدث المقال عن تونى و تيرى مانو. صاحبى المطعم الذى كانت تعمل فيه . وهما الزوجان اللذان لقيا حتفهما بعد المقال بأعوام قليلة. وقد أشار المقال إلى أنها لم تكن فقط لؤلؤة المطعم وإنما أحد أفراد الأسرة.

كان المقال يضم أيضا بعض المعلومات من هنا وهناك فضلا عن أنه تناول أشخاصًا آخرين، وقد علم أنها فقدت أبويها عندما كانت لا تزال فى الخامسة عشرة من عمرها، وأن جدتها لوالدتها هى التى أشرفت على تربيتها. لقد بقيت عزباء وكانت تتحدث الفرنسية بطلاقة، فضلاً عن أنها كانت تجد متعتها فى التسرية عن أصدقائها وإعداد وجبات يوم الأحد الشهيرة.

من بين الصفات التى استخدمت فى وصفها؛ نشيطة ومبدعة ومغامرة. وكلمته المفضلة. نابضة بالحياة. -

كيف يمكن أن يصفها هو الآن؟ هكذا سأل برودى نفسه وهو يجلس على مقده ويمضع البيتزا. إنها عصبية ومضطربة فضلا عن أنها تملك روح الإصرار والتحدى.

ساخنة.

وجد أيضا أحد العناوين فى جريدة بوسطن جلوب التى تذكر أنها قد حصلت على وظيفة كبير الطهاة فى أحد المطاعم الأكثر شعبية التى تجمع بين المطبخ الأمريكى والمناخ الصاخب.

كان المقال يشير إلى خلفيتها العلمية وكان مرفقا بصورة لها وهى تبدو مشرقة ومتألقة وقد عقصت شعرها إلى الوراء . إنها تملك عنقا جميلا . وقد وقفت داخل مطبخها الجديد الفخم مرتدية بدلة سوداء مثيرة وحذاء أحمر مغريا مرتفع الطول.

"سوف أعتز دائما بالسنوات التى قضيتها لدى مانى؛ كما أننى سوف أعتز دائما بكل من عملت معهم هناك. إن تونى و تيرى مانو لم يمنحانى فقط أول فرصة مهنية حقيقية لى وإنما هما جزء من عائلتى الكبيرة. فى الوقت الذى سوف أفتقد فيه الراحة والحميمية فى مانو فإننى أشعر بالسعادة والإثارة لانضمامى إلى فريق العمل المتميز فى أويزيس . لقد عقدت العزم على الحفاظ على المستوى الراقى الذى اشتهر به المطعم فضلا عن إضافة بعض المفاجآت ".

"تبدين فائقة الجمال هنا حتى أننى أريد أن ألتهمك أيتها النحيفة" قالها بصوت عال وهو ينقل بصره من المقال إلى الصورة.

تفقد تاريخ المقال؛ ولاحظ أنه كان قد نشر فى نفس التوقيت الذى كان قد أبلغ فيه رئيس التحرير فى جريدة التريبيون باستقالته. عندما توصل إلى أول تقرير عن حادث القتل فى مطعم مانو، تبين له أنه نشر بعد ثلاثة أيام من مقال جريدة الجلوب.

يا لها من صفقة بائسة! كانت ريسى هى الناجية الوحيدة من الحادث؛ كانت مصابة بعدة طلقات نارية فضلا عن أن حالتها كانت حرجة. ظلت الشرطة تجرى التحقيقات وهكذا. تناول المقال أصحاب المكان والمطعم الذى كانا يديرانه منذ أكثر من ربع قرن، كما تضمن أقوال بعض الأصدقاء وأفراد العائلة؛ كلها تعبر عن الصدمة والغضب الجامح وتفيض بالدموع. وقد استخدم الصحفى

كلمات مثل حمام دماء؛ مذبحة؛ جريمة وحشية.

توالت بعدها المقالات التى كانت تتابع تطور التحقيقات، والتى أدرك برودى من خلال الاطلاع على كل حرف فيها أن الإحباط كان قد بلغ من المحققين مبلغه.

تداولت الصحف أيضا حفلات تأبين وجنازات الضحايا. كانت حالة ريسى قد تطورت إلى وضع خطير وذكرت الصحف أنها وضعت تحت حراسة الشرطة.

ثم بدأ الأمر يهدأ شيئا فشيئا؛ وانتقل الموضوع من الصفحة الأمامية إلى الصفحة التى تليها، ثم إلى الصفحة التى تليها، إلى أن بدأ الحديث عنها يتلاشى كلية فى الوقت الذى خرجت فيه ريسى من المستشفى. عندها لم يرد لها ذكر ولم تظهر لها صورة.

فكر برودى؛ هكذا تسير الأمور؛ تبقى الأخبار دائما أخبارا إلى أن تحل محلها أخبار جديدة ساخنة. يجب أن تبقى الأخبار دائما طازجة ومثيرة، وما إن تتلاشى عنها تلك الإثارة مثلما حدث فى مذبحة مانو التى فقدت بريقها بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على وقوعها.

كان الموتى قد دفنوا والقتلة قد فروا بجريمتهم وبقيت الناجية الوحيدة تلملم أطلال ما بقى لها من حياة.

فى الوقت الذى كان يفكر فيه برودى فى تناول البيتزا وقراءة كل ما نشر عنها؛ كانت ريسى قد ملأت حوض حمامها بالماء الساخن وبعض الرغوة ذات الرائحة الذكية. كانت قد تناولت الإسبرين وأرغمت نفسها على تناول بعض الجبن والقرمشات مع بعض حبات العنب لكى توازن طعامها.

كانت الآن على وشك الغوص فى الحوض وتناول العصير والشروع فى قراءة رواية برودى. لم تكن تريد أن تفكر فى الواقع؛ على الأقل على مدى الساعة التالية. أخذت تجادل نفسها بشأن إغلاق باب الحمام. كانت تفضل بالفعل أن تغلقه بالقفل ولكن الغرفة كانت صغيرة إلى الحد الذى لا يسمح بالبقاء فى مكان

ضيق كهذا.

حاولت أن تغلقه بالفعل فى مرات قليلة سابقة ولكن انتهى بها المآل إلى بذل جهد كبير لإعادة فتحه ثانية.

كان الباب الأمامى مغلقا؛ هكذا ذكرت نفسها؛ ولكنها بعدما انزلقت فى الحوض كان عليها أن تجلس مرتين؛ وتطل برأسها إلى الخارج فى حركة مجهدة لكى تتفقد مدخل منطقة المعيشة. تحسباً لوقوع أى شىء. كان عليها أيضا أن تبقى مصغية لأى صوت طارئ.

بعدما أجهدت نفسها بكل هذا العناء؛ تناولت رشفتين طويلتين من العصير.

"فقط كفى عن هذا؛ فقط استرخى. لقد كنت تحبين هذا فى الماضى؛ ألا تذكرين؟ اجلسى وغوصى فى حمام الفقاقيع وتناولى العصير واقرئى الرواية. لقد حان الوقت للتوقف عن تفقد أرجاء المكان من حولك كل ثلاث دقائق وكأن نورمان باتز يتربص بك لكى يلتهمك حتى الموت.

آه؛ يا إلهى؛ اصمتى بحق الله؛ كفى عن هذه التصورات!"

أغمضت عينيها وتناولت رشفة أخرى من العصير. ثم فتحت الرواية. كان السطر الأول كالتالى:

> يقول البعض إن جاك بروستير كان يحفر قبره على مدى سنوات، ولكن عندما سقط الفأس ليدق أرض الشتاء الجامدة، شعر بشىء من الحنق عندما تحول هذا التعليق إلى حقيقة.

جعلتها كلماته تبتسم وتأمل ألا ينتهى المآل بجاك إلى هذا المصير عما قريب.

ظلت تقرأ على مدى خمس عشرة دقيقة حتى بدأت أعصابها تخونها لتجول فى أنحاء المكان ثانية، وقد أدركت ريسى أنها حققت رقما قياسيا جديدا، فانتابها شعور بالرضا عن نفسها دفعها للبقاء على مدى عشر دقائق تالية قبل أن يبلغ منها الاضطراب مبلغه ويدفعها خارج الحوض.

عاهدت نفسها وهى تفتح السدادة؛ فى المرة التالية سوف أحاول البقاء لفترة أطول.

أعجبتها الرواية؛ كانت مريحة ومسلية؛ هكذا قالت فى نفسها. وضعت الرواية جانباً لكى تمحو آثار كريم البشرة الذى كان يشبه رغوة الحمام من فوق جلدها. سوف تحمل الرواية إلى فراشها؛ هذا ما اعتادت فعله وسوف تفعله. سوف تستغل برودى جاك بروستر كوسيلة هروب من كل المتاهات التى يريد عقلها أن يجرها إليها.

لن تكتب مذكراتها؛ ليس الليلة.

ربما كانت غاضبة بعض الشىء من المأمور مردسون عندما غادرت مكتبه؛ ولكنها الآن أصبحت أكثر هدوءاً، وكان عليها أن تقر بأنه كان يبذل أقصى ما فى وسعه.

وسواء كان يصدقها أم لا فإنه لم يتجاهل الأمر أو يتجاهلها. تماما.

إذن، سوف تبذل هى جهدها لكى تعمل بجزء واحد على الأقل من نصيحته. سوف تنحى الأمر جانبا فقط لبضع ساعات قليلة.

ارتدت البنطال القطنى والتى . شيرت الذى كانت أعدته للنوم وخلعت دبابيس الشعر عن شعرها. قدح صغير من الشاى . هكذا فكرت. وقضاء الأمسية بصحبة الرواية.

بعدما أدارت الإناء الكهربائى؛ حاولت أن تغرى نفسها بإعداد شطيرة؛ ولكنها بدلا من ذلك أخذت تلهو بالتفكير فى قائمة عشاء الليلة التالية.

اللحم الأحمر بالطبع، ربما القليل من لحم الروست مع صلصة الطماطم. عليها إذن أن تذهب سريعا إلى السوق عندما يتسنى لها اقتطاع فترة استراحة كما عليها أن تشترى بعض التوابل. هذا أمر هين؛ هكذا فكرت وهى تعد قائمتها. بطاطس طازجة وجزر وبازلاء طازجة إن كان هذا ممكنا. إنها وجبة رجالية. يمكنها أيضا أن تعد بسكويت الزبد باللبن.

يمكنها أن تعد أيضا بعد المشروم المحشو ـ إن سمح لها الوقت ـ كمشهٍ قبل الطعام، وتضيف إليه بعض التوت والقشطة. كلا؛ هذا طفولى للغاية. ربما يمكنها أن تعد بعض حلوى التفاح. إنه طعام

بسيط وتقليدى.

هل سينتهى بها المآل إلى إقامة علاقة دائمة معه؟ لم تكن فكرة جيدة؛ بل إنها كانت فكرة رهيبة، ولكن ... اللعنة! لقد استشعر بالفعل رغبتها. وشعرت هى بشىء من الارتياح لأنها أدركت أنها مازالت تملك مثل هذه الرغبات وشعرت فى نفس الوقت بالإحباط لأنها لم تكن واثقة مما يجب أو يمكنها عمله حيال هذا الأمر.

عليها أن تغسل إذن غطاء الفراش، فقط لكى تكون مستعدة. لم تكن تملك سوى طاقم سرير واحد فقط؛ فكتبت على الفور كلمة مغسلة ووضعت علامة استفهام بجوارها. سوف تكون بحاجة أيضا إلى شراء عصير جيد. واللعنة! إنها لم تكن تملك القهوة فقط وأيضاً لم تكن تملك غلاية لإعداد القهوة.

تراجعت إلى الوراء وضغطت بأصابعها فى منتصف جبهتها حيث بدأ الصداع ينتابها ثانية. عليها أن تلغى العشاء. بدا لها من الواضح أنها تجهد نفسها أكثر من اللازم لإعداد وجبة مثالية لبرودى فى الوقت الذى سوف يشعر فيه على الأرجح بمنتهى الرضا إن أعدت له شريحتين من لحم البرجر وبعض البطاطس المحمرة.

ولكن التصرف الأكثر ذكاء والأفضل هو أن تلغى الدعوة وتحزم حقائبها وتترك خطابا لجوانى وتغادر أنجيل فيست. ما الذى يدعوها إلى البقاء؟

لقد تعرضت امرأة للقتل وهو ما كان يكفى كسبب يدفعها للرحيل من المكان. بحلول ذلك الوقت أو عما قريب سوف يشيع الخبر فى البلدة كلها، والكل سوف يدعى أنها تزعم بأنها قد رأت جريمة قتل وأنه ليس هناك خيط أو دليل واحد يؤكد مزاعمها.

لم تكن تريد أن ينظر إليها الناس بطرف أعينهم ثانية، كما لو كانت قنبلة مؤقتة على وشك الانفجار. فضلا عن أنها كانت قد حققت تقدما بالفعل؛ أى أنه كان يمكنها أن تمضى لحال سبيلها بدون أن ينتابها الشعور بالخجل. كانت قد عادت للطهى ثانية كما أنها كانت قد أعدت شقة وبقيت على مدى خمس وعشرين دقيقة داخل حوض الحمام.

كانت أيضا قد بدأت تشعر بانتفاض أنوثتها.

إن جلسة أخرى مع برودى. هكذا فكرت. سوف تشعل مشاعرها وأنوثتها وتؤججها. ليس هناك ما يعيب فى ذلك؛ ليس هناك أى عيب. لقد كانا شخصين ناضجين لا تربطهما أية علاقة عاطفية، والارتباط برجل جذاب مطلب أنثوى طبيعى.

كان هذا تطورا.

إذن يمكنها أن تحزم كل هذا التطور وكل هذه الخطوات وتستخدمها فى البلدة التالية التى سوف تتوقف عندها.

نحت قلمها جانبا عندما بدأت الغلاية تصدر صوتا. كانت تصدر صفيرا مدويا بالفعل عندما نهضت لإحضار قدحها. لم يكن لديها إناء للشاى؛ تذكرت. ربما فى المحطة التالية التى سوف تتوقف عندها يمكنها اقتناء إناء.

أغلقت مفتاح التشغيل ونقلته إلى درجة أبطأ. وبينما أخذ الصفير يتلاشى سمعت طرقا على الباب.

كانت لترتجف لو كان قد بقى فيها نفسا لهذا، وبما أنها كانت فى حالة يرثى لها فقد وثبت من مكانها حتى ارتطم وركها بالمنضدة، وعندما قبضت بيدها على سكينها الحادة، جاءها صوت جوانى وهى تصيح عبر الباب المغلق.

"افتحى الباب؛ بحق الله! لن أبقى منتظرة طوال الليل".

نهضت ريسى على مفاصلها المفككة وهرعت عبر الغرفة بأقصى سرعة ممكنة وسحبت المقعد بعيدا عن الباب، قائلة: : "آسفة؛ ثانية واحدة فقط!".

أزاحت ريسى القفل ومزلاج الباب، قائلة: "لقد كنت فى المطبخ؟".

"أجل. إنه مكان شاسع؛ أنا مندهشة من أنك قد سمعت الطرق".

اشتمت جوانى رائحة التوابل والدخان، فقالت: "لقد أحضرت لك آخر إناء من الحساء. يجب أن تزيدى الكمية فى المرة القادمة. هيا تناوليه".

"حسنا؛ سوف -".

قالت جوانى وهى تضع الإناء المغطى على المنضدة: "لا تشغلى بالك، هيا كلى الآن، هيا". لوحت لها فى نفاد صبر عندما

أبدت ريسى ترددها، مضيفة: "ولكنه مازال ساخنا. أنا فى فترة استراحتى".

قالتها ثم سارت متجهة نحو النافذة الأمامية وفتحتها بضع بوصات قليلة، ثم استخرجت ولاعة وسيجارة مارلبورو، قائلة: "هل ستطردينني من المنزل لأنك لا تسمحين بالتدخين هنا؟".

"كلا". لم تكن تملك شيئا أكثر مناسبة؛ فحملت صحن فنجان الشاى لكى تقدمه لها كمطفأة، مستطردة: "كيف حال المطعم الليلة؟".

"ليس سيئا. لقد حقق الحساء نجاحا باهرا. يمكنك أن تعديه فى الغد إن أردت".

"بكل تأكيد. لا مشكلة".

"اجلسى وكلى".

"لا يجب أن تبقى ملازمة للنافذة".

"لقد اعتدت على ذلك"، ثم أخذت تشتم المكان، قائلة: "إنها رائحة زكية".

"كنت آخذ حماما لتوى. إنها رائحة المانجو الاستوائية".

"لطيفة"، ثم ألقت جوانى نظرة متأملة على المكان، مستطردة: "هل أنت بصدد استقبال ضيف؟".

"ماذا؟ كلا ؛لا؛ ليس الليلة".

"إن لو بالأسفل". وبتلقائية كانت جوانى تنفض رماد السيجارة عبر النافذة إلى أسفل. "كان يريد أن يحمل لك الحساء، ولكننى فكرت أن هذا لن يعجبك وخاصة عندما أشار إلى أن ليندا يجب أن تصعد معه. لكى لا يثير إزعاجك".

"هذا لطف منه".

"إنه قلق بشأنك فهو يرى أنك تعانين من حالة أرق وخوف".

"لقد اعتدت على ذلك" قالتها ريسى بنصف ابتسامة وهى تجلس لتناول الحساء، ثم أضافت: "ولكننى على ما يرام".

"ولكنه ليس الوحيد الذى يشعر بالقلق حيالك. لقد ذاع الخبر كما هو الحال دائما؛ بشأن ما رأيته بالأمس".

"ما رأيت أم ظننت أننى رأيت؟".

"حسنا؛ أيهما تختارين؟".

"لقد رأيت".

"حسنا؛ إذن. أرادت ليندا أن تعرض عليك المبيت معك الليلة إن لم تكن لديك رغبة فى البقاء بمفردك أو المبيت لديها فى مسكنها".

أوقفت ريسى الملعقة فى منتصف الطريق إلى فمها، قائلة: "حقا؟".

"كلا. فقد اختلقت الأمر من تلقاء نفسى".

"هذا لطف منها، ولكننى على ما يرام".

"تبدين أفضل حالا مما كنت عليه؛ يمكننى أن أقول ذلك". أسندت جوانى ظهرها على إفريز النافذة ثم نفضت المزيد من الرماد، مستطردة: "باعتبارى صاحبة العمل وأنت مرؤستى؛ كان على اليوم أن أجيب عن كل التساؤلات بشأن حالتك والتعهد بإبلاغ التحيات والدعوات الطيبة. ماك وكارل ودوك بيبى وبيتى وبيك كل هؤلاء يرسلون تحياتهم. لن أدعى أن بعضهم كان يريد أن يلقى نظرة عليك أو يلتقط بعض المعلومات منى، ولكن معظمهم كان صادقا فى رغبته فى الاطمئنان عليك بالفعل. لذا رأيت أنك يجب أن تعرفى ذلك".

"إننى أقدر لهم بالفعل كل هذا الاهتمام؛ وكل التمنيات الطيبة؛ ولكن المأمور لم يتوصل إلى شىء يا جوانى".

"هناك بعض الأشياء التى تستغرق وقتا أكثر من غيرها، وسوف يظل ريك يواصل بحثه".

"أجل؛ أظن ذلك ولكنه لا يصدق فى واقع الأمر أننى رأيت ما رأيت بالفعل. ولكن لمَ يجب عليه أن يصدق على أية حال؟ لمَ يجب أن يصدقنى أى أحد؟ وإن صدقونى الآن؛ فسوف ينظرون إلى الأمر بشكل مختلف فيما بعد ما إن يذيع أمر. كما يحدث دائما. ما حدث لى فى بوسطن. و...". تراجعت إلى الوراء وضيقت عينيها، مضيفة: "أظن أنهم قد عرفوا بالفعل.

قال أحدهم لأحدهم الذى قال بدوره لأحدهم. إذن، أجل؛ لقد تم تداول بعض الأحاديث عما حدث هناك وكيف أنك تعرضت

للأذى".

"كان يجب أن يحدث هذا"، ثم حاولت أن تفض الأمر بقولها: "الآن سوف يزداد الحديث والهمهمة؛ المزيد من الحديث ثم يتحول الأمر. آه ! يا لهذه المسكينة، إنها تمر بوقت عصيب؛ إنها عاجزة عن اجتياز المحنة. إنها تتصور حدوث أشياء لم تحدث".

"اللعنة! لقد حضرت بدون كمانى". هكذا خرجت عليها جوانى بأحد ردود أفعالها المعتادة وأطفأت سيجارتها بسرعة وأضافت قائلة: "فى المرة القادمة سوف أحضر الكمان فى حفلتك التالية للإشفاق على نفسك".

قالت ريسى وهى تتناول ملعقة حساء: "يالك من وضيعة! ما السر فى أن أكثر شخصين مساندة لى هما الأقل فى إبداء روح التعاطف؟".

"أتصور أنك حصلت على وابل من التعاطف فى بوسطن وأنك فى غنى عن المزيد".

"أصبت. قبل أن تصعدى إلى هنا كنت أقنع نفسى بالرحيل، ولكننى الآن أجلس لتناول الحساء. وسوف يكون أفضل مذاقا إن كان مزودا بالعشب الطازج. وأتحدث معك وأنا أعلم فى قرارة نفسى أننى لن أبرح هذا المكان. أشعر أنى فى حال أفضل بعد التوصل إلى هذه القناعة. حتى بالرغم من أنك بعدما تغادرين سوف أتفقد أقفال النوافذ والباب وأتأكد من وجود حرارة فى الهاتف".

"وهل ستضعين المقعد خلف مقبض الباب ثانية أيضا؟".

"أنت لا تفوتك فائتة".

"ليس الكثير". حملت جوانى المطفأة البديلة ووضعتها فى الحوض، مضيفة: "لقد بلغت الستين من العمر و-"

"أنت فى الستين؟ اخرجى من هنا".

عجزت جوانى عن إخفاء ابتسامتها المقتضبة أمام دهشة ريسى وعدم تصديقها، ثم رفعت كتفيها وقالت: "سوف أتم الستين فى يناير المقبل لذا فأنا أسعى للتمرس على ذلك لكيلا أصاب بصدمة. لقد أفقدتنى الآن حبل أفكارى".

"لقد تصورت أنك أصغر من عمرك الحقيقى بعشر سنوات".

رمتها جوانى بنظرة طويلة باردة ثم كشف فمها عن ضحكة مقتضبة ثانية، وهى تقول: "أنت إذن تتطلعين إلى علاوة مالية قبل الأوان؟".

"ولِمَ لا؟".

"أنا أعلم البضاعة الجيدة عندما أراها؛ هذا ما كنت أريد قوله، وأنت بضاعة جيدة وسوف تبقين متماسكة كما فعلت من قبل وواجهت ما هو أسوأ".

"ولكننى لم أكن متماسكة".

ردت جوانى بسرعة، قائلة: "أنت مخطئة، إننى أقف هنا أمامك وأنظر إليك؛ أليس كذلك؟ تذكرى ما سوف أقوله الآن؛ قد تكون هناك عيون كبيرة وآذان متعطشة لسماع القيل والقال هنا فى أنجيل فيست، ولكن هناك أناسًا طيبين هنا وإلا لِمَ كنت بقيت كل هذا العمر هنا، بيد أن الأشياء السيئة تقع فى كل مكان وأنت بالفعل تعرفين ذلك. إن سكان هذه البلدة يعتنون بأنفسهم ويعتنون ببعضهم البعض عند الضرورة. إن كنت بحاجة إلى أية مساعدة؛ فقط اطلبيها".

"سوف أفعل".

"على أن أعود إلى المطعم الآن". وبينما تتراجع إلى الوراء؛ ألقت جوانى نظرة حولها وقالت: "هل تريدين تلفازا هنا؟ لدى جهاز إضافى يمكننى أن أحضره لك فى الغد".

كانت ريسى على وشك التفكير فى رد لائق مثل لا تزعجى نفسك، ولا تكبدى نفسك هذا العناء ومثل هذه الأشياء ولكنها بدلا من ذلك ردت قائلة: "نعم سوف أحب أن أقتنى واحدا إن كان لديك جهاز إضافى".

"يمكنك أن تأخذيه غدا". وعند الباب؛ توقفت جوانى وزفرت نفسا، وهى تضيف: "سوف تمطر ثانية. نوبتك تبدأ فى تمام السادسة صباح الغد".

وحيدة؛ سارت ريسى لتغلق النافذة والباب وتعمدت أن تقضى كل الوقت اللازم لإنجاز هذه المهمة، وشأنها شأن أى امرأة؛ قالت فى نفسها؛ يجب أن تغلق النوافذ جيدا، كما أن وضعها الكرسى

تحت مقبض الباب لن يضير أحدا.

هطل المطر بالفعل فى تمام الثانية صباحا وأيقظها من نومها. كانت قد استسلمت للنوم بينما كان النور مازال مضاءً ورواية برودى بين يديها. سمعت صوت الرعد مصاحبا للمطر فوق السطح وأمام النوافذ. كانت تحب هذا الصوت؛ هذه القوة العاصفة التى كانت تشعرها بمزيد من الدف والارتياح داخل سريرها الصغير.

كورت جسدها وأخذت تفرك عنقها، ثم سحبت الأغطية حتى ذقنها، وفى مسحها التقليدى قبل إغماض عينيها، تجمدت فى مكانها.

كان الباب الأمامى مفتوحا؛ فقط قليلا.

سحبت الملاءة حول كتفيها وهى ترتعد ثم التقطت المصباح الذى كان موضوعا بجوار فراشها. كان عليها أن تنهض؛ كان عليها أن تعمل قدميها. سمعت أزيز أنفاسها أثناء الشهيق والزفير وهى تدفع نفسها للنهوض ثم هرعت إلى الباب.

أغلقته وأدارت المقبض بشدة لكى تتأكد من أنه محكم. بقى نبضها يتسارع وهى تهرع نحو النوافذ وتطمئن نفسها من أن أحدا لن يقتحم عليها الغرفة من خلالها.

لم يكن هناك أحد فى الشارع، وكانت البحيرة قد تحولت إلى مستنقع أسود وكان الشارع خاليا وموحشا.

حاولت أن تقنع نفسها بأنها قد أخطأت ولم تغلق الباب أو فتحته خطأ عندما تفقدته فى آخر مرة قبل أن تأوى إلى فراشها، أو أن الهواء قد دفعه، أو أن العاصفة قد هبت واندفع الهواء.

ولكنها هبطت فوق يديها وركبتيها بجوار الباب ورأت الخدوش الدقيقة إثر احتكاك الكرسى.

إن الهواء لم يدفع الباب إلى حد تحريك الكرسى بمقدار بوصة كاملة.

جلست وأعطت ظهرها للجدار بجوار الباب والملاءة تلف كتفيها.

ولكنها مع ذلك نجحت فى أن تنام نوما خفيفا ثم ارتداء ملابسها والذهاب إلى العمل. ما إن فتح متجر الخردوات أبوابه حينما أخذت فترة استراحتها حتى سارت لشراء قفل محكم.

سألها ماك: "هل تعرفين كيفية تركيب هذا الشىء؟".

"سوف أتبين الأمر".

ربت على يدها، قائلاً: "لمَ لا تسمحين لى أن أركبه لك؟ لقد كنت أفكر فى الذهاب لتناول الغداء لديكم اليوم على أية حال. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلا".

اطلبى المساعدة عند الضرورة؛ هكذا تذكرت ريسى، فقالت: "سوف يكون هذا لطفا منك يا سيد دروبر".

"لا تقلقى. أنا لا ألومك على هذا التوتر. إن هذا القفل المحكم المتين سوف يجعلك فى حال أفضل".

نظرت جهة الباب عندما فتح، قائلة: "أعلم ذلك".

ثم قالت عندما رأت كارل يدخل المتجر: "صباح الخير يا سيد سمبسون".

"صباح الخير؛ كيف حالك؟".

"على ما يرام. أعتقد أن المأمور قد حادثكما بالفعل، ولكننى أود أن أعرف إن كان أحدكما قد شاهد امرأة صاحبة شعر أسود طويل ومعطف أحمر هنا فى البلدة على مدى الأيام القليلة الماضية".

أجابها ماك، قائلاً: "كان هناك بعض متسلقى المرتفعات ومحبى التنزه فى الغابات، ولكن جميعهم كانوا رجالا بالرغم من أن اثنين من بينهم كانوا يرتدون أقراطا. واحد كان يرتديه فى أنفه".

قال كارل معلقا: "يفد إلينا الكثيرون فى فصل الشتاء للتزلج على الجليد، ولكن الذكور هم الذين يحملون فى العادة أجهزة أكثر من الإناث، كما جاءنا هذان الزوجان المتقاعدان من مينوسيتا منذ بضعة أيام".

"كان شعر المرأة رماديا فضيا يا كارل أما الرجل فكان بدينا. هذا ليس ما سأل عنه المأمور".

قال كارل وهو يلقى نظرة على ريسى: "إننى فقط أذكرك؛ قد يكون الشخصان اللذان شاهدتهما يتصارعان أو يلهوان. إنهما

يفعلان مثل هذه الأشياء التافهة".

قالت ريسى وهى تستخرج محفظتها: "أجل بالطبع، هل يمكن أن أترك القفل معك يا سيد دروبر؟".

"لا بأس واستعيدى نقودك، سوف أضيفها إلى حساب جوانى".

"كلا؛ لا؛ ولكن هذا القفل من أجلى أنا و ـ"

"هل تنوين خلعه من على الباب وأخذه إلى أى مكان آخر؟".

"كلا ولكن ـ"

"سوف أسوى الأمر مع جوانى. هل لديك طبق الحساء الخاص اليوم؟".

"حساء الدجاج بالشعرية التقليدى".

"هذا ما أريد. هل أنت بحاجة إلى أى شىء آخر اليوم؟".

"أجل، ولكننى سوف أرجئ الأمر فقد انتهت فترة استراحتى".

التقط قلماً: "أعطنى القائمة، وسوف أحضر لك كل الأشياء معى على الغداء".

"يا لها من خدمة متميزة. سوف أكون بحاجة إلى اللحم ورطل من البطاطا الطازجة ورطل من الجزر".

عندما أنهت قائمتها، رفع ماك حاجبيه وقال: "لابد أنك دعوت أحدا لتناول العشاء الليلة".

قالت لنفسها؛ ولمَ لا أقول له؟! فأجابت: "أظن ذلك، إننى أعد عشاء لبرودى. لقد ساعدنى فى إنجاز بعض الأشياء مؤخراً".

"وها هو ذا يحصل على مكافأته".

"إن بقى أى شىء؛ سوف أحتفظ به لك مقابل تركيب القفل".

"اتفقنا".

سارت فى طريق العودة بينما كان الهواء المنعش البارد إثر الليلة السابقة يلفح وجهها. لقد نجحت فى علاج الأمر. فعلت ما يجب فعله.

وعندما تأوى إلى فراشها الليلة؛ سواء بمفردها أو غير ذلك. سوف يكون لديها قفل متين على بابها.

أخذ لو يقود سيارته الفورد فى شوارع أنجيل فيست وقد أدار أسطوانة صاخبة لوايلون جنينجز. كان خارج البلدة يستمع إلى فيث هيل التى كان يعتبرها رمزا للجاذبية، ولكن بالرغم من ذلك وبالرغم من قوامها المثير فلا يمكن لأى شاب أن يقود سيارته داخل البلدة وهو يستمع إلى أسطوانة لصوت أنثوى.

ما لم تكن حية تنبض بكل تأكيد.

كان قد عقد العزم على فتاة محددة فى الوقت الراهن على أية حال. بل على اثنتين؛ لقد كان يفسح مساحة كبيرة فى عقله للإناث. شاهد إحداهما ترتدى بنطالاً من الجينز ضيقاً وسترة حمراء تقف فوق سلم متنقل أثناء طلائها لحروف اسم المتجر الصفراء الذهبية اللامعة.

هدر بمحرك السيارة لكى تستدير وتعجب بشكله الرجولى داخل سيارته السوداء؛ ولكنها لم تفعل؛ فأشاح عنها بعينيه وأوقف السيارة.

يعلم الله كم يبذل جهدا مع هذه الأنثى بالذات فقط طلبا لإرضائها بينما يبذل جهدا أقل من ذلك بكثير مع غيرها لينال كل ما يريد.

"مرحى يا ليندا!".

"مرحى" قالتها ثم واصلت الطلاء.

"ما الذى تفعلينه؟".

"أعتنى بوجهى وأظافرى! ألا ترى ما أفعله؟".

أشاح بعينيه ثانية وخرج من سيارته لكى يرمى شباكه.

"ألديك عطلة اليوم؟". كان قد علم بالفعل من الجدول أنه كان لديها عطلة.

"هذا صحيح، وأنت؟".

"لدى بعض الزبائن ولكنهم خرجوا لركوب القوارب اليوم. هل رأيت ريسى؟".

"كلا" قذفت الطلاء بشدة على اللوحة الخشبية مما جعله يتناثر عليه فقفز غاضبا .

"احترسى".

"ابتعد".

يا لها من امرأة عنيدة؛ فكر فى نفسه. لم يكن يدرى ما الذى يدفعه دائما إلى مواصلة الحوم حولها. "اسمعى؛ أريد فقط أن أعرف كيف حالها ؛هذا كل ما فى الأمر".

"لقد أخبرتنا والدتك بأننا يجب أن نمنحها مساحة من الخصوصية، وهو ما أفعله". ومع ذلك فقد تنهدت ونكست الفرشاة واستطردت قائلة: "ولكننى أود أن أعرف بالرغم من ذلك. إنه شىء رهيب".

"رهيب". كررها وانتظر لحظة، ثم استطرد: "ولكنه مع ذلك مثير بعض الشىء".

استدارت لكى تلقى نظرة عليه، قائلة: "أهو كذلك؟! نحن مرضى؛ مرضى؛ ولكن يا إلهى؛ جريمة قتل. يظن بيبى أنهما ربما يكونان شخصين قد سرقا بنكا أو شيئًا من هذا القبيل ثم انقلبا على بعضهما البعض فقتلها وحصل على المال كله لنفسه".

"نظرية لا بأس بها".

نكست فرشاتها ومالت على السلم ، قائلة: "ولكننى أظن أنه كانت تربطهما علاقة آثمة وهربا معاً، ثم غيرت هى رأيها وأرادت أن ترجع إلى زوجها وأبنائها فقتلها بدافع الحب".

"يبدو هذا جيداً أيضا، ثم زود الجثة بثقل وألقى بها فى النهر".

"يا إلهى؛ هذا فظيع. أكثر فظاعة من أن يدفنها فى الخلاء".

"إنه لم يفعل ذلك على الأرجح على أية حال". ثم مال على السلم هو الآخر.

كان يشم رائحة الطلاء، ولكن وقوفها على هذه المقربة منه كان يجعله قادرا على اشتمام أية رائحة أخرى كانت قد وضعتها على بشرتها فضلا عن رائحة الطلاء. "ولكن هذا يفرض عليه أن يعرف من أين يأتى بالثقل. قد يكون من أهل البلدة هنا أيضا؛ ولكنه يجب أن يكون بحلول هذا الوقت قد فر على الأرجح".

"أظن ذلك، ولكن هذا ليس من شأنه أن يجعل الأمور تبدو أفضل لريسى". عادت إلى طلائها ثانية بحيث أصبح ظهرها مقابل

وجهه

"أظن أنك سوف تذهب إلى هناك لكى تراها".

"من؟"، ثم أوضح كلامه: "أوه؛ تقصدين ريسى. لا أدرى. فكرت فى ذلك؛ هل يمكنك مصاحبتى؟".

"لقد طلبت منى والدتك ألا أضايق ريسى اليوم. فضلا عن أننى بدأت هذا العمل ويجب أن أنجزه".

"سوف تستغرقين نصف اليوم إن بقيت تعملين بهذه السرعة".

نظرت من فوق كتفيها، قائلة: "لدى فرشاة أخرى أيها الذكى. يمكنك أن تفعل ما هو أفضل من البقاء هنا".

"إنه يوم عطلتى".

"وعطلتى أنا الأخرى".

"اللعنة" ولكنه لن يطلى تلك الحروف التافهة؛ ولكن لم يكن بوسعه أن يفكر فى أى شىء آخر أو أى مكان آخر يذهب إليه. "أظن أنه يمكننى مساعدتك". ثم أمسك بالفرشاة التى كان السعر مازال مثبتاً على مقبضها. "ربما إن كان بوسعنا إنجاز هذا العمل قبل الثلاثاء المقبل يمكننا أن نذهب إلى المزرعة معا. يمكننى أن أحجز حصانين لنا. إنه يوم مناسب لركوب الخيل".

ابتسمت ليندا فى نفسها وهى تواصل الطلاء،قائلة: "ربما. إنه يوم لطيف للغاية".

المنعطف

إنه الألم
يتعذر دائماً على تبين
متى بدأ أو ما إذا كنت قد عشت يوماً واحداً بدونه
اميلي ديكنسون

١١

كان على ريسى أن تهرع إلى شقتها بالدور العلوى فى الاستراحة التالية، وباستخدام المفتاح الذى تركه لها ماك لدى جوانى؛ فتحت القفل المتين الجديد.

مجرد الاستماع إلى صوت القرقعة الحادة جعلها تشعر بأنها فى حال أفضل. ظلت تجربه عدة مرات ثم أطلقت تنهيدة ارتياح.

ولكن كان عليها أن تسرع - ذكرت نفسها - لكى تتبل اللحم وتعود أدراجها سريعا بالأسفل إلى أن تنهى نوبة عملها.

وجدت رساله لها تحت المنضدة من ماك؛ كانت الرسالة مكتوبة بخط واضح ودقيق، وكانت موضوعة فى أحد الأركان بعناية بجوار

إناء الشواء الجديد الذى كانت قد وضعته فى قائمتها.

لقد وضعت لك باقى الطلبات فى الثلاجة حتى لا تفسد، كما أننى ركبت لك مقبضاً يمكنك أن تسددى ثمنه نهاية الشهر. أتمنى لك وقتا سعيدا على العشاء، أما أنا فأتطلع لما سوف يتبقى من الطعام.

ياله من شخص لطيف؛ هكذا فكرت، ثم أخذت تتساءل ما الذى لم يجعل امرأة ذكية تلقى شباكها عليه إلى الآن.

أخذت ما كانت تريده من الثلاجة وخزانة المطبخ ثم فتحت الخزانة تحت المنضدة لاستخراج الخلاط.

و لكنه لم يكن موجودا. لم تجد أى إناء من أوانيها، وإنما وجدت بدلا منها حذاء السير وحقيبتها.

جثت . ببطء . على ركبتيها.

لم تكن قد وضعتهما هنا؛ لم تفعل. حذاؤها وحقيبتها؛ كانت قد وضعتهما فى خزانة ملابسها. وبمنتهى الحرص وكأنها ترى قنبلة؛ استخرجتهما من الداخل وأخذت تتفحصهما جيدا. فتحت حقيبتها فوجدت بداخلها زجاجتها الاحتياطية وبُصلتها وسكينها والكريم الواقى من الشمس والمفرش. وجدت كل شىء فى مكانه.

ارتعدت قليلاً؛ حملتهما ثانية إلى الخزانة، وهناك وجدت الخلاط فوق أحد الأرفف.

قالت لنفسها: هذا لا يعنى شيئا، إنها لحظة غاب فيها عقلى؛ هذا كل ما فى الأمر، أى شخص يمكن أن يقترف مثل هذا الخطأ الأحمق. أى شخص.

وضعت الحذاء على أرضية خزانة الملابس وعلقت الحقيبة فى المشجب الذى اعتادت تعليقها عليه، وكان بوسعها أن ترى نفسها وهى تفعل ما فعلته بالضبط عندما عادت من رحلتها مع برودى عند النهر: حتى قبل أن تتناول الإسبرين؛ وقبل أن تسرع لأخذ حمام؛ خلعت حذاءها ووضعته هو وحقيبتها داخل خزانة الملابس.

يمكنها أن تقسم إنها فعلت.

والأوانى؛ ما الذى يدفعها إلى نقل الأوانى إلى هذا المكان فى المقام الأول؟

ولكن لابد أنها فعلت، مثلما رسمت على الخريطة. إنها لحظة غابت فيها عن الوعى. إنها تفقد الشعور بالزمن؛ هكذا فكرت. أراحت رأسها على باب خزانة الملابس. لم تكن تريد أن تصدق أنها بدأت تفقد شعورها بالزمن ثانية كما حدث لها فى فترة انهيارها من قبل؛ ولكن الأوانى كانت بداخل الخزانة؛ أليس كذلك؟

من المستبعد أن يكون ماك دروبر قد نقلها من مكانها على سبيل المزاح. مما لم يبق أمامها سوى افتراض واحد.

أخذت تطمئن نفسها: إنها الضغوط فقط؛ لقد تعرضت لصدمة، وقد أثرت هذه الصدمة على عقلها مما دفعها إلى وضع بضعة أشياء فى مكانها غير الصحيح. لا مشكلة؛ لن تكون مشكلة إن نظرت إلى الأمر ببساطة.

حملت الأوانى ببساطة وأعادتها إلى مكانها ووضعت الإناء الذى كانت تريده على المنضدة وأعادت الباقى فى مكانه.

رفضت ريسى أن تستغرق فى المزيد من التفكير وانهمكت فى تقطيع الطعام وتتبيله.

عندما انتهت نوبة عملها؛ فتحت القفل ثانية، وفى هذه المرة تفقدت كل الأشياء؛ أدراج المطبخ وخزانة الملابس وخزانة الأدوية والمزينة .

كان كل شىء فى مكانه الصحيح، مما جعلها تنحى ذلك الحادث جانبا وتغسل آنية الطبخ الجديدة التى أحضرها ماك وتشرع فى الانهماك فيما تحب عمله.

لقد انقضى وقت طويل على آخر مرة أعدت فيها ريسى وجبة حقيقية حميمة. كان الأمر بالنسبة لها وكأنها تعيد اكتشاف الحب من جديد. لقد كان المزيج والأشكال والروائح والاختيارات مادية ونفسية بل وروحية أيضا.

بينما كان الخضر يغلى ويسوى فى مرق اللحم؛ فتحت زجاجة عصير لكى تكون جاهزة للتناول. لقد كان من الغباء شراء تلك

المناديل فاتحة اللون؛ هكذا فكرت فى نفسها وهى تعد الأشياء على المنضدة، ولكنها لا تستطيع أن تستخدم مناشف ورقية بدلا منها.

كما أنها كانت تبدو جميلة وجذابة على الأطباق البيضاء، كما أن الشموع كانت عملية بقدر ما كانت جذابة. إن الكهرباء يمكن أن تنقطع كما أن مصباحها أيضا يمكن أن يفرغ شحنه. فضلا عن أن حامل الشمع كان رخيص الثمن على أية حال.

لقد قررت أن تبقى قليلا؛ أليس كذلك؟ لن يكون من غير المجدى إذا أن تقتنى بعض الأشياء لتجميل الغرفة وإضفاء قدر من الحميمية عليها، أو إضفاء قدر من الخصوصية التى تشعرها أنها فى غرفتها. هذا لا يعنى أنها تهدر أجرها على اقتناء السجاجيد والستائر والأعمال الفنية.

بالرغم من أن السجادة الملونة سوف تبدو لطيفة فوق الأرضية العارية الباردة، كما يمكنها أن تبيعها قبل أن ترحل من المكان. على الأقل هذا شىء يمكننى أن أشغل نفسى بالتفكير فيه . فكرت فى نفسها وهى تتفقد الوقت.

وجدت نفسها تهمهم وهى تقطع وتمزج خليط المشروم. قالت فى نفسها؛ إنها علامة طيبة؛ إنها علامة قوية تؤكد أنها على ما يرام. ليس هناك ما يثير القلق.

لطالما أحبت الاستماع إلى الموسيقى أثناء عملها فى المطبخ . موسيقى الروك أو الأوبرا أو الموسيقى الحديثة .أية موسيقى تتفق مع حالتها المزاجية والوجبة التى تعدها.

ربما يمكنها اقتناء جهاز أسطوانات صغير لكى تضعه على المنضدة؛ فقط لكى يسرى عنها.

نظرت ثانية إلى القفل الجديد المثبت على الباب ذى الطلاء القديم. لقد كانت فى مأمن هنا؛ لم لا تسعد إذن وتشعر بالراحة أيضا؟

سوف تخرج فى رحلة سير واستطلاع ثانية، بل ويمكنها أن تفكر أيضا فى استئجار مركب فى البحيرة. هل يمكنها التجديف؟ سوف تعرف بنفسها.

سوف تكون هذه بمثابة خطوة أخرى نحو استعادة حياتها

الطبيعة بدلا من التظاهر بذلك.

كانت فى انتظار موعد؛ أليس كذلك؟ وكان هذا شيئًا طبيعيًا للغاية، مثلما كان من الطبيعى أيضا أن يتأخر برودى لعشر دقائق.

ما لم يكن ينوى الحضور بالمرة. ما لم يكن قد أعاد التفكير فيما حدث. أو كاد يحدث. وقرر التراجع قبل أن تزداد الأمور تعقدا. ما الذى يدفع رجل إلى التورط فى علاقة مع امرأة محطمة عاطفيا؟ امرأة تتفقد الباب ثلاث مرات ومع ذلك تبقيه غير مغلق. هل هناك شخص طبيعى يمكن أن ينسى أنه قد لطخ خريطة باللون الأحمر؟ هل هناك شخص طبيعى يمكن أن يترك حذاءه فى خزانة المطبخ؟

فكرت ريسى وهى تتنهد؛ لابد أننى أسير أثناء النوم. اشتمت رائحة المشروم والفلفل والبصل واللحم.

لم تكن فقط فى مأمن وعلى وشك التعافى لم يكن عليها أن تشغل بالها إلا بإعداد عشاء جيد، حتى إن انتهى بها المآل إلى تناوله وحدها. بينما كانت تفكر فى ذلك؛ سمعت وقع أقدام على الدرج.

استسلمت لنوبة الرعب المبدئية ثم صرفتها. عندما سمعت الطرق على الباب كانت قد استعادت رباطة جأشها ثانية. مسحت يديها فى فوطة الصحون وأعادتها إلى مكانها ثم سارت لكى تفتح الباب.

كانت رابطة الجأش، ولكنها ليست غبية، فقالت: "برودى؟".

"وهل تنتظرين شخصا آخر؟ ما الذى أعددته على العشاء؟".

أخذت تتشمم الرائحة وهى تفتح الباب، قائلة: " أعددت السلامون والهليون المسوى بالبخار وعصيدة دقيق الذرة".

تجهم وجهه وهو يخطو بالداخل، ثم استنشق الهواء جيدا وابتسم ابتسامة عريضة، قائلاً: " إنه اللحم. لابد أنك سوف ترجئين القائمة التى ذكرتها إلى وقت آخر".

خلع سترته ووضعها على الكرسى، قائلاً: "هذا قفل جديد؟".

أدركت أنه قد لاحظه.

"لقد وضعه لى السيد دروبر. أظن أنها مبالغة ولكننى سوف أحظى بنوم أعمق".

"و تلفاز؛ ها قد عدت إلى العالم".

"لقد قررت إدخال بعض التكنولوجيا".صبت له كوباً من العصير، ثم استدارت واستخرجت اللحم من الفرن ووضعته فوقه.

"تماما؛ مثلما كانت تفعل أمى".

"حقاً؟".

"كلا. إن أمى لا تجيد الطهى".

بشىء من السعادة؛ أخذت ريسى تنهى حشو المشروم، قائلة: "ما هى مهنتها؟".

"إنها طبيبة نفسية، لديها عيادة خاصة".

حاولت ريسى تجاهل تلك الغصة المفاجئة التى أصابت بطنها وركزت كل تفكيرها فى المشروم، قائلة: "حقا؟".

"كما أنها تعد المكرميات".

"تعد ماذا؟".

"تعد تلك الأشياء التى تصنع بعقد الحبال مع بعضها البعض. أتذكر أنها ذات مرة أعدت بها شقة صغيرة كاملة. إنها تعشقها".

زجت ريسى بالمشروم داخل الفرن وضبطت المؤقت، قائلة: "ووالدك؟".

"أبى يحب الشواء حتى فى فصل الشتاء. إنه أستاذ جامعى؛ متخصص فى اللغة الرومانية. البعض يظنون أنه رجل عتيق، أما هى فسيدة دؤوبة واجتماعية؛ هذا لأنه شخص حالم وخجول. ولكنهما يتفقان مع بعضهما البعض. هل لديك المزيد من هذا العصير؟".

"دقيقة واحدة". أعدت طبقاً من الزيتون، قائلة: "هل لديك أخوة؟".

"اثنان؛ أخ من كل طرف ".

"لطالما أردت أن يكون لى أخ أو أخت؛ شخص ما أتشاجر معه، أو أتحد معه ضد سلطة الوالدين. أنا طفلة وحيدة كما أن والدى ووالدتى كانا وحيدين أيضاً".

"هذا يعنى أنك كنت تحصلين على نصيب أكبر من لحم الديك

فى الغداء".

"أنت تبحث دائما عن الجانب المشرق. من بين الأسباب التى كانت تجعلنى أحب عملى لدى مانو أنه كان مكاناً يعج بالضوضاء والصخب والحركة. لم نكن كذلك فى المنزل. كانت جدتى لأمى سيدة رائعة. كانت هادئة ومحبة ومنصفة. كانت تحسن إلى كثيرا". رفعت يدها نصف رفعة وكأنها تشرب نخبها ثم شربت، قائلة: "لقد أثرت قلقها كثيرا على مدى العامين الماضيين".

"وهل تعلم أنك هنا؟".

"أجل، بالطبع، إننى أحادثها كل أسبوعين وأراسلها عبر البريد الإلكترونى بشكل منتظم. إن جدتى تحب البريد الإلكترونى بشكل خاص. إنها سيدة معاصرة". استدارت لكى تتفقد المشروم ثم وضعته تحت الشواء لكى يكتسب لونا، مستطردة: "طُلقت من جدى قبل أن أولد. لم أره، ثم بدأت تعمل فى مجال الديكور".

ألقت ريسى بشكل تلقائى نظرة على الشقة متناهية الصغر، قائلة: "سوف تصاب بالقشعريرة إن شاهدت المكان الذى أعيش فيه الآن. على أية حال هى تعشق السفر، وكان عليها أن تمتنع عن كثير مما تحب عمله لفترة طويلة عقب وفاة والدى فى حادث سيارة عندما كنت فى الخامسة عشرة من عمرى. ربتنى جدتى منذ ذلك الوقت. لم تكن تريد أن أترك بوسطن، ولكننى لم أستطع البقاء هناك".

"متزنة ومحبة ومنصفة. إنها ربما تريدك أن تكونى سعيدة أكثر من أن تبقى فى بوسطن".

تفكرت فى ذلك وهى تستخرج الطبق، قائلة: "أنت محق، ولكننى عشت فترة لا بأس بها من الشعور بالذنب على مدى الشهور الماضية. على أية حال لقد أقنعتها بأننى على ما يرام. هى فى برشلونة الآن؛ ذهبت للتسوق هناك".

أخرجت المشروم ورشته بجبن البارما ثم وضعته تحت الشواية، قائلة: "كان يمكن أن يكون مذاقها أفضل لو كان الجبن طازجا ولكننى لم أعثر عليه".

"لا بأس سوف أحاول أن أتناول واحدة أو اثنتين".

ما إن انتهت من تسويته؛ حتى وضعت ريسى المشروم فى الطبق بينهما فوق المنضدة، قائلة: "هذه هى أول مرة أعد فيها وجبة لأى شخص منذ عامين".

" ولكنك تطهين يوميا بالأسفل".

هزت رأسها، مفسرة: "هذا عملى. أعنى أول وجبة أعدها للمتعة. كل تلك الوجبات التى أطهوها بالأسفل لا تحسب. هذا اتفاق عمل. لقد افتقدت هذا؛ افتقدته إلى حد لم أكن أدركه إلا الليلة".

"أنا سيعد لأننى ساعدتك على استعادة هذا الشعور". التقط واحدة من المشروم ووضعها فى فمه، مضيفاً: "لذيذة".

التقطت واحدة هى الأخرى وابتسمت، قائلة: "أجل، هى كذلك".

لم يكن الأمر صعبا للغاية. إنه أسهل عليها من أن تخرج وتبحث عن نشاط تقضى فيه وقتها أو تختلق بعض الحوارات والأحاديث. يمكنها أن تسترخى هنا وتستمتع بإعداد التجهيزات الأخيرة للوجبة، وقد يكون من الممكن أيضا أن تسترخى وتستمتع بوقتها معه.

"سوف يكون من الأسهل مع هذا الإعداد أن أضع الطعام فى الطبق. فهل هذا يناسبك؟".

"بالطبع، لا تشغلى بالك بمثل هذه التفاصيل".

بينما كانت تقدم الطعام؛ صبت لكل منهما المزيد من العصير. كان قد لاحظ وجود الشموع ومناديل المائدة الأنيقة ومطحنة الفلفل. كان كل شىء جديداً مقارنة بآخر مرة جاء فيها إلى هنا.

كما لاحظ روايته على المائدة الصغيرة بجوار الفراش.

قرر فى نفسه؛ إنها بصدد الاستقرار هنا، وهو ما يعنى أن يتوقع عما قريب رؤية مزهرية وورود وبعض الصور على الجدار.

"لقد بدأت أقرأ روايتك". رفعت عينها لتنظر إليه بينما كان يتحدث فشعر بخفقة قوية فى قلبه.

لقد كانت عيناها جميلتين.

"وما رأيك فيها؟".

"تعجبنى". جاءت إلى المنضدة لتجلس بجواره؛ ثم فرشت المنديل على حجرها، قائلة: "إنها رواية مخيفة وهذا جيد، لأنها تصرف عقلى عن أعصابى. يعجبنى جاك؛ إنه مجنون. أتمنى ألا ينتهى به المآل داخل هذا القبر. فضلا عن أننى أظن أن لى سوف تسانده ".

"وهل هذا ما يفترض أن تفعله النساء؛ يساندن الرجال".

"من المفترض أن يساند الناس بعضهم بعضا عندما يكون هذا فى استطاعتهم وإن كانوا يهتمون لشأنهم بما يكفى. إنها تهتم بأمره. لذا أتمنى أن ينتهى بهما المآل إلى الارتباط ببعضهما البعض".

"لترفرف عليهما السعادة حتى آخر العمر".

"إن لم تنتصر العدالة ويسود الحب فى القصص الخيالية فما الهدف من وراء كتابتها إذن؟ يكفينا ما نلاقيه فى واقع الحياة".

"ولكن تلك القصص التى ترفرف فيها السعادة حتى آخر العمر لا تحصد الجوائز".

ضغطت شفتيها وهى تتفحصه، قائلة: "هل هذا ما تبحث عنه؟".

"لو كان هذا ما أريده؛ لواصلت عملى فى التريبيون. إن طهى اللحم فى مطعم صغير فى وومينج وإعداد شرائح اللحم الجاموسى لن يجعلك تحصدين أنت الأخرى على جائزة الطهى التى توازى هذه الجائزة الأدبية".

"لقد ظننت ذات مرة أننى أسعى وراء ذلك أيضا؛ وراء الجوائز المهمة والتقدير، ولكننى أفضل طهى اللحم البقرى". صمتت لدقيقة ثم قالت: "ما رأيك فى الطعام؟".

"سوف أمنحك جائزة". اقتطع قطعة أخرى ثم أتبعها بتناول قطعة بسكويت التهمها التهاما، مستطرداً: "من أين جئت بهذا البسكويت؟".

"لقد صنعته".

ضربته الصدمة بصدق، فقال: "بالدقيق؟".

"الدقيق هو أحد مكوناته فقط". وضعت الإناء أمامه حتى يأخذ المزيد.

"إنه أطيب كثيرا من شرائح البرجر والطعام السريع الذى يهيمن على الموقف فى منزلى".

"أتمنى ذلك، فأنا أعشق الطعام الراقى". قالتها عندما ابتسم إليها، ثم أضافت: "قاضينى إن كنت مخطئة؛ دعنى أخمن ما الذى تحتفظ به فى ثلاجتك. البيتزا المجمدة ومعلبات الحساء والشيلى ومعلبات الحبوب الغذائية وربما بعض المعلبات الأخرى؛ السوسيس وبعض الوجبات الجاهزة".

" ولكنك نسيت المكرونة والجبن".

"أجل، نعم؛ وصفة الرجل العازب، المعجنات المجففة ومسحوق الجبن. هذا سيئ".

"ولكنه يجعلنى أصلب جسدى".

"نعم؛ تماما مثل المعجون".

وضع قطعة بطاطس فى طبقه، قائلاً: "وهل ستشرفين على غذائى إذن أيتها النحيفة؟".

"حسناً؛ سوف أطعمك من آن إلى آخر، وهو ما سوف يعود بالفائدة على كل منا. يمكننى أن ـ". قاطعت نفسها وألقت شوكتها عندما جاءها صوت هدير سريع من الخارج.

قال برودى فى هدوء: "إنها شاحنة كارل".

"شاحنة كارل! إنه يفزعنى فى كل مرة. عليه أن يصلح هذه الشاحنة اللعينة".

"وهل تكتبين أنت أو أى شخص آخر هنا فى الفيست مثل هذه الأشياء؟".

"أية أشياء؟".

"وصفات الطعام".

"حسناً". قالتها وهى تجبر نفسها على التقاط شوكتها لكى تواصل تناول طعامها بالرغم من أنها كانت مازالت تشعر بغصة فى معدتها. " بالطبع؛ لقد كنت منظمة بل وحريصة بعض الشىء

حتى قبل أن ينقلب حالى. لدى الكثير والكثير من الوصفات على حاسبى. ولكن لماذا تسأل هل تسعى لمعرفة وصفة بسكويت الزبد؟".

"كلا؛ كنت فقط أتساءل لمَ لم تفكرى فى إعداد كتاب للطهى؟".

"كنت أفكر فى ذلك فى وقت ما عندما كنت أقدم فقرة غذائية فى أحد البرامج التلفزيونية". أضافت بابتسامة خاطفة: "كنت أعد وجبات سريعة ولذيذة تناسب مناسبات العشاء الشبابية ووجبات يوم الأحد التى تجمع بين الإفطار والغداء".

"ولكنك إن كنت تريدين فعل شىء فعليك أن تبادرى بفعله لا أن ترجئيه إلى وقت لاحق".

"ليس هناك أى برنامج تلفزيونى فى الأفق. إنه شىء لا يمكننى التحكم فيه".

"ولكننى أقصد كتابًا للطهى".

"كلا؛ لم أفكر فى هذا بالمرة ... أقصد". لمَ لا تعد كتاباً للطهى. إنها تملك مئات الوصفات كما أنها تذوقتها جميعا.

"ربما يمكننى بالفعل أن أفكر فى الأمر".

"إن كان لديك عرض جاهز، يمكننى أن أراسل وكيلى وأخطره بذلك إن أردت".

"ولكن ما الذى يدفعك إلى ذلك؟".

تناول آخر قطعة من اللحم فى طبقه، قائلاً: "إنه لحم رائع شهى. دعينى أوضح لك الأمر؛ لو أنك انتهيت من كتابة مسودة رواية؛ فما كنت لأقرؤها إلا تحت تهديد السلاح أو تحت إغراء أنوثتك. وتحت هذه الظروف، إن لم تكن الرواية سيئة للغاية، فإننى قد أعرضها على وكيل أعمالى لكى يلقى عليها نظرة. ولكن بما أننى تذوقت طعامك بنفسى؛ فيمكننى أن أقدم لك هذا العرض بدون تهديد السلاح أو إغراء أنوثتك. هذا يرجع إليك".

أجابت: "يبدو لى معقولا، ولكن قل لى كم مرة أرسلت مسودات روايات إلى وكلائك وأنت واقع تحت تأثير مثل هذه الظروف؟".

"ولا مرة واحدة. لقد تعرضت لهذا الأمر بضع مرات، ولكننى

نجحت فى الفرار فى كل مرة".

"وهل يجب أن أغريك إن قدمت لك عرضا لكى يقبله وكيلك؟".

هز رأسه كما لو كان السؤال غبياً، قائلاً: "حسنا؛ نعم على ما يبدو".

" بالطبع، سوف أفكر فى الأمر". استعادت استرخاءها ثانية وجلست حاملة كوبها،مستطردة: "سوف أتركك تواصل تناول الطعام، ولكن عليك أن تضع فى اعتبارك؛ أولاً: أننى وعدت السيد دروبر أننى سوف أرسل له البواقى؛ ثانيا: أنك يجب أن تترك ما يكفى من اللحم لكى تعود به إلى منزلك وتعد لنفسك الشطائر وثالثاً: يجب أن تبقى مساحة فى معدتك لتناول الحلوى".

ركز برودى على النقطة رقم واحد، قائلاً: "وكيف استحق ماك تناول البواقى؟".

"لأنه ركب لى قفل الباب. إنه لم يطلب منى أى أجر فى المقابل".

"إنه يعاملك بلطف زائد".

"و أنا أيضا، لمَ لم يتزوج إلى الآن؟".

أطلق برودى تنهيدة حزينة، قائلاً: "سؤال نسائى بحت، كنت أمل فيك ما هو أكثر من ذلك".

"أنت محق، هو بالفعل سؤال نسائى بحت، ولكننى كنت أود أن تكون لديه سيدة تعد له الطعام وتساعده فى عمله فى المتجر".

"ولكنك أعددت له اللحم على ما يبدو، كما أن ليون وفرانك العجوز يساعدانه فى المتجر. فضلا عن أن بيك يعمل لديه لجزء من الوقت عندما يكون بحاجة إليه".

"ولكن هذا لا يغنى عن شخص يشاركك عملك ويهتم بتقديم وجبه ساخنة شهية لك فى نهاية اليوم".

"سمعت أنه قد تعرض لصدمة فى حياته منذ ما يقرب من نصف قرن. كان بصدد الزواج من خطيبته، ولكنها هجرته فى يوم حفل الزفاف قبل دقائق من إتمام مراسم الزواج، وارتبطت بصديق له".

"حقاً، هذا لا يصدق".

"هذا ما سمعته، ربما أُضيفَ إلى القصة بعض عناصر التشويق لكى تبدو أكثر إثارة، ولكن الجوهر يبقى حقيقياً على حد تصورى".

" يالها من خائنة! لم تكن تستحقه".

"ولكنه على الأرجح نسى اسمها".

"بالطبع نسيه. لعلها الآن مع زوجها الرابع ولعلها أيضا تتناول أدوية مؤلمة لعلاج المضاعفات الناجمة عن ثالث عملية تجميل لشد وجهها".

"أنت وضيعة بعض الشىء. يعجبنى ذلك".

"هكذا أكون عندما يجرح أحدهم شخصاً أهتم بأمره. عندها أكون شريرة. إذن لمَ لا تقوم الآن وتستمتع بتناول عصيرك فوق الأريكة. سوف أنظف المكان هنا".

"عرفى كلمة (تنظيف)".

"راقب وتعلم".

"حسناً، ولكن المشهد أجمل من هنا. لقد شاهدت صورة لك منذ سنوات قليلة". عندما وجدها تحدق فيه، شرح لها، قائلاً: "وقرأت مقالات على الإنترنت أيضا فى الصحف والمجلات".

"ولم كنت تبحث عن مقالات عنى فى الإنترنت؟".

"كنت أبحث عن معرفة المزيد عنك تحديدا؛ إنه الفضول. كان شعرك أقل طولا ".

حملت ريسى الصحون ووضعتها فى الحوض، قائلة: "نعم، كنت أذهب إلى صالون التصفيف فى نيوبيرى. كان غالياً، ولكنه كان يستحق كل ما أدفعه فيه؛ هكذا بدا لى الأمر وقتها، ولكننى لم أتمكن من الذهاب إلى الصالون بعدها أبدا ...". استدارت وفتحت صنبور الماء ثم أضافت الصابون، مستطردة: "فتركت شعرى ينمو".

"شعر جميل".

"كنت أحب الذهاب إلى صالون التجميل؛ كنت أحب أن يحظى مظهرى بكل هذا الاهتمام الشخصى. كنت أجلس هناك وأحتسى

العصير أو القهوة أو الماء؛ أو أياً ما كانوا يقدمونه لى؛ ثم أخرج بعدها وأنا أشعر بالتجدد والإشراق. كانت هذه هى أحد الجوانب التى تجعلنى أحب أنوثتى".

استدارت بعيداً عن الحوض لكى تقسم بقايا الطعام نصفين داخل صندوقين كانت قد أحضرتهما من لدى جوانى، قائلة: "بعدما غادرت المستشفى؛ حجزت لى جدتى فى منتجع تجميل. حجزت لى تذكرة تصفيف شعر وعناية بالوجه وتدليك. كان الكل رقيقين ومرحبين، ولكننى شعرت بالذعر داخل غرفة تغيير الملابس. لم أتمكن من خلع قميصى لكى أرتدى الروب. فما كان منى إلا أن غادرت المكان".

حملت العلب لكى تضعها فى الثلاجة، مضيفة: "أما الشخص الذى كان يقوم بتصفيف شعرى والذى كنت أعرفه منذ سنوات، فهو رجل طيب القلب. عرض أن يأتى ليصفف شعرى فى المنزل؛ ولكننى لم أتمكن من ذلك".

"ولم لا؟".

"كان شعورى بالخزى طاغيا".

"ولكن هذا غباء".

"ربما، ولكنه كان شعوراً حقيقيا، وكنت أشعر أنه من الأسهل على أن أواجه الحرج بدلا من الخوف. إن الخوف المرضى من التواجد فى صالونات التجميل ليس أمرا خطيراً، ولكنه يتراكم".

"ربما يجدر بك أن تجربى ثانية".

من مكانها عند الحوض؛ رمته بنظرة من فوق كتفها، قائلة: "هل أبدو سيئة إلى هذا الحد؟".

"تبدين جيدة. أنت محظوظة بجيناتك الوراثية، ولكن من الغباء ألا تعيدى تجربة شيء كنت تستمتعين به".

محظوظة بجيناتى؛ فكرت فى العبارة وهى تضع الصحون فى مكان التجفيف. لم تكن مجاملة شاعرية، ومع ذلك أشعرتها بشيء من الرضا عن مظهرها وهو الشعور الذى كانت قد افتقدته منذ فترة طويلة.

"سوف أدون هذا فى قائمتى".

استدارت لكى تجفف يديها فى المنشفة فى الوقت الذى دفع فيه المقعد. لم تتراجع إلى الخلف؛ بالرغم من أنها فكرت فى ذلك. إن التراجع لن يجدى معه؛ ولكن الأهم من ذلك. فى رأيها. أنها لم تكن واثقة ما إن كنت تريد أن تتراجع بالفعل إلى الوراء.

التقط المنشفة من بين يديها ونحاها جانبا مما جعلها تجفل. كان يجب أن تترك مفرودة لكى تجف حتى لا ـ

وضع يديه على حافة الحوض من كلا الجانبين على نحو قريب الشبه بما فعله من قبل على غطاء السيارة، قائلاً: "ما الذى أعددته كحلوى؟".

"أعددت حلوى التفاح بالفانيليا والبوظة. تركته يسخن فى الفرن بينما كنا ...".

اقترب منها وطبع قبلة على جبينها فشعرت بتدفق الدم فى عروقها كما لو أنها أصيبت بصعق.

" يا إلهى!" قالتها بالكاد، ثم أضافت: "أشعر وكأن تلافيف عقلى قد تداخلت مع بعضها البعض. أشعر وكأنها احترقت وتصدر دخانا".

"ربما كان عليك أن تستلقى".

"كنت أود ذلك، ولكن دعنى أقل شيئاً أولاً. إننى غسلت الملاءات لكى تكون معدة فى حالة حدوث أى شىء".

لوى شفتيه وقال: "غسلت الملاءات؟!".

"شعرت أننى يجب أن أفعل ذلك، ولكن ... هل يمكنك أن تتراجع خطوة إلى الوراء؟ أنا عاجزة عن التقاط أنفاسى الآن".

تراجع إلى الوراء، قائلاً: "هل هذا أفضل؟".

"نعم وكلا ". لقد كان مثيرا؛ ولكنها بقيت متمسكة بانطباعها الأول عنه. لم يكن وسيما ولكنه كان طاغى الجاذبية. كان رجلاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. يدان كبيرتان وقدمان كبيرتان وجسد قوى.

"أريد أن أحبك، أريد أن أستعيد كل هذه المشاعر ثانية، ولكننى أرى أننى بحاجة إلى الانتظار إلى أن أصبح أكثر تأكدا وثقة مما أريده".

"ومنى أنا أيضاً".

"هذه هى أحد الجوانب التى تعجبنى فيك. أنت تفهم مقصدى. قد يكون هذا طبيعيا بالنسبة لك. قد يكون جيدا وربما رائعا. ولكنه يبقى طبيعياً. أما بالنسبة لى؛ فإن مثل هذه الحميمية سوف تكون شيئا جيدا. لذا أرى أنه يجب أن يكون كلانا متأكدا وواثقاً مما يريد؛ لأن هذا سوف يكبلك بحمل كبير".

"حسناً. أنت لن تمارسى الحب معى من أجل مصلحتى".

"إلى حد ما".

"هذا لطُف بالغ منك. ما هى حلوى التفاح هذه بحق الله؟".

"من؟ آه. انتظر". انتظرت لدقيقة وأغمضت عينيها إلى أن استعادت توازنها ثانية، قائلة: "إنها حلوى شهية. هيا اذهب واجلس وانتظر دقيقة وسوف أثبت لك. هل تريد تناول القهوة؟".

"ألديك قهوة؟".

"فى الواقع ...". اتخذت خطوة جانبية لتجنب التواصل معه ثانية ثم التقطت ترموساً كانت قد وضعته على المنضدة، قائلة: "لقد حصلت على بعض القهوة من الدور السفلى".

"إذن لديك قهوة".

رأت. للمرة الأولى. الدهشة على وجهه، فقالت: "قهوة خفيفة. ملعقة سكر واحدة؛ أليس كذلك؟".

"أجل. شكراً".

أعدت الحلوى وقدمتها له فى مكان المعيشة، قائلة: "إنها نهاية لطيفة للوجبة".

تناول أول ملعقة،معلقاً: "أين كان كل هذا طوال حياتى؟".

"لقد تعلمت إعداد هذا لأبى. كان هذا هو طعامه المفضل".

"إنه رجل ذواق".

ابتسمت وأخذت تلهو بطبق الحلوى الذى كانت قد أعدته لنفسها، قائلة: "أنت لم تذكر شيئا بالمرة عن ... لست واثقة ما الذى يمكن أن أطلقه عليها".

"أظن أن العبارة المناسبة هى جريمة القتل".

"أجل؛ هى عبارة عن جريمة قتل. من بين ما ذكره المأمور أننى

أخطأت تحديد المكان وأن المرأة لم تكن ميتة. ربما شاهدت شخصين يتشاجران، ولكنها لم تكن جريمة قتل، وهو ما يفسر عدم تلقى أية بلاغات بمفقودين".

"وأنت لا تتفقين معه".

"لا أتفق معه فى شىء. أعلم ما رأيته وأعلم أين رأيته. ربما لم يتم الإبلاغ عنها لأنها لم تكن تهم أى أحد. أو ربما لأنها كانت. ربما. من فرنسا".

ابتسم برودى فى هذه المرة، قائلاً: "أياً كان المكان الذى جاءت منه؛ فمن المرجح أن يكون قد شاهدها أى شخص، وهى تشترى الغاز أو المستلزمات أو فى مخيم أو فندق. إلى أى مدى يمكنك وصفها؟".

"لقد سبق ووصفتها".

"كلا. أقصد، هل يمكنك وصفها لرسام؟".

"مثل أولئك المتخصصين فى مجال الشرطة".

"إن أنجيل فيست لم تصل إلى هذا الحد من التطور، ولكننى أعرف رسامين. لقد كنت أفكر فى دوك".

"دوك؟".

"إنه يرسم بالفحم. إنها إحدى هواياته، ولكنه بارع".

"سوف يكون الهدف هو وصف ضحية جريمة قتل، وليس إجراء فحص طبى، أليس كذلك؟".

رفع برودى كتفيه إلى أعلى، قائلاً: "إن لم تكونى واثقة فيه؛ يمكننا أن نبحث عن شخص آخر".

أومأت عندما تجهم برودى، قائلة: "إننى أثق بك، أرأيت؟ لقد سبق وأخبرتك بذلك، لذا أنا على أتم استعداد لأن أجرى هذه التجربة مع الدكتور والاس إن صحبتنى".

كان قد خطط للذهاب معها بالفعل. لم يكن بوسعه أن يفوت أية زاوية من زوايا الحادث؛ ولكنه واصل تجهمه وهو يتناول المزيد من الحلوى، قائلاً: "هل تريدين أن أصحبك إليه، وما الذى سوف تمنحيننى إياه فى المقابل هذه المرة؟ إننى أفكر فى شىء يتفق مع الزجاجة البيضاء التى تضعينها فى الثلاجة".

"الأحد يوم عطلتى. سوف أعد قائمة الطعام".

انتهى من تناول آخر قطعة من الحلوى، قائلاً: "وأنا أثق بك؛ سوف أتصل بـ دوك".

١٢

سألت ليندا وهى تضع الأطباق المتسخة على المنضدة لـ بيتى وتدق على مرفق ريسى: "إذن كيف سارت الأمور؟".

"أية أمور؟".

"موعدك مع برودى ليلة أمس".

قلبت ريسى شرائح البرجر التى كانت تسويها على الشواية لمائدة تضم بعض المراهقين جاءوا إلى المطعم بعد موعد المدرسة. "لقد دعوته على العشاء فحسب. كان هذا مقابل خدمة أسداها لى".

أدارت ليندا عينيها ونظرت إلى بيتى،قائلة: "عشاء فقط، وهل

تريدين إقناعى بأن الأمر لم يتعد هذا الحد؟".

قال بيتى وهو يضع الصحون فى الحوض: "إنها تحبنى أنا. إن الأمر خارج عن إرادتها".

"هذا صحيح. إننى أحاول جاهدة أن أتصدى لمشاعرى فى كل نوبة عمل لى هنا".

قالت ليندا: "لقد اشتريت الشموع ومناديل مائدة".

لم تكن ريسى تدرى أتضحك أم تتذمر وهى تقول: "يا إلهى! ألا تخفى عنكم خافية فى هذه البلدة؟".

"ليس هناك شىء لا أستطيع أنا أن أكشف عنه. هيا احك لى عن بعض الرومانسية. لقد كانت حياتى العاطفية جدباء مؤخرا تماما مثل فروة رأس بيتى".

"احذرى! إن فروة رأسى فى فترة استراحة فقط بين موسمين". ثم مرر بيتى يده على ما تبقى له من شعر، مستطرداً: "أشعر أنها قد بدأت تنبت من جديد؛ وسرعان ما سوف يظهر الشعر عما قريب".

سألتها ليندا: "هل أنت بحاجة إلى بعض المخصبات؟ هل يجيد التقبيل؟".

"بيتى! إنه مدهش. أنا لعبة فى يده. لقد انتهيت من إعداد الطلب" قالتها ريسى عندما انتهت من وضع البرجر والبطاطس وقطع سلاطة الكرنب التى كانت تعرف مسبقا أنها سوف تؤول إلى سلة المهملات على يد زمرة أبناء المدرسة.

حملت ليندا الأطباق نحو الخارج، قائلة: "سوف أعرف كل ما حدث منك إن عاجلا أم آجلاً".

قال بيتى معلنا: "أنا أجيد التقبيل بالفعل، فقط من أجل العلم".

"لم أشك يوما فى ذلك".

"إن الرجال أمثالى - تعلمين مثلى - يجيدون مثل هذه الأشياء. فنحن ... اللعنة".

حدقت ريسى لأعلى بحركة استعراضية، قائلة: "لا أظن فى الواقع أننى يمكن أن أهدر وقتى الآن فى مثل هذه الأشياء".

وعندها شعرت بالاضطراب والتوتر يجتاح كل جسدها. كانت الدماء تتدفق من يد بيتى الذى كان قد أمسك بكلتا يديه بينما كانت الدماء تتناثر على الأرض عند قدميه.

"كان عليك أن تخبرينى أن أنتبه وأنا أضع يدى فى الحوض؛ اللعنة. لقد جرحت يدى. انتبهى؛ انتبهى؛ انتبهى".

سمعت بيتى يصيح وكأنه يقف على قمة جبل وهى فى بطن الوادى، ثم تحول صياحه إلى صراخ وضوضاء ثم صمت.

أعادها اللطم السريع على خديها إلى وعيها ثانية. عندما رأت وجه جوانى أمامها، شعرت بالغثيان، فقالت: "هناك دماء".

"هل هى بخير؟ يا إلهى يا جوانى! لقد سقطت بشدة. لم أتمكن من الوصول إليها. هل هى بخير؟".

"كف عن الصياح فى وجهى يا بيتى؛ إنها بخير"، ولكن جوانى كانت قد بدأت بالفعل تمرر يدها على مؤخرة رأس ريسى بحثا عن أية نتوءات. "هيا اذهب إلى دوك، واطلب منه أن يخيط لك هذا الجرح".

"ولكننى فقط أريد أن أتأكد من أنها بخير. قد تكون قد تعرضت لارتجاج أو شىء من هذا القبيل".

سألت جوانى ريسى: "كم إصبع ترين؟".

"اثنان".

"حسناً، هى بخير. والآن اذهب لعلاج يدك. هل يمكنك الجلوس يا فتاة؟".

أخذت تقاوم الغثيان والارتجاف؛ ثم جلست على أرضية المطبخ: "أجل يا بيتى هل الأمر سيئ ؟ أعنى يديك؟".

"كلا؛ سوف يخيط لى الطبيب الجرح فى الحال".

كان قد لف قطعة قماش حولها، ولكن ريسى رأتها وهى تفيض بالدماء. "أنا آسفة".

"إنه خطئى. عليك أن تهدئى الآن". ربت على كتف ريسى بيد حانية قبل أن يمضى فى طريقه.

"أنت مصابة بشىء من التورم فى مؤخرة رأسك هنا. سوف أحضر لك بعض الثلج".

قالت ريسى وهى تلتقط أصابع جوانى: "لا بأس، أنا فقط أريد أن أستعيد أنفاسى. يجب أن يذهب أحد مع بيتى. إنه جرح غائر".

نهضت جوانى، قائلة: "اثبتى فى مكانك لدقيقة، أنت يا تود! أوصل بيتى بسيارتك إلى دوك. بقى خمس دقائق لحين إعداد طلبك". ثم استدارت جهة ريسى، مستطردة: "هل أنت راضية؟".

"هناك دماء".

"أستطيع أن أرى هذا. إن يده يجب أن تنزف بعدما تعرضت للقطع بسكين. هذا كل ما فى الأمر. إن مثل هذه الحوادث تقع دائما فى المطابخ".

قالت ليندا وهى تخطو داخل المطبخ: "سوف أنظف المكان يا جوانى. سوف تتولى جوانيتا الموائد بالخارج".

بدون أن تجيب بكلمة؛ أحضرت جوانى حقيبة ثلج من المبرد ولفتها بقطعة قماش رفيعة، قائلة لريسى فى لهجة آمرة: "ضعى هذا على الورم. وما إن تتمكنى من الوقوف على قدميك؛ يمكنك أن تصعدى إلى أعلى. سوف أتولى نوبتك اليوم".

"كلا؛ أنا على ما يرام. يمكننى أن أعمل. بل إننى أفضل مواصلة العمل".

"حسنا. قفى على قدميك إذن ودعينى أتأكد من مدى ثباتك. أيتها الشاحبة الميتة". أضافت جوانى عندما وجدت ريسى تتشبث بالمنضدة وكأنها على وشك السقوط ثانية: "خذى فترة استراحة؛ تنفسى بعض الهواء؛ تناولى بعض الماء". ثم دفعت زجاجة ماء فى يدها، قائلة: "عندما تستعيدين بعض النضارة فى وجهك، يمكنك مواصلة العمل".

"يكفينى الهواء. شكرا لك".

عندما هزت جوانى رأسها؛ أومأت ليندا وتبعت ريسى إلى مؤخرة المطعم.

سألت ريسى: "هل تودين الجلوس؟".

"كلا؛ فقط أريد أن أستريح هنا لدقيقة. لا تشغلى نفسك بى. أنا فقط أشعر بشىء من الاضطراب والكثير من الغباء".

كما أنك ترتجفين؛ هكذا فكرت ليندا وهى تستعيد زجاجة الماء

من يد ريسى المرتعدة وفتحتها لها بنفسها، قائلة: "إن العناكب تصيبنى بمثل هذه الحالة، ليس العناكب الكبيرة فحسب؛ تعلمين هذا النوع الذى يمكن أن يحمل قطا كبيرا إن أراد وإنما أيضا العناكب متناهية الصغر؛ إنها تثير فزعى هى الأخرى. بل إننى ذات مرة خرجت أعدو من الغرفة وارتطم وجهى بالجدار فقط لأننى رأيت عنكبوتا. ضعى كيس الثلج على رأسك كما قالت جوانى، وإلا فسوف تصابين بنوبة صداع عصيبة".

"أظن أننى كذلك. ولكن بيتى ...".

"إن الإغماء الذى أصابك أخاف بيتى حتى أنساه الجرح الذى أصاب يده. إذن لقد أسديت له خدمة".

"خدمة جيدة".

"كما أن جوانى تشعر بالقلق عليكما مما أنساها أنها يجب أن تبحث عن شخص يحل محل بيتى إلى أن يلتئم جرحه. إذن هما خدمتان جيدتان".

"وأنا السبب".

"هل تودين الخروج فى وقت لاحق لكى نشرب نخب خدماتك الجيدة؟".

تناولت ريسى جرعة ماء بارد أخرى، قائلة: "أجل".

لم يكن البوفيه المفتوح المقدم فى كلانسى سيئا؛ على الأقل لم يكن يحتوى على الجعة؛ ولكن الأهم من ذلك بالنسبة لريسى أنها كانت قد اتخذت خطوة أخرى فى هذه الرحلة.

كانت تتناول الطعام فى مكان خارجى بصحبة صديقة.

كان مطعماً مفتوحاً غريبا؛ بالنسبة لخلفيتها الوافدة من شرق البلاد.

كانت هناك جوائز معلقة على الجدران؛ رءوس لدببة الجبال والموظ والظبى فضلا عن الإبل الأذانى التى كانت تزين الكسوة الخشبية التى كانت تغطى الجدار وحيوان السلامون وهو ما تعرفت عليه ليندا. كانت كل هذه الرءوس تحدق فيها عندما دخلت

مما أصابها بشىء من الصدمة والقليل من الضيق.

بدا لها الجدار المغطى بألواح الخشب عتيقا ومشرباً بالكثير من الدخان والشراب.

كانت الأرضية مغطاة بالبقع جراء تساقط المشروبات عليها بمرور الوقت. كان هناك جزء من المكان . أمام مسرح منخفض . مخصص للرقص.

أما مكان إعداد المشروبات نفسه فقد كان كبيرا وأسود، وكان مايكل كلانسى يشرف عليه. كان مايكل كلانسى قد جاء إلى وومينج مباشرة من (كنترى كورك) منذ ما يقرب من اثنى عشر عاما مضت. تزوج من سيدة كانت تزعم بأنها تنتمى فى جزء من أصولها إلى الـ شيروكى وتطلق على نفسها اسم رينى. كان كلانسى يبدو تماما كما يجب أن يكون؛ كان رجلا ضخما قوياً؛ أيرلنديا. كانت رينى تعد البطاطس وأياً ما كان يحلو لها فى المطبخ.

كانت مقاعد الملهى متهالكة جراء استعمالها على مدى اثنى عشر عاما. كانت القائمة تضم أنواع المشروبات المختلفة.

وكانت هناك موائد للعب فى قسم آخر، وكان صوت الكرات وهى ترتطم ببعضها البعض يتداخل مع صوت الموسيقى المنبعثة من السماعات.

سألتها ليندا: "كيف حال رأسك؟".

"مازال فوق كتفى، ولكن حالته على الأرجح أفضل كثيرا من حالة يد بيتى".

"سبع غرز. يا إلهى! ولكنه أحب الطريقة التى هرعت بها إليه لدى عودته وحينما أجلسته وقدمت له الطعام بنفسك".

"إنه رجل طيب".

"أجل؛ هو كذلك. وبما أننا تطرقنا إلى الحديث عن الرجال؛ أريدك الآن أن تحكى لى إلى أى مدى ترين برودى مثيرا؟".

إن كانت بصدد اكتساب صداقتها فسوف تتصرف من هذا المنطلق؛ هكذا قررت ريسى. مالت نحوها وأجابتها: "إنه بركان".

"كنت أعلم ذلك!" قالتها ليندا وهى تطرق المائدة بقبضة يدها، ثم أضافت: "يمكنك أن تعرفى ذلك بمجرد النظر إليه. عيناه؛

فمه. أعنى؛ بنيته بالكامل وفمه خاصة. إنه فم جذاب".

"هو كذلك. على أن أقر؛ هو كذلك".

"وهل هناك جوانب أخرى فيه تجدينها جذابة؟".

"هذا هو كل ما أعرفه إلى الآن ولكننى أفكر بشأن الباقى".

بفم مفتوح عن آخره وعينين متسعتين؛ تراجعت ليندا فى جلستها وقالت: " تملكين قوة تحكم خارقة. هل هى مكتسبة أم موروثة؟".

"يمكنك أن تقولى إنها نتاج خوف مرضى. أنت تعلمين الآن كل شىء عنى".

شعرت أنهما بحاجة إلى لحظة صمت فارتشفت شرابها واستطردت: "وهل هذا يزعجك؟".

"لا أدرى. أحيانا وأحيانا يكون مريحا".

"لا أعلم ما إن كان على أن أقول شيئا أم ألتزم الصمت. وخاصة بعد ما قالته جوانى ...". قطعت حديثها وركزت باهتمام حقيقى على الشراب.

"ما الذى قالته جوانى؟".

"ليس من المفترض أن أخبرك بما قالته؛ ولكن بما أننى قد أشرت إلى الأمر بالفعل؛ أعنى رغما عنى، فقد أثارت هذا الأمر عندما بدأت جوانيتا تثرثر فيه. إن جوانيتا لا تقصد شيئا من وراء ما قالته وإنما هى فقط لا تستطيع أن تبقى فمها مغلقا أو سترتها على جسدها".

احتست ليندا رشفة أخرى من شرابها، قائلة: "على أية حال، لقد رفضت جوانى أن تصغى لما قيل، وقالت لنا بمنتهى الوضوح والصرامة إن أياً منا لا يجب أن يزعجك بهذا الأمر، ولكن بما أنك قد نوهت بشكل ما إلى ...".

"لا بأس"، ألم يكن من المدهش أن تتضامن جوانى معها بتلك الحميمية معها؟ فأضافت: "ولكننى فقط لا أحب أن أتحدث فى هذا".

قالت وهى تمد يدها وتربت على ريسى: "أنا لا ألومك، لا ألومك بالمرة. فلو أننى مررت بشىء من هذا القبيل لبقيت منطوية

على نفسى فى الزاوية فى حالة صدمة".

" كلا؛ لن تفعلى هذا، ولكن شكرا".

"إذن؛ سوف نتحدث فقط عن الرجال والحب والطعام والأحذية، وكل تلك الأشياء المعتادة".

قالت ريسى وهى تمد يدها لتلتقط المزيد من المقبلات.: "اتفقنا، أما بالنسبة للطعام؛ فيجب أن تعلمى أن ما قدم إلينا هنا ليس له أية علاقة بالمرة بالجبن الحقيقى".

قالت ليندا وهى تعبث بشرائح البرتقال: "أما البرتقال فممتاز، ولكن إن تطرقنا إلى الرجال فسوف أتزوج لو".

أسقطت ريسى الطعام فى طبقها مما أحدث صوتا، قائلة: "يا إلهى؛ لا أصدق! هذا رائع، لم تكن لدى أية فكرة".

قالت ليندا وهى تتناول طعامها: "ولا هو أيضاً، كما أننى أظن أننى سوف أحتاج للمزيد من الوقت والجهد إلى أن أهذبه ليصبح شخصا جديرًا بأن أتزوج به، ولكننى أجيد تنفيذ المشروعات".

" إذن، هذا يعنى أنك تحبينه".

رق وجهها الجميل وازدادت الغمازة التى فى وجهها عمقاً: "أحببته طوال حياتى، منذ أن كنت فى العاشرة. هو يحبنى أيضا، ولكنه يواجه هذه الحقيقة بالهروب إلى الجانب المقابل ومطاردة كل أنثى تقع عليها عينه حتى لا يفكر فى الأمر. ولكننى سوف أجعله يقلع عن ذلك. إنها مسألة وقت".

"حسناً، إنها خطة بارعة يا ليندا".

"ولكننى أصبحت ضيقة الأفق قليلاً هذه الأيام".

"لم يحدث أى شىء بيننا ... إن كنت تريدين أن تعرفى".

" أعرف، ولكننى لم أكن لأحمل لك أية ضغينة لو حدث، أو بمعنى أدق لم أكن لأحمل لك الكثير من الضغينة. فأنا وجوانيتا تجمعنا علاقة طيبة بالرغم من أنه كان يواعدها منذ فترة. ولكن ثانية؛ ومن الذى لم يواعده؟". أطلقت ضحكة، ثم أضافت: "ولكننى لم أكن لأدعوك على حسابى فى هذا المكان لو حدث شىء بينكما. لقد كانت تربطنا علاقة عندما كنا فى السادسة عشرة ولكننا لم نكن على استعداد لأية علاقة جادة. وهل يمكن إقامة

علاقة جادة فى السادسة عشرة؟".

"ولكنكما كبرتما الآن".

"أجل بالفعل. وعليه أن يفهم ذلك، ولكن برودى لم يواعد أحدا هنا فى فيست إن كنت تريدين معرفة ذلك. يقولون إنه كان يواعد سيدة تعمل محامية لدى جاكسون من آن إلى آخر منذ فترة، كما قيل إنه يواعد سائحة أو اثنتين ولكنه لم يواعد أحدا من السكان هنا".

"أظن أنه يسرنى سماع ذلك. لست واثقة مما يدور بيننا الآن حقا، باستثناء أن هناك بعض الحرارة".

"الحرارة هى بداية جيدة. باعتبارك طاهية؛ يجب أن تعرفى ذلك جيداً".

"لقد مضى وقت طويل"، قالتها ريسى وهى تعبث بإهمال فى نهايات شعرها وتراقب ليندا جيل وهى تفعل نفس الشىء، ثم أضافت: "أين تصففين شعرك؟".

"عندما أكون على عجل أم عندما أريد أن أجذب الأنظار؟".

"لا يمكننى جذب الأنظار".

"بل يمكنك يا ريسى، ما رأيك بأن نقنع جوانى بأن تمنحنا عطلتنا فى يوم واحد لكى أصحبك إلى صالون تصفيف الشعر؟".

"حسنا، ولكننى فى آخر مرة حاولت أن ألتزم فيها بموعد التصفيف؛ هربت من الصالون كالفأر".

قالت ليندا وهى تمتص شريحة البرتقال وتبتسم: "لا مشكلة سوف أحضر حبلا".

عندما ابتسمت ريسى، اعتلى أحد رعاة البقر من السكان المحليين خشبة المسرح. كان طوله يقارب ست أقدام وكان يرتدى حذاءً مرتفعاً وبنطالاً من الجينز باهت اللون. أما الدائرة البيضاء المرتسمة على جيبه الخلفى فقد كانت . كما علمت ريسى . جراء حمله علبة نشوق.

سألت ريسى وهو يلتقط مكبر الصوت: "إنه وقت التسرية؟".

قالت ليندا وهى ترفع كوبها جهة المسرح: "هذا يعتمد على مدى تقييمك للتسرية كل ليلة فى كلانسى. هذا هو روبين جيتز

إنه يعمل مع لو".

"قهوة سوداء وبيض ولحم وبطاطس محمرة. هذا هو إفطاره المعتاد صباح الأحد".

"إذن أنت تعرفينه. إنه جيد".

كان صاحب صوت قوى عميق، كما بدا من الواضح أنه صاحب شعبية كبيرة عندما بدأ الصفير والتصفيق يتعالى حين بدأ يشدو بأغنية (روبى).

بينما كانت تصغى إليه وهو يشدو بأغنية عن امرأة خائنة حاولت أن تتصوره وهو يقف على ضفة النهر فى سترة سوداء وقبعة صيد برتقالية.

فكرت أنه يمكن أن يكون هو. إنه صاحب يد قوية كما أنه يتمتع برباطة جأش تبدو واضحة هنا وهو يقف ويغنى.

كما يمكن أن يكون هذا الرجل أيضا؛ هذا الرجل الذى تعد له البيض والبطاطس صباح الأحد، أو قد يكون أى رجل من الرجال الجالسين هنا؛ أى شخص منهم يمكن أن يكون هو القاتل؛ أى شخص منهم . فكرت ثانية بينما بدأ الرعب يزحف إلى جسدها ويقبض على حلقها.

علت الموسيقى وأبحر الصوت الجهورى عبرها. تواصلت الأحاديث ولكنها خبت احتراما للمغنى. كانت الكؤوس تطرق الخشب والكراسى تحك الأرض.

ولكن الخوف الزاحف بدأ يتمكن منها ويسد مجرى الهواء.

رأت وجه ليندا؛ رأت فمها يتحرك؛ ولكن التوتر والقلق صم أذنيها. أجبرت نفسها على التقاط نفس ثم آخر. "ماذا؟ آسفة؛ لا أسمعك ...".

"هل أنت بخير؟ لقد شحب وجهك. هل رأسك يؤلمك؟".

أجبرت ريسى نفسها على النظر ثانية نحو المسرح، قائلة: "كلا؛ كلا؛ أنا على ما يرام، ولكننى مازلت أجد صعوبة فى التواجد فى مكان مزدحم صاخب؛ على ما أظن".

"هل تودين الخروج من هنا؟ ليس من الضرورى أن نبقى".

فى كل مرة كانت تهرب فيها؛ تتراجع خطوة إلى الخلف، وها

هو تراجع آخر، فقالت: "كلا؛ كلا؛ أنا بخير. هل فعلت ذلك من قبل؟".

استرقت ليندا نظرة إلى المسرح بينما كان روبين ينهى أغنيته بتصفيق حار، قائلة: "بالطبع. هل تودين ذلك؟".

"كلا، ولا مقابل مليون دولار. حسناً؛ نصف مليون". اعتلى رجل آخر المسرح وبما أنه فى قرابة الثانية والستين وطوله لا يتعدى خمس أقدام وثمانى بوصات، فقد قررت ريسى أن تشطبه من القائمة.

و لكنه فاجأها بصوته العذب وهو يغنى، فقالت: "ولكننى لا أعرفه ".

"إنه (تى. بى. أنجر). يدرس فى المدرسة الثانوية. (تى. بى.) هو اختصار كلمة (تيدى بير). وها هى زوجته أرلين التى تجلس هناك. تلك السمراء صاحبة القميص الأبيض. إنهم لا يذهبون إلى جوانى كثيرا؛ يفضلون البقاء فى المنزل؛ لديهم اثنان من الأبناء؛ ولكنهم يحضرون إلى كلانسى حتى يمارس الغناء؛ مرة أسبوعيا. أرلين تعمل فى المدرسة هى الأخرى؛ فى الكافيتريا. إنهما طيبان للغاية".

لقد شعرت ريسى بالفعل أنه يشدو بكل كلمة وهو ينظر فى عينى زوجته.

ذكرت نفسها بأنه مازالت هناك مشاعر رقيقة فى العالم؛ الحب والطيبة. كان من الجيد أن تصبح جزءاً من كل هذا ثانية؛ أن تشعر به ثانية.

كان العرض الأخير مثيرا للمرح؛ حيث اعتلت خشبة المسرح هذه المرة سيدة شقراء ذات أذن صغيرة، والكثير من حس السخرية من النفس وانطلقت تشدو أغنية لـ (دولى باترون).

غنت لساعة كاملة وحازت إعجاباً باهراً.

عندما سارت ريسى فى طريق العودة إلى شقتها فى الشوارع الهادئة؛ شعرت بشبه أمان كامل؛ شبه ارتياح كامل. كانت قد اقتربت من هذه المشاعر أكثر من أى وقت مضى.

وعندما فتحت باب شقتها؛ شعرت وكأنها قد عادت إلى ما يشبه

منزلها.

بعدما أغلقت الباب وتفقدت القفل ووضعت الكرسى تحته؛ ذهبت لتغتسل.

وعلى عتبة حمامها الصغير؛ تجمدت فى مكانها. لم تجد أى أداة من أدوات تجميلها على الرف الضيق بجوار الحوض. أغمضت عينيها بعنف؛ ولكنها عندما فتحتهما ثانية بقى الرف خاويا. فتحت خزانة الأدوية حيث تضع الأدوية ومعجون الأسنان. كانت أيضا خاوية.

وبشىء من الضيق أخذت تدور فى الغرفة بحثا عن مقتنياتها. كان فراشها معدا بعناية مثلما تركته فى الصباح. والغلاية تبرق فوق المدفأة؛ ولكن السترة المزودة بغطاء للرأس التى كانت تعلم أنها تركتها على المشجب كانت قد اختفت.

وعند مؤخرة السرير وليس تحته وجدت معدات التخييم.

ارتدعت ساقاها وهى تمر فوقها وتحولت دهشتها إلى صيحة بكاء عندما فتحت السحاب لتجد كل ملابسها موضوعة بعناية بداخلها.

وجدت كل شىء حملته معها؛ كل شىء وجدته فى حقيبة التخييم. كل شىء؛ مطو بعناية، وكأنها على أهبة الرحيل

من الذى يمكنه أن يفعل ذلك؟

استسلمت لاضطراب ساقيها وأجلست نفسها على جانب الفراش، وواجهت الحقيقة. لا أحد يستطيع. لا أحد يستطيع فى وجود القفل الجديد.

لابد أنها هى التى فعلت هذا. لابد أنها هى. لابد أنه حدسها الداخلى الذى دفعها إلى ذلك؛ بعض بقايا الانهيار الذى كان قد أصابها. إنه الحدس الذى يريدها أن تهرب؛ ترحل؛ تنتقل إلى مكان آخر.

و لكن لم لا تتذكر كل هذا؟

إنها ليست المرة الأولى؛ هكذا ذكرت نفسها. أسقطت رأسها بين يديها. ليست المرة الأولى التى تفقد فيها الشعور بالوقت أو تعجز عن تذكر شىء ما.

ولكن ... لقد مرت شهور على مثل هذه النوبات التى كانت تصيبها.

فكرت وهى تقاوم شعورها باليأس؛ كدت أشعر أننى فى بيتى، بل إننى تركت نفسى تصدق أننى فى بيتى؛ ولكن هذا الجزء الخفى العميق فى نفسها كان يعلم أنه أبعد ما يكون عن ذلك.

ربما عليها أن تصغى لهذا الصوت. ربما عليها أن تحمل حقيبتها وترحل من هنا؛ تركب سيارته وتقودها. إلى أى مكان.

ولكنها إن فعلت؛ فسوف تنتقل إلى مكان آخر لن تستقر فيه. لديها مكان هنا؛ يمكن أن تلوذ به. لديها صديق هنا تواعده ولديها صديقة تسهر معها، لديها عمل ومنزل، لديها . إن حرصت عليها . هوية هنا فى هذا المكان.

أعادت كل مقتنياتها . الملابس ومعجون الأسنان والزجاجات والأحذية . إلى مكانها. بالرغم من أنها كانت تشعر باضطراب فى معدتها فقد أدارت حاسوبها المحمول، ولفت نفسها بغطاء فى محاولة للتصدى للبرودة التى كانت تجتاحها من الداخل؛ ثم جلست لتكتب.

لم أهرب، لقد طهوت اليوم وحصلت على أجرى المستحق. وجرح بيتى يده وهو يغسل الصحون وقد أصابتنى الدماء بصدمة. أصبت بإغماء ولكننى لم أهرب.

وبعد انتهاء العمل؛ ذهبت إلى كلانسى مع ليندا. تحدثنا عن الرجال؛ عن الشعر؛ عن الأشياء العادية التى تتداولها النساء. إن الجدران هناك مغطاة برءوس الحيوانات الميتة؛ الظباء والموظ والغزلان وحتى الدببة. الناس هناك يغنون؛ معظمهم من أهل البلدة؛ وتتفاوت مواهبهم. شعرت ببوادر نوبة فزع، ولكننى لم أهرب وشعرت أننى تحسنت. لدى صديقة هنا فى فيست. أكثر من صديق فى واقع الأمر ولكن ليس لدى صديقة حميمة.

فى وقت ما؛ اليوم؛ حزمت مقتنياتى ولكننى لا أذكر أننى فعلت ذلك. ربما فعلت ذلك فى فترة الاستراحة بعدما جرح

بيتى يده. ربما. الدماء؛ ورؤية الدماء أصابتنى بصدمة، وأعادت إلى ذكرى ما وقع فى مطعم مانو. لذا شعرت للحظة أننى أرى دماء جينى وليس بيتى.

و لكننى أعدت كل شىء إلى مكانه. سوف أذهب غدا للقاء دوك والاس لكى أصف. بقدر ما أستطيع. الرجل والمرأة اللذين رأيتهما على ضفة النهر، لأننى رأيتهما؛ رأيت ما فعله بها.

لم أهرب اليوم. ولن أهرب غدا

١٣

أعد دوك والاس الشاى والقهوة فى أوانى تقديم فخارية جميلة الشكل كما أعد قطع البسكويت فى آنية باللون الأخضر الفاتح.

أعد كل هذا وسط مجموعة من الأطر التى تضم الصور العائلية والوسائد المبعثرة هنا وهناك التى أضفت جوًا من الدفء والحميمية.

إن كان قد كبد نفسه مشقة إضفاء هذه اللمسات الدافئة لكى يشعر ريسى بجو من الاسترخاء؛ فقد أفلح بلا شك. فقد وجدت ريسى نفسها مفتونة بكل ما حولها بدلا من أن يستحوذ عليها القلق وهى جالسة أمام المبخرة المشتعلة التى كانت تشيع رائحة

زهور الجردينيا فى الهواء.

شعرت للوهلة الأولى أنه رجل باعث على الراحة والاطمئنان ثم جاء انطباعها الثانى عنه أنه رجل مدرب بشكل جيد.

لم تكن الجدران هنا مغطاة برءوس الحيوانات؛ لم تكن الأضواء مباشرة أو قوية؛ كما كان الفرش من الطراز الهندى. بالرغم من أنها كانت تعلم أنه يحب الصيد إلا أنها لم تجد رأس حيوان مدلى على الحائط وإنما مرآة بيضاوية جميلة ذات إطار خشبى.

إن هذه اللسمات كانت ستعجب جدتها بلا شك.

بل إنها فكرت أن الغرفة يمكن ببساطة أن تكون إحدى غرف البيوت فى بوسطن بيكون هيل بل وعبرت عن رأيها هذا.

"كانت هذه غرفة سوزان المفضلة فى المنزل". قالها دوك وهو يمد يده مقدما لها الشاى، ثم أضاف: "كانت تحب الجلوس والقراءة هنا، كانت قارئة نهمة، وقد احتفظت بالغرفة كما كانت تحبها".

ابتسم قليلا ومد يده لبرودى بقدح من الشاى، قائلاً: "ولكنها مازالت باقية معى أيضا بشكل آخر. بل إنها ...". صمت للحظة ومن خلف نظارته؛ بدت عيناه بهما قدر من الطيبة وكانت نظراته لاذعة، ثم أضاف: "أستطيع أن أجلس هناك بعد يوم طويل وأحادثها. قد يظن البعض أن هذا ضرب من الجنون؛ رجل يتحدث مع زوجته الميتة، ولكننى أرى أن هذا تصرف بشرى طبيعى، فالكثير من الأمور التى يظن البعض أنها مجنونة بعض الشىء تكون بشرية تماما".

قال برودى معلقا وهو يمد يده ليلتقط إحدى قطع البسكويت: "شىء من الجنون؛ إنها إحدى السمات البشرية".

قالت ريسى: "إذن أنا إنسانة طبيعة. أصغ إلى؛ أنا أقر بأن كل محاولاتك تشعرنى بالراحة. لقد شعرت بالفعل بالراحة وقد أديت ما عليك، ولكننى أعلم جيدا أننى مزيج من العقد الغبية الممزوجة بأنواع الفوبيا المرضية المتبلة بجنون الاضطهاد".

قال برودى وهو يواصل تناول البسكويت: "من الجيد أن تعرفى نفسك، الكثيرون لا يدركون أنهم مجانين مما يثير ضيق

الباقين".

رمته بنظرة ثم ركزت على الدكتور والاس، قائلة: "ولكننى أعلم أيضا أن ما رأيته بجوار النهر كان حقيقيا، لم يكن حلما ولا هلوسة، لم يكن وليد عقلى المشوش وخيالى النشط، أياً كان ما يظنه المأمور، أياً كان ما يظنه أى شخص؛ فأنا أدرك تماما ما رأيته".

قال دوك فى بساطة: "لا تتحاملى على ريك، إنه فقط يؤدى عمله، وهو يؤدى عمله على وجه جيد هنا فى أنجيل فيست".

همهمت ريسى: "هكذا يقول الجميع".

"ومع هذا فهذا لا ينفى أننا يمكن أن نساعده".

"هل تصدقنى؟".

"لا يهم إن كنت أصدقك أم لا، ولكن ليس لدى أى سبب وجيه يمنعنى من تصديقك. يبدو لى أنك كنت تبذلين قصارى جهدك هنا لكيلا تلفتى الأنظار".

ارتشف دوك قهوته دفعة واحدة والتى كانت ريسى تعلم أنها مكونة من نصف مقدار من الماء ونصف آخر من اللبن عندما وقع بصرها على إناء اللبن الزجاجى. بعدما مد ساقيه شابك كاحليه حيث كان يرتدى حذاء رياضياً.

"يجب أن أقول إن كل محاولاتى فى هذا الصدد قد باءت بالفشل الذريع".

"حسناً؛ إن الإبلاغ عن جريمة قتل سوف يلقى الضوء على المبلغ بلا أدنى شك، وهذا يعنى أنه لا يبدو من المنطقى أن تختلقى هذه القصة وتجذبى أنظار الجميع نحوك". ثم ضغط نظارته على عينيه ونظر إليها من خلال عدسات ناصعة النظافة، مضيفاً: "فضلا عن أنه يبدو لى أن برودى يصدقك وأنا أعلم أنه صعب المراس. إذن ...".

نحى دوك قهوته جانبا، والتقط دفتر الرسم والقلم، مستطرداً: "على أن أقر بأن هذا يثير اهتمامى. يبدو لى وكأننى فى مسلسل (القانون والنظام)".

"أى جزء؟".

ابتسم دوك، قائلاً: "شخصياً، يعجبنى الجزء الأول. لقد

أخبرك برودى بأننى أجيد الرسم بعض الشىء، بل إننى أملك بعض اللوحات المرسومة بالفحم فى المعرض".

"أود زيارته".

"ينبغى ذلك، فلديهم أعمال جميلة لبعض الفنانين من أهل البلدة، ومع ذلك فإننى لم أفعل أبدا أى شىء من هذا القبيل من قبل؛ لذا أجريت بعض البحث عن الأمر. سوف أطلب منك أن تفكرى أولا فى الأشكال؛ إن كنت تستطيعين ذلك. فكرى فى شكل الوجه بداية. هل هو مربع أم دائرى أم مثلث. هل يمكنك ذلك؟".

"أجل؛ أظن ذلك".

"أغمضى عينيك لدقيقة ثم استحضرى الصورة فى ذهنك".

فعلت؛ واستحضرت صورة المرأة. "بيضاوى على ما أظن، ولكنه بيضاوى ضيق وطويل، وكأنه قطع هندسى ناقص".

"هذا جيد. أى أنها تميل إلى النحافة. ثم؟".

"نعم. كانت صاحبة شعر طويل وكانت القبعة. القبعة الحمراء. تتدلى لتغطى جبهتها؛ ولكننى أدركت أنها صاحبة وجه طويل نحيف".

استطردت ريسى: "لم أر عينيها فى البداية، فقد كانت ترتدى نظارة شمسية كبيرة؛ على ما أظن".

"ماذا عن أنفها؟".

"أنفها؟". بقيت صامتة تماما وكأنها لا تتذكر أى شىء، ثم قالت: "يا إلهى! لا أظن أننى سوف أجيد ذلك".

"ابذلى أقصى ما بوسعك".

"أظن ... أظن أن أنفها كان طويلاً ومحدباً تماما مثل وجهها. لقد لاحظت فمها أكثر لأنه كان يتحرك. كانت تتحدث وتصيح معظم الوقت. بدا لى فمها قاسيا بعض الشىء، بدت لى قاسية الطبع. لا أدرى كيف أشرح ذلك".

"هل كان فمها رفيعا؟".

"لا أدرى. ربما. لقد كان... متحركا. ما أريد قوله هو أنها بدت وكأنها تريد أن تقول الكثير، وعندما كانت تتحدث. وأنا واثقة من هذا. كانت تقطب وجهها فى سخرية. كان فمها لا يكف عن التحرك.

كانت ترتدى قرطاً فى شكل طوق؛ أكاد أكون واثقة من هذا. لقد شاهدت بريق القرط. كان طول شعرها يتعدى كتفيها، كان مموجا وداكن السواد، وقد سقطت عنها نظارتها عندما دفعها إلى الأرض ولكن كل هذا حدث بسرعة كبيرة. كانت شديدة الغضب. كانت صاحبة عينين كبيرتين على ما أظن وكانت غاضبة، ثم أصبحت مصدومة، ثم ...".

واصل دوك حديثه بنفس النبرة الهادئة: "ماذا عن العلامات المميزة؟ هل هناك أية جروح؛ نتوءات؛ نمش؟".

قالت فجأة: "لا أتذكر أياً من هذا، أما عن مساحيق التجميل، فأظن أنها كانت تضع الكثير من مساحيق التجميل. أحمر شفاه. أجل! شديد الحمرة و... ربما يكون هذا من فرط حنقها، ولكنها كانت تضع الكثير من أحمر الخدود. كانت هناك نضرة فى وجهها تفوق الطبيعة؛ أجل هذا هو ما أستشعره عندما أستعيد صورة وجهها. ربما كان هذا بسبب الغضب أو ربما بسبب الإفراط فى استخدام أحمر الخدود. لقد كانت بعيدة للغاية حتى بواسطة النظارة المكبرة".

"لا بأس. هل يمكنك تخمين سنها؟".

قالت ريسى وهى تضغط عينيها بأصابعها: "يا إلهى! أجل، ربما فى أواخر الثلاثينيات. يمكنك أن تضيف أو تنقص عقداً، اللعنة!".

"فقط أخبرينى بأول انطباع لديك. هل هذا الشكل يقترب من شكلها؟".

تحركت ريسى إلى الأمام فوق كرسيها عندما أدار دوك دفتر الرسم نحوها. كان أفضل مما تصورت. لم تكن المرأة التى رأتها هى التى تنظر إليها من الرسم، ولكن الصورة كانت قريبة الشبه بالفعل منها.

همست عندما شعرت بشىء من الغصة فى معدتها: "حسناً، حسناً، أظن أن ذقنها كان مدببا أكثر من ذلك، فقط أكثر قليلاً. كما أن عينيها لم تكن مستديرتين هكذا وإنما أطول من هذا قليلا. ربما، ربما".

التقطت ريسى قدح الشاى ثانية والذى كانت تحتسى منه قليلا أثناء إجراء دوك للتعديلات، قائلة: "لا يمكننى أن أخبرك بلون عينيها، ولكننى أظن أن عينيها كانت غامقة اللون. لا أظن أن فمها كان كبيراً. كما أن حاجبيها. يا إلهى! أتمنى ألا يكون قد اختلط على الأمر. كانا أرفع من ذلك؛ كما أنهما كانا مقوسين. كما لو كانت قد نمقتهما عن آخر شعرة. عندما رفع رأسها من فوق الأرض ممسكا بشعرها؛ سقطت القبعة التى كانت ترتديها. لقد نسيت هذا من قبل. لقد سقطت قبعتها وبدت جبهتها عريضة".

قال لها برودى: "خذى نفسا".

"ماذا؟".

"خذى نفسا".

"حسنا". عندما سكنت قليلا لكى تلتقط نفسا؛ أدركت كم كان قلبها يخفق بشدة وكم كانت يداها ترتعدان إلى درجة أن الشاى كاد يسقط من القدح. "كانت تضع طلاءً على أظافرها، ربما كان طلاءً أحمر اللون. لقد نسيت هذا أيضا. لقد رأيت كيف دست يديها فى الطين عندما كان يخنقها".

سألها برودى: "هل أصابته بخدوش؟".

"كلا. لم تستطع. لا أظن ... لقد كان محكما قبضته عليها كما أنه كان يضع ركبتيه على ذراعيها. لم يكن بوسعها أن تحرر ذراعيها لكى تخدشه. لم تكن لديها فرصة. ما إن سقطت؛ لم يكن لديها أية فرصة".

"ما رأيك؟".

دققت ريسى النظر فى الرسم. وجدت أن هناك أشياء ناقصة؛ أشياء لم تكن واثقة من أنها تملك مهارة توصيلها لرسام. كانت هناك تعبيرات الغضب والحب والخوف؛ ولكن الرسم كان قريب الشبه.

"أجل، أجل، هذا جيد. يمكننى أن أرى ملامحها فى الصورة. هذه صورة يمكن الاعتماد عليها، أليس كذلك؟".

"يمكننى أن أقول ذلك. دعينى أر إن كان بوسعى أن أنقحها عن ذلك قليلا. يمكنك أن تتناولى قطعة بسكويت من هذا يا ريسى

قبل أن يأتى برودى عليها جميعا. لقد أعدها ديك. إنه يجيد إعداد البسكويت المحلى بالسكر".

التقطت قطعة بينما كان دوك يطرح المزيد من الأسئلة. تناولت قدحا آخر من الشاى بينما كانت تراقبه وهو يغير أو ينقح شكل فم المرأة وعينيها، بينما كان يرفع الحواجب.

"إليك الصورة ".

وضعت ريسى قدحها بشىء من الارتباك. "هذه هى. إنها جيدة. إنها قريبة جدا منها. هذا هو الشكل الذى أتذكرها عليه. هذا هو ما بدت عليه. أنا ـ".

قال لها برودى بلهجة آمرة: "كفى عن إعادة التفكير فى كل مرة. إن كان هذا هو انطباعك عنها؛ فهذا جيد".

قال دوك وهو ينظر إلى برودى: "ولكنها ليست من أنجيل فيست، إنها لا تشبه أى شخص أعرفه ولا حتى من بعيد".

" كلا؛ ولكنها إن كانت قد جاءت إلى هنا؛ فلابد أن يكون قد رآها أحدهم؛ ربما وهى تشترى الوقود أو المستلزمات. سوف نطرح الصورة للجماهير".

ضم دوك شفتيه وهو يدقق فى الرسم، قائلاً: "يستطيع ريك أن يعد نسخا من الصورة ويوزعها على الجهات المسئولة، ربما يوزعها على المتنزهات العامة أيضا. إنها لا تبدو مألوفة بالنسبة لى. إننى أعلم أهل البلدة جيدا وعالجت منهم الكثيرين على مدى سنوات، بما فى ذلك السائحون والأشخاص الذين يأتون إلى هنا من وقت إلى آخر أثناء انتقالهم إلى أماكن أخرى. اللعنة؛ إننى أعرف كل من ولد فى الجوار على مدى العشرين عاما الماضية لأننى أنا الذى استقبلتهم بيدى فور ولادتهم، وهى ليست من أهل البلدة".

قالت ريسى فى هدوء: "وإن لم تكن قد مرت هنا، فهذا يعنى أننا لن نتعرف يوما على هوية هذه المرأة".

"هذا هو ما يعجبنى فيك أيتها النحيفة. أنت دائما تفكرين بإيجابية". قالها برودى وهو يدس قطعة بسكويت أخرى فى فمه، ثم أضاف: "هل ترغبين فى محاولة وصف الرجل لـ دوك؟".

"أنا لم أره. ليس فى واقع الأمر. رأيت لقطات لوجهه من

الجانب؛ وظهره؛ ويديه؛ ولكنه كان يرتدى قفازا. يبدو لى أنه صاحب يدين كبيرتين ولكن قد يكون هذا محض تصور. كان يضع قباعة ويرتدى نظارة شمسية ومعطفا".

سألها دوك: "هل كان لديه شعر تحت القبعة؟".

"كلا، لا أظن ذلك. لم ألحظ. كانت ... هى فى دائرة الضوء؛ يمكنك أن تقول ذلك. كانت هى التى تلفت الأنظار؛ وعندما طرحها أرضا؛ انتابنى الذهول، ومع ذلك بقيت مثبتة نظرى عليها هى أكثر. لم أتمكن من منع نفسى من مواصلة مراقبة ما يجرى لها".

" ماذا عن شكل فكه؟".

"كل ما يمكننى تذكره هو أنه كان صاحب ملامح وجه قاسية. بدا لى قاسيا؛ ولكننى قلت ذلك عنها أيضا؛ أليس كذلك؟". فركت عينيها وحاولت أن تفكر، ثم قالت: "كان هادئا تماما معظم الوقت وقد ترك عندى انطباعا بأنه مسيطر على الموقف تماما. كانت هى متوترة ومضطربة بينما كان يقف هو أمامها فى ثبات؛ لا يكاد يتحرك. كانت هى طاغية على مسرح الأحداث؛ كانت تتحرك وتسرع وتلوح مهددة. دفعها وكأنه يزيح ذبابة. أنا فقط أتصور".

قال دوك وهو يرسم فى لامبالاة: "ربما، وربما لا، ماذا عن هيئته؟".

"كل شىء عنه يبدو لى كبيراً الآن، ولكننى لست واثقة. ربما يكون أطول أو أكثر عرضا منها؛ بالطبع. فى النهاية عندما تقدم نحوها، أظن أنه كان يدرك تماما ما هو بصدد فعله، وإمساكه يديها بهذه الطريقة، كان يمكن أن يمسكهما بطريقة مختلفة حتى تهدأ ويتمكن من مواصلة الحوار معها ثم الانصراف. ربما كان هذا بسبب المسافة، ولكن تصرفه هذا بدا لى متعمدا تماما، باردا تماما".

أدار دوك الرسم ورفعه، فتجمدت ريسى فى مكانها.

كانت صورة كبيرة؛ يبدو فيها ظهره مستديرًا؛ وجزء من صورة الوجه الجانبية. بما أن هذه الصورة كانت يمكن أن تنطبق على الكثير من الرجال؛ فقد عقد الخوف معدتها.

قالت معلقة: "مجهول".

قال دوك: "ومع ذلك يبقى بوسعك أن تسقطى بعض الأشخاص من الحسبان بمقتضى هذا الوصف".

"بيتى، مثلاً، إنه رجل نحيل صغير الحجم، أو جو بيرس الصغير الذى يحمل مائة رطل إضافية ومصاب بارتفاع ضغط الدم".

شعرت ريسى بغصة أخرى فى معدتها وهى تقول: "أو كارل، الذى يشبه البرميل. إنه صاحب بنية غير مستقيمة. أنت محق، كما أننى لا أظن أنه كان صغير السن. أقصد لم يكن فى سن المراهقة أو أوائل العشرينيات. بدت لى يضىء ولغة جسده أكثر نضجا من هذا العمر. شكرا. هذا يضىء عقلى قليلا".

قال برودى وهو يرفع كتفه: "لم يكن أنا، ما لم أكن قد طرت مثل سوبرمان ذهابا وإيابا من وإلى ضفة النهر".

أخذوا يتضاحكون للمرة الأولى، ثم ابتسمت ريسى، قائلة: "كلا، لم يكن أنت".

التقط دوك صورة المرأة ثانية، قائلاً: "سوف أعد نسخا؛ سوف أعلق نسخة فى مكتبى. إن الكل تقريبا يمر بمكتبى، وسوف أعد نسخا لمكتب المأمور".

"شكراً جزيلاً".

"مثلما قلت؛ إن الأمر يشعرنى وكأننى أجرى تحقيقا بوليسيا، إنه تغيير مهم ومثير فى حياتى. برودى لِمَ لا تعيد هذه الصينية إلى المطبخ؟".

من النظرة التى رأتها ريسى على وجه الطبيب وهو ينظر إلى برودى، أدركت أنه استعاد دوره كطبيب نفسى ثانية، وأنها هى المريضة. بذلت جهدها لكى لا يبدو عليها الاستياء؛ خاصة بعد الخدمة التى أسداها إياها، ولكنها شعرت أن ظهرها قد تجمد فى مكانه عندما غادر برودى الغرفة.

بدأت حديثها: "لم أحضر إلى هنا لكى أجرى فحصا طبيا".

"ربما يجدر بك أن تفعلى، ولكن الواقع أننى طبيب نفسى وأنت تجلسين فى بيتى. عيناك متعبتان. هل تنامين بما يكفى؟".

"أحيانا. هناك بعض الليالى التى تكون أفضل من غيرها".

"ماذا عن شهيتك للطعام؟".

"متقلبة. أصبحت أكثر إقبالا على الطعام عن ذى قبل. أعلم أن صحتى البدنية مرتبطة بصحتى العقلية، وأنا لا أتجاهل أيا منهما".

"هل تصابين بالصداع؟".

قالت بتنهيدة: "نعم، ولكن ليس بالقدر الذى كان يداهمنى فيه الصداع من قبل، كما أنه بالطبع ليس بنفس الحدة. ونعم؛ مازلت أصاب بنوبات قلق ولكن ليس بنفس القدر أو الحدة أيضا. كنت أصاب من قبل بنوبات فزع ولكنها تراجعت وتحولت إلى كوابيس. مازلت أسترجع ما جرى لى؛ مازلت أشعر ببعض الألم أحيانا؛ ولكننى أفضل حالا. لقد سهرت فى كلانسى بصحبة ليندا. لم أكن قادرة على الذهاب إلى ملهى والجلوس بصحبة صديقة هناك منذ عامين. أفكر فى إقامة علاقة زوجية مع برودى. لم أقم أية علاقة صداقة منذ عامين".

"فى كل مرة أفكر فيها فى مغادرة هذه البلدة، لا أفعل. بل إننى أفرغت حقيبتى بعدما حزمتها ليلة أمس وأعدت كل شىء فى مكانه ثانية".

من وراء نظارته؛ ازدادت عيناه حدة: "هل حزمت أمتعتك؟".

"أنا ...". صمتت للحظة، ثم أضافت: "أجل، لا أذكر أننى حزمت حقيبتى، وأعلم أن هذه علامة سلبية للغاية على مستوى صحتى العقلية، ولكننى تصديت للموقف بأن أعدت كل أمتعتى وكذلك بالمجئ إلى هنا. إننى أسعى للتكيف. أسعى للتصدى واتخاذ موقف".

أشار دوك قائلاً: "كما أنك تتخذين جانبا دفاعيا، أنت لا تذكرين أنك حزمت أمتعتك؟".

"كلا؛ لا أذكر، ولقد أخافنى الأمر. لقد وضعت أشياء فى مكان خاطئ ذات مرة أيضا، وهذا أيضا لم أتذكره؛ ولكننى واجهت الموقف. لم يكن بوسعى مواجهة مثل هذه الأمور منذ عام مضى".

"ما هى العقاقير التى تتناولينها؟".

"لا أتناول شيئا".

"وهل كان هذا بناء على توصية الطبيب؟".

"كلا؛ فى واقع الأمر. بدأت أقلل منها شيئا فشيئا إلى أن توقفت عن تناولها نهائيا منذ أكثر من ستة أشهر. لقد كانت تساعدنى عندما كنت أشعر بحاجة إليها. أعلم أن العقاقير قد ساعدتنى على استعادة توازنى ثانية، لكننى لا أستطيع أن أواصل باقى عمرى وأنا أتعاطاها لكى تخفى هذا وتغطى هذا. لقد ساعدتنى على اجتياز أصعب فترات حياتى وأنا الآن أريد أن أجتاز المحنة وحدى وبنفسى. أريد أن أكون نفسى".

"هل يمكن أن تأتى إلىَّ إن شعرت أنك بحاجة إلى مساعدة طبية؟".

"حسنا".

"هل تسمحين لى بأن أجرى لك اختباراً؟".

"لا ...".

"أعنى فحصا يا ريسى. متى كانت آخر مرة أجريت فيها فحصا طبيا؟".

تنهدت ريسى عندها وقالت: "منذ عام أو ما يقرب من ذلك".

"لم لا تأتين إلى عيادتى صباح الغد؟".

"ولكننى يجب أن أكون متواجدة فى نوبة الإفطار".

"غدا فى الثالثة عصراً إذن. أسدى لى هذه الخدمة".

أجابت: "يا لها من طريقة للتعبير! حسناً، يعجبنى بيتك. كما يعجبنى أنك احتفظت بالغرفة مثلما تحبها زوجتك. يعجبنى أن أفكر أننى فى يوم ما سوف تكون لى غرفة وأن شخصاً آخر سوف يرغب فى الإبقاء عليها كما هى بدافع اهتمامه وحبه لى. أريد أن أحقق ذلك". دفعت نفسها على قدميها وقالت: "على أن أعاود الذهاب إلى العمل".

نهض هو الآخر، قائلاً: "غدا فى الثالثة عصرا". ومد لها يده كما لو كان يسرق منها اتفاقا.

"سوف آتى".

صحبها إلى الباب بينما كان برودى يخرج من المطبخ. عندما خرجا؛ سار برودى نحو سيارته.

قالت له ريسى: "أفضل أن أسير، أريد أن أستنشق بعض الهواء .مازال لدى بعض الوقت قبل أن تحين نوبة العمل".

"حسنا .يمكننا أن نسير معاً، ويمكنك أن تعدى لى الغداء".

"لقد تناولت لتوك البسكويت".

"ماذا تقصدين؟".

اكتفت بهز رأسها، قائلة: "سوف يكون عليك أن تسير عائداً حيث تقف سيارتك".

"سوف أحضرها بعض تناول الغداء. هل ستقدمون الدجاج؟".

"نعم أستطيع أن أعده، ولكنه ليس فى قائمة الطعام ".

"إذن سوف أدفع لكم مبلغا إضافيا فى المقابل. أريد أن أتناول الدجاج المسوى مع شرائح البصل والخبز. هل تشعرين أنك فى حال أفضل؟".

"أظن ذلك. إن الدكتور والاس له طريقته الخاصة فى إذابة الجليد". دست يديها فى جيب سترها ذات غطاء الرأس لكى تتصدى لنوبة الصقيع، مستطردة: "لقد ضغط على دون أن أدرى لكى أجرى فحصا طبياً غداً؛ ولكنك على الأرجح كنت تعلم بذلك".

"لقد ذكر هذا. إنه من ذلك النوع الذى يحب أن يدس أنفه. ولكن بشكل غير مباشر. لقد سألنى صراحة إن كنت قد أقمت معك علاقة عاطفية".

"ولم ذاك؟".

"هذه هى طريقته. طالما جئت إلى أنجيل فيست، فهذا يعنى أنك دخلت ضمن قائمة اهتمامه. لذا أؤكد لك أن هذه المرأة لو كانت قد قضت أى وقت هنا لتعرف عليها. ها هو كلب المأمور فى البحيرة ثانية. إنه يفضل السباحة عن السير".

توقفا لمشاهدة الكلب وهو يسبح بحماس فى الماء ويحدث أثرا على صفحة الماء التى تعكس صورة الجبال.

"إن بقيت هنا، فسوف أقتنى كلبا وأعلمه كيف يحضر الكرة من البحيرة تماما مثل. ما اسمها؟ مثلما تفعل آبى مع موزيز هناك. سوف أشترى أيضا كبينة لكى يبقى بالباب الخارجى عندما أخرج

للعمل. جدتى لديها كلب تطلق عليه ماركو. إنه يسافر معها أينما ذهبت".

" أهو كلب؟".

"بالطبع وهو كلب لطيف ومحبوب".

"ولكنه بهذا الوصف أشبه بالدمية من الكلب".

أطلقت ضحكة،قائلة: "إن ماركو شديد الذكاء والإخلاص".

"وهل يرتدى سترات صغيرة أنيقة؟".

"كلا ليس هناك سترات تناسب حجمه، وبالرغم من أننى أكن له حبا عميقا فإننى أفكر فى اقتناء كلب كبير نشط مثل موزيز؛ كلب يفضل السباحة عن السير".

"هذا إن بقيت هنا".

"نعم. إن بقيت هنا". عندها تصورت الطريقة التى يثب بها موزيز ووثبت وهى تعدو ثم ثبتت فى مكانها، قائلة: "أحب أن أحضر إلى منزلك غدا مساء لأعد لك العشاء وأقضى الليل لديك".

واصل سيره معها وأخذ يتجول بجوار منزل كانت صاحبته قد زرعت بعض زهور البانسييه فى شكل دائرة وسط حديقتها ووضعت حوله بعض الأقزام على شكل دميات مخيفة مغطاة بالقبعات للحراسة.

أخذ يتعجب من هؤلاء الأشخاص الذين يغرسون مثل هذه الدميات والحيوانات الوهمية داخل حدائقهم.

"وهل بقاؤك الليل يعنى أنك تنوين الزواج منى؟".

"أتمنى ذلك. لا يمكننى أن أعدك بشىء ولكننى أتمنى ذلك".

ثم مد يده ليفتح باب مطعم جوانى، قائلاً: "حسناً، سوف أغسل الملاءات".

التزمت ريسى بموعد الطبيب واعتبرتها خطوة كبيرة أخرى. كانت تكره؛ تكره هذا الشعور بالافتضاح عندما كانت تتجرد من ملابسها وتلف نفسها بهذا الرداء الأبيض المفتوح.

ولكن إن كانت عاجزة عن التعرى أمام الطبيب، فما الذى تتوقع

أن تفعله مع برودى فى وقت لاحق؟

أخذت تفكر وهى جالسة فوق مائدة الكشف بينما كانت ممرضة دوك تقيس لها ضغط الدم. سوف تكون كل الأضواء مطفأة وعيناها مغمضتين وكذلك عيناه هو الآخر؛ كما تتمنى.

قالت لها ويلوو ذات الأصل الشوشونى: "مرتفع بعض الشىء يا عزيزتى". كان أصلها يبدو واضحا فى شعرها الأسود الذى كانت تعقصه فى ضفيرة سميكة وعينيها البنيتين العميقتين.

"أشعر بشىء من التوتر؛ هكذا أكون دائما عندما أذهب إلى الطبيب".

ربتت ويلوو على يد ريسى، قائلة: "لا تقلقى. إن دوك حنون للغاية. أريد أن آخذ عينة دماء. اقبضى على يدك وفكرى فى كل الأشياء السعيدة".

لم تشعر ريسى بالإبرة تقريبا مما جعلها تشيد فى نفسها بكفاءة ويلوو. لم يكن بوسعها أن تحصى عدد المرات التى خضعت فيها لهذا الإجراء منذ وقوع الحادث. بعض الممرضات كن يملكن أيادى الملائكة والبعض الآخر أيادى كالطلق النارى.

"سوف يستقبلك دوك بعد دقيقة واحدة".

أومأت ريسى وشعرت بذهول عندما دخلت بالفعل لدى الطبيب بعد مرور دقيقة واحدة فقط.

بدا دوك مختلفا بمعطفه الأبيض الذى كان يرتديه فوق قميصه المنقط وسماعته الطبية التى كان يلف بها عنقه وحذاءه الأبيض. غمز إليها قبل أن ينظر فى التقرير الخاص بها، قائلاً: "يمكننى أن أخبرك فى الحال بأنك بحاجة لاكتساب عشرة أرطال".

"أعلم، ولكننى كنت بحاجة إلى خمسة عشر رطلا منذ أسبوعين".

"لم تجر أية عمليات جراحية باستثناء العملية التى أجريت إثر الحادث، أليس كذلك؟".

بللت شفتيها، قائلة: "كلا. لقد كنت أتمتع دائما بصحة جيدة".

"لست مصابة بأية حساسية. ضغط دمك يمكن أن يكون أقل

من ذلك؛ كما أن نمط نومك يمكن أن يكون أفضل أيضا. هل دورتك الشهرية منتظمة؟".

" نعم. لم تكن كذلك، ولكن حبوب منع الحمل ساعدتنى على ضبطها ثانية. لم أكن بحاجة إليها فى السابق". ولكن هذا يمكن أن يتغير الليلة؛ هكذا فكرت وتساءلت إن كان ضغط دمها قد ارتفع نتيجة لذلك.

"ليس لديك تاريخ فى مرض القلب أو سرطان الثدى أو السكر، ولا تدخنين".

واصل قراءته للتقرير ثم نحاه جانبا وهو يومئ، قائلاً: "لديك إذن أساس جيد".

فحص رئتيها ورد فعلها الانعكاسى اللاإرادى وطلب منها الوقوف لكى يتفحص اتساق الحركة والتوازن، ثم تفحص عينيها بتسليط الضوء عليها وأذنيها وغددها الليمفاوية ولوزتيها.

وبينما كان يجرى فحصه كان يجرى معها حديثا عابرا عن أخبار البلدة.

"هل عرفت أن ابن بيبى الأكبر قد تم القبض عليه ومعه اثنان من أصدقائه وهم يسرقون الحلوى من المتجر".

قالت ريسى: "وهو الآن رهن الاعتقال المنزلى لمدة ستين يوما؛ وليس هناك فرصة لإطلاق سراحه. إنه يذهب فقط إلى المدرسة والمنزل وجوانى كما أنه يقضى ساعتين عصر كل يوم لأداء كل المهام التى يريد السيد دروبر أن يكلفه بها".

"كل هذا لصالح بيبى، كما أننى سمعت أن ميزى ناب ألقت ملابس بيل من النافذة ثانية. فضلا عن الجائزة التى كان قد فاز بها فى المدرسة الثانوية ضمن فريق كرة القدم".

لم يكن الأمر سيئا؛ أدركت ريسى ذلك؛ لم يكن من السيئ أن تخوض مثل هذا الحوار. أحاديث حقيقية عن أشخاص يعرفهم كل منهما.

قالت له ريسى: "يقولون إنه خسر المال الذى كان من المفترض أنه يدخره لشراء خاتم الخطبة فى لعب البوكر، وهو يزعم أنه كان يسعى لكسب المزيد من المال عن طريق اللعب لكى يشترى لها

خاتما يليق بها ولكنها لا تصدقه".

"إنها تلقى بمقتنياته من النافذة من ثلاث إلى أربع مرات سنويا. إنه يدخر المال لهذا الخاتم منذ ما يقرب من خمس سنوات الآن، وهذا يعنى أنها قد ألقت بملابسه خمس عشرة إلى عشرين مرة تقريبا فى قارعة الطريق. و هل تعلمين أن حفيد كارل قد فاز بمنحة (لارامى) الدراسية؟".

"حقا؟ لم أكن أعرف".

لمعت عينا دوك: "حان وقت الإفطار، لقد علم كارل بهذا عصر اليوم، وهو يفتخر بها. سوف أدعو ويلوو الآن للدخول لكى أجرى لك مسحا على الثدى".

فى استسلام؛ وضعت ريسى قدميها فى الركاب؛ بدأت تحدق فى السقف والفراشات التى كانت تخرج فى دوائر من المحمول بينما أدار دوك كرسيه بين ساقيها وبقيت ويلوو لكى تساعده.

قال دوك معلقاً: "تبدين فى صحة جيدة".

"جيد؛ هذا لأننى لم أمارس أية رياضة هنا منذ فترة". عندما سمعت ويلوو تطلق ضحكة؛ اكتفت ريسى بإغماض عينيها. كان عليها أن تتذكر مقولة قديمة تفيد بالاحتراس من الأفكار، فهى سرعان ما تتحول إلى كلمات.

عندما أنهى فحصه؛ ربت دوك على كاحلها ثم وقف لكى يتجه إلى جانب مائدة الكشف لتفحص ثديها، قائلاً: "هل تجرين الفحص الشهرى للثدى؟".

"نعم. كلا. عندما أتذكر فقط".

"عندما تغتسلين؛ فى أول أيام الدورة. حاولى اكتساب هذه العادة وهكذا لن تنسى أبدا". حرك إبهامه برفق على جرحها، مضيفاً: "لقد تعرضت للكثير من الألم".

"نعم". بقيت تراقب الفراشات المبهجة الملونة التى كانت تخرج من المحمول، ثم قالت: "الكثير من الألم".

"لقد ذكرت لى أنك تصابين بألم وهمى".

"أحيانا؛ أثناء رؤية كابوس أو بعده مباشرة، أثناء نوبات الفزع، ولكننى أعلم أن هذا ليس واقعيا".

" ولكنك مع ذلك تشعرين به".

"نعم أشعر به تماما".

"وكم مرة ينتابك هذا الألم الوهمى؟".

"يصعب القول، ربما مرتين فى الأسبوع، على ما أظن، ولكنه تراجع، فقد كان يصيبنى مرتين يوميا".

"يمكنك أن تجلسى الآن". عاد إلى مقعده بينما انصرفت ويلوو فى هدوء خارجة. "أنت لست مهتمة بمواصلة العلاج؟".

"كلا".

"أو العقاقير الكيميائية؟".

"كلا. لقد استخدمت كليهما وقد ساعدانى بالفعل كما سبق وأخبرتك؛ ولكننى أود الآن أن أعتمد على نفسى فقط ".

"حسنا. أود أن أخبرك إذن بأنك تعانين من القليل من الضعف وهو ما لم يفاجئنى، كما أننى أتوقع أن يكشف تحليل الدم عن إصابتك بالأنيميا. أريدك أن تكثرى من تناول اللحوم والأطعمة الغنية بالحديد. إن لم يكن لديك علم بالأطعمة الغنية بالحديد يمكن أن تطبع لك ويلوو قائمة بها".

" أنا طاهية أى أننى أعرف الطعام جيدا".

"إذن تناولى ما يجب تناوله". قالها وهو يشير بإصبعه جهتها لكى يشعرها بأهمية ما يقوله. "لدى أيضا بعض الأعشاب التى يمكنك استخدامها لكى تساعدك على النوم. يمكنك وضعها فى الشاى قبل النوم".

رفعت حاجبيها،قائلة: "أهذا هو الطب الشامل؟".

"لقد استُخدمت الأعشاب على مدى قرون فى الأغراض العلاجية. كنت فى الماضى كثيرا ما ألعب الشطرنج مع جد ويلوو. كان رجلاً شوشونيا وكان أفضل لاعب شطرنج. علمنى الكثير عن الطب الطبيعى. لقد توفى الخريف الماضى عن ثمانية وتسعين عاما أثناء نومه".

"إنها توصية رائعة".

"سوف أمزج لك الأعشاب وأحضرها لك عند جوانى مع الإرشادات اللازمة".

"لا أريد أن أبدو مزعجة، ولكننى أود أن حصل على قائمة بالأعشاب أيضا".

"يعجبنى ذلك، ولكننى أريدك أن تأتى إلى هنا للمتابعة بعد ستة أسابيع".

"ولكن-"

"يجب أن أختبر وزنك، وآخذ عينة من الدم وأطمئن على صحتك بشكل عام. إن وجدت أن هناك تحسنا؛ فسوف نرجئ المتابعة التالية لثلاثة أشهر. أما إن لم يكن هناك تحسن". نهض من مقعده ووضع يده على كتفيها ودقق النظر فى عينيها، مكملاً:

" ... فسوف أكون قاسيا".

"أمرك يا سيدى".

"حسنا أيتها الفتاة المطيعة. سمعت أنك تجيدين طهى طاجن اللحم البقرى. هذا هو المقابل الذى سوف أتقاضاه على حضورك اليوم بما أننى أنا الذى طلبت منك".

"ولكن هذا ليس منصفاً".

"ولكن إن لم يعجبنى الطعام فسوف أجعلتك تسددين ثمن الزيارة. هيا اذهبى وارتدى ملابسك".

ولكنها بقيت جالسة لعدة دقائق عندما غادر هو المكان وأغلق الباب وراءه.

١٤

تذكر برودى أنه يجب أن يغسل الملاءات، ولكن استغراقه فى عمله لما يقرب من ست ساعات متواصلة جعله يكاد ينسى أن يجففها.

بعد هطول المطر وتكُّون وحل الربيع الذى كان قد أغرق شخصياته فيه؛ شعر برغبة خافتة لتدخين سيجارة. لم يكن قد اقترب من سيجارة ونستون ووضعها فى فمه منذ ثلاث سنوات وخمسة أشهر واثنى عشر يوما. وجد نفسه وهو يحصى الفترة يمد يده لكى يستخرج اللفافة التى لم تكن موجودة.

إن الانهماك فى الكتابة لفترة زمنية لا يقل إثارة عن الاستمتاع

بالنساء ويشعره دائما بالرغبة فى التدخين، لذا بقى جالسا فى مكانه وأخذ يستعيد شعور التدخين لفترة؛ هذا الشعور المثير البسيط المغرى الذى ينتابك عندما تمد يدك لتلتقط سيجارة أسطوانية رفعية من اللفافة الحمراء ذات الخطوط البيضاء، والبحث عن ولاعة من عشرات الولاعات المبعثرة فى المكان، ثم إشعال السيجارة والتقاط أول نفس بيسر وسهولة.

ولكن اللعنة! لن يستطيع تذوق هذا المذاق الذى يمزج ما بين القسوة والمتعة. كانت هذه ـ من وجهة نظره ـ هى نعمة ولعنة الخيال الخصب.

لا شىء يحول دون نزوله البلدة فى الحال لشراء لفافة تبغ، ليس هناك حائل بالمرة، ولكنها كانت مسألة كبرياء؛ أليس كذلك؟ لقد أقلع عن التدخين ويجب أن يلتزم بما قطعه على نفسه. تماما مثلما فعل مع جريدة التريبيون؛ هكذا ذكر نفسه.

وبما أنه أغلق الباب؛ فلن يفتحه ثانية.

وهذه ـ على ما يعتقد ـ لعنة عناده المفرط.

ربما يمكنه أن يهبط الدرج ويتناول كيساً من الرقائق لكى تشعره بالإشباع، وربما يمكنه أن يعد شطيرة لنفسه.

كانت فكرة تناول الطعام هذه هى التى ذكرته بأن ريسى على وشك المجئ بعد بضع ساعات قليلة. مما جعله يتذكر الملاءات التى كانت لا تزال فى الغسالة.

"اللعنة!".

نهض من على مكتبه وهبط الدرج حيث غرفة الغسيل التى تضم الغسالة والمجفف. وما إن وضع الملاءات فى المجفف؛ حتى استدار عائدا لتفحص المطبخ.

كانت صحون الإفطار مازالت فى الحوض. حسناً؛ وكذلك أطباق عشاء ليلة أمس. كانت الجريدة وصفحات نسخته اليومية من شيكاغو تريبيون التى كان مشتركا فيها ـ يصعب التخلص من العادات القديمة ـ مبعثرة على المائدة وبجوارها دفتران ومجموعة متنوعة من الأقلام الجاف والرصاص؛ ورزمة بريد.

كان عليه أن يتقبل فكرة أنه يجب أن ينظف كل هذه الفوضى

وهو ما كان بمثابة عبء حقيقى عليه، وبما أن المهمة كانت مرتبطة بتناول غداء ساخن شهى؛ فقد كان الأمر يستحق.

فضلا عن أنه؛ لم يكن حيوناً.

شمر أكمام سترته المفضلة ثم حمل الصحون من الحوض. سأل نفسه وهو يعد الصابون ويفتح الماء الساخن: "لم وضعتها هنا فى المقام الأول؟ فى كل مرة تفعل ذلك؛ تجد نفسك مطالبا باستخراجها ثانية من الحوض".

غسل الصحون ثم شطفها؛ لكم كان يتمنى لو أن الكبينة مزودة بغسالة صحون. ثم فكر فى ريسى.

سأل نفسه؛ ترى هل التزمت بموعدها مع الدكتور والاس؟ ترى ما الذى سوف أراه فى هاتين العينين الواسعتين عندما تدخل من هذا الباب اليوم؟ هل ستبدو عليها علامات الارتياح أم التوتر أم المتعة أم الندم؟

كيف ستبدو وهى تعمل فى المطبخ وهى تضع الطعام بجانب بعضه البعض كما لو كانت فنانا، وهى تستخدم الألوان والأشكال والملمس والتوازن.

ستشيع رائحة ومذاق ما سوف تعده فى المكان، ثم بدأ يغوص. على غير عادته. فى روائحها ومذاقها.

وضع الصحون لكى تجف ثم واصل عمله على المائدة. لقد طرأ له أنه لم يحدث ويتقاسم مع أى أحد وجبة فى كبينته. ربما الشراب والمقبلات؛ هذا إن حدث وجاء دوك وماك لزيارته.

كما أنه استضاف لعبة بوكر مرة أو اثنتين عندما كانت حالته المزاجية تسمح بذلك؛ ولكن الأمر اقتصر على الشراب والرقائق والسيجار فقط.

ولكنه أعد ذات مرة البيض المخفوق والشراب فى الثانية صباحا لتلك الفتاة الرائعة القادمة من لوس أنجلوس التى جاءت للتزلج ثم انتهى بها المآل فى كبينته فى إحدى ليالى شهر يناير التى لا تنسى.

ولكن كل هذه الحوادث المتفرقة تختلف فى الواقع تماما عن امرأة تعد لك الطعام وتتناوله معك فى منزلك.

حمل الأوراق إلى غرفة الغسيل لكى يعد رزمة المهملات الأسبوعية؛ ولكنه مع ذلك تجهم عندما حمل الدلو ومساحة التنظيف.

همس لنفسه وهو ينظف أرضية المطبخ: "أرأيت؛ لست حيوانا".

عليه أيضا أن يعد غرفة النوم لكى تكون جاهزة لأى احتمال؛ أى إن سارت الأمور فى هذا الاتجاه. أما إن لم تسر فى هذا الاتجاه فعلى الأقل لن يفرض عليه تأمل كل هذه الفوضى وهو يبيت ليلته وحيدا مؤرقا.

مرر يده على وجهه؛ وذكر نفسه بأنه يجب أن يحلق. لم يزعج نفسه بذلك فى الصباح.

إنها على الأرجح سوف تكون بحاجة إلى شموع. أخذ يبحث عن بعض الشموع. إنه واثق تمام الثقة من أن لديه ما سوف يفى بهذا الغرض؛ وكان عليه أن يقر أيضا أنه من اللطيف أن يجلس لتناول العشاء مع سيدة جميلة فى ضوء الشموع.

ولكنه عندما ضبط نفسه وهو يفكر ما إن كان هذا هو الوقت المناسب من العام لشراء زهور التوليب؛ كبح جماح نفسه.

كلا ألبتة. هذا تفكير مجنون. عندما يشترى الرجل لامرأة زهورا . وخاصة زهورها المفضلة . فهذا بمثابة إشارة خطيرة. إنها إشارة جادة ومعقدة.

اللعنة إذن على التوليب.

فضلاً عن أنه إن أحضر لها زهورا فعليه أن يشترى شيئا لكى يضعها فيه. كلا لن يقترب من تلك الفعلة.

إن نظافة المطبخ يمكن أن تفى بالغرض وإن لم يعجبها ...

"الشراب؛ اللعنة".

كان يعلم بدون البحث أنه لم يكن لديه الكثير من الشراب. أخذ يهمهم ساخطا وهو يتأهب لمغادرة المنزل لكى يقود سيارته لشراء الشراب وعندها واتته الفكرة.

أخرج الدفتر الذى كان يسجل فيه أرقام الهواتف واتصل بأحد المتاجر.

"مرحى؛ هل مرت ريسى جليمور اليوم لشراء عصائر؟ أجل. ما الذى ... أجل حسنا. شكرا. أنا بخير؛ شكرا. كيف حالك؟ أجل؛ أجل". وضع برودى إحدى ساقيه على المنضدة؛ بعد أن أدرك أن اتصاله لاقتناص هذه المعلومة سوف يكبده بعض الحديث والقيل والقال حول تناوله العشاء مع ريسى.

ولكنه نهض فى استقامة عندما أخبره الشخص الذى كان يحادثه أن المأمور قد مر بالمتجر فى وقت سابق من نفس اليوم وترك نسخة من الرسم الذى أعده دوك والاس.

"هل تعرفت على المرأة؟ كلا؛ أجل؛ رأيت الرسم. كلا؛ لا أستطيع أن أقول إنها تشبه بينلوبى كروز. كلا يا جيف؛ لا أظن أن بينلوبى كروز جاءت إلى هنا وتعرضت لجريمة قتل. بالطبع؛ إن عرفت شيئا. سوف أخبرك. أراك فى وقت لاحق".

وضع برودى السماعة؛ وهز رأسه. إن الأشخاص بقدر ما هم مصدر تسرية بقدر ما هم مصدر إثارة للحنق. هكذا تبقى الأشياء فى حالة توازن.

همس فى نفسه: "بينلوبى كروز". ثم أفرغ ماء الدلو فى الحوض.

تذكر الملاءات بعدما أجرى جولة بحثية عن الشموع وعثر على شمعتين وحامل شموع كان أحدهم قد أهداه إليه فى إحدى عطلاته، ولكنه لم يكن قد سبق له استخدامه. كانت الشموع تحمل اسم (مامز أبل باى).

لم تكن مثيرة بشكل خاص. فكر فى نفسه. ولكنها أفضل من لاشىء.

حمل الشموع والملاءات إلى أعلى فى غرفة النوم وهو عاقد العزم على تجهيز الغرفة، ولكنه أخطأ عندها عندما جال ببصره من النافذة لبضع دقائق قليلة.

كانت هناك قوارب صيد تسبح فى البحيرة بينما كانت أشرعتها البيضاء ترفرف فى اتجاه الهواء. شاهد قارب كارل بالقرب من نهاية الطرف الشمالى. قال برودى فى نفسه؛ لقد خرج ليصطاد على الأرجح. إن هذا الرجل يعيش لكى يصطاد ويثرثر مع ماك.

ثم شاهد ابنة ريك تلهو مع كلبها موزيز. لابد أن اليوم الدراسى قد انتهى اليوم. وثب الكلب طائرا وراء الكرة وأطاح بأحد الطيور التى فردت جناحها لتختفى وسط الأشجار.

فكر برودى بشكل تلقائى؛ صورة جميلة ومسالمة و ...

ثمة شىء ما فى الضوء والظلال المنعكسة على البحيرة جعلت عقله يعود إلى الرواية. ضيق نظرته بينما كان موزيز يعود أدراجه نحو الشاطئ ممسكا بالكرة بين أسنانه.

ماذا لو لم تكن كرة ...

ترك الملاءات فوق الفراش وعاد إلى مكتبه. قال لنفسه؛ على أن أكتب المشاهد فقط، ثلاثون دقيقة على الأكثر؛ وبعدها أتولى مهمة تنظيف وإعداد الغرفة وأستحم وأحلق وأرتدى ملابس نظيفة.

وبعدها بساعتين؛ وضعت ريسى صندوق مستلزمات كبيراً على أريكة كبينة برودى وطرقت الباب بسرعة ثم سارت إلى سيارتها لكى تحمل الصندوق الثانى.

طرقت ثانية ولكن بصوت أعلى فى هذه المرة. تجهمت عندما لم تسمع أى رد، وحاولت أن تختبر الباب.

دفعها خيالها المريض إلى تصور برودى غارقا فى الحوض أو ساقطا على الدرج أو مقتولا إثر اقتحام بعض المجرمين لمنزله؛ كانت تعلم أن كل هذا محض هراء؛ ولكن هذا لم يقلل من استحواذ ذلك الشعور عليها.

كان المنزل بالغ الهدوء؛ كما بدا لها خاليا تماما. لم يكن مكانا تعرفه فى واقع الأمر. لم تتمكن من حمل نفسها على تخطى العتبة؛ ليس قبل أن تدفعها صورة برودى وهو ينزف على الأرض إلى الدخول .

أجبرت نفسها على الدخول ثم نادت عليه.

وعندما سمعت صوت ألواح الخشب بالأعلى؛ أحكمت قبضتها على سكينها التى استخرجتها من الصندوق.

جاء يلهث. كان حيا يرزق. أعلى الدرج.

"ماذا؟ كم الساعة؟".

كاد شعورها بالارتياح يجعلها تجثو على ركبتيها؛ ولكنها مع ذلك نجحت فى أن تستند على مقبض الباب وتبقى مستقيمة.

"قرابة السادسة، لقد طرقت الباب ولكن ـ"

"السادسة؟ اللعنة! لقد سرقنى الوقت".

"لا بأس. لا مشكلة". تحول الألم فى صدرها إلى شكل آخر من الضغط. بدا منزعجا للغاية وأشعث وضخماً. لو كانت تثق فى قدرتها على تحريك ساقيها فى ذلك الوقت لكانت قد قفزت الدرج فى الحال وانقضت عليه.

"هل تريد أن تتأكد من الوقت بنفسك؟".

ازداد وجهه تجهما؛ "كلا، لست بحاجة إلى ذلك ولكن يجب أن أنظف تلك الملاءات اللعينة، هل تودين أية مساعدة أولا؟".

"كلا، كلا، كلا، أنا على ما يرام. سوف أشرع فى تجهيز العشاء، إن كان هذا لايضايقك فى شىء. سوف أستغرق ما يقرب من ساعتين؛ ربما أقل من هذا قليلا. إذن؛ يمكنك أن تأخذ وقتك".

"حسناً". ثم بقى صامتا ودس طرفى إبهاميه فى جيب بنطاله الجينز الأمامى، قائلاً: "ما الذى كنت تنوين عمله بالسكين؟".

كانت قد نسيت أنها تحمل السكين فى يدها؛ حتى أنها أخذت تنظر إليها فى شىء من التحير والحرج، قائلة: "لا أدرى فى واقع الأمر".

"يمكنك إذن أن تنحيها جنبا حتى لا أستحم وأنا أحمل فى رأسى صورة نورمان بيتز".

"بالطبع".

استدارت لكى تضع السكين فى الصندوق وعندما استدارت ثانية كان قد اختفى.

حملت الصندوقين. كانت تريد أن تغلق الباب الأمامى . كانت تريد ذلك بشدة. لم يكن هذا بيتها؛ ولكن ألا يدرك كيف يستطيع أى شخص بمنتهى السهولة أن يقتحم عليه المكان؟ ولكنها تدرك ذلك على الأقل. كيف يمكن أن يكون هو بالأعلى ويترك الأبواب غير مغلقة على هذا النحو؟ بل والأدهى يتركها وهو يستحم.

يا إلهى؛ ليتنى أملك كل هذه الثقة أو هذا الإيمان أو حتى هذا الغباء.

بما أنها لم تكن تملك أياً من هذا فقد أغلقت الباب، وبعدما حملت كل المستلزمات إلى المطبخ، أغلقت الباب الخلفى أيضا.

لم يكن منزلها؛ هذا صحيح؛ ولكنها كانت متواجدة بداخله. كيف يمكن أن تركز فى إعداد العشاء بينما الأبواب كلها ليست مغلقة.

شعرت بالارتياح؛ استخرجت إناء الطهى الذى كانت قد أعدته ووضعت اللبن فيه وتركته فوق الموقد ليسخن. ثم استخرجت سكينها الجديدة التى كانت قد اشترتها لتوها .إنها تنفق الكثير من المال على مستلزمات الطهى. كان هذا ضرباً من الجنون ولكنها بدت عاجزة عن منع نفسها. انتظرت لحين نضج الشطائر التى كانت قد أعدتها ليلة أمس.

ثم وضعتها جانبا؛ ووضعت الشراب فى الثلاجة لكى يبرد. ثم تفحصت سريعا محتويات الثلاجة.

إنها أسوأ مما تصورت. لقد أحسنت صنعا عندما أحضرت كل مستلزماتها. لم تكن محتويات الثلاجة تتعدى بيضتين وقطعة زبد وبعض رقائق الجبن الأمريكى، بالإضافة إلى بعض المخللات واللبن الذى كان قد تخطى فترة صلاحيته بالفعل. كانت هناك ثمرتان برتقال مهملتان فوق الرف. لم تر أى أثر لأية أوراق خضراء.

هذا مثير للشفقة. مثير تماماً للشفقة.

ومع ذلك عندما صبت اللبن الساخن على البطاطس المسلوقة؛ اشتمت رائحة المنظف. عليها أن تقدر له أنه تكبد عناء التنظيف قبل حضورها.

وضعت الإناء فى الفرن وضبطت المؤقت.

عندما عاد برودى بعد ثلاثين دقيقة؛ كانت تدخل اللحم بجوار الإناء. كانت المائدة معدة بالأطباق والشموع التى كانت قد أحضرتها معها مع المفارش الزرقاء وأكواب الشراب وإناء شفاف وضعت فيه بعض الزهور الصغيرة ذات اللون الأصفر الذهبى.

اشتم الروائح التى كان قد تخيلها. اشتم رائحة زكية منبعثة من الفرن؛ واشتم رائحة طازجة من الخضراوات التى كانت قد وضعتها على المنضدة. مزيج من الرائحة الزكية والطازجة؛ هذه هى ريسى.

عندما استدارت؛ لم ير التوتر والندم فى عينيها.

كانت عيناها عميقتين وسوداوين ودافئتين.

"ظننت أننى ... أوه".

تراجعت إلى الوراء وهو يتقدم منها وشعرت بشىء من التوتر بدا فى لمحة على وجهها عندما أمسك بذراعيها ورفعها على أصابع قدميها.

و لكنه شعر بالدفء لما قبلها؛ كانت الدفء هو الشعور المسيطر. كان هذا الشعور بالنسبة له؛ شعوراً لا يقاوم.

ثم حررها وتراجع وقال: "مرحبا".

"أجل؛ مرحبا. أين أنا ثانية؟".

ابتسم، قائلاً: "أين تريدين أن تكونى؟".

"أظن أننى أريد أن أكون هنا تحديدا. كنت على وشك فعل شىء. أجل. كنت على وشك إعداد الشراب".

"كلا؛ لا أصدق".

"بلى". سارت نحو الثلاجة بحثا عن الثلج لكى تضعه فى الكوبين اللذين كانت قد أحضرتهما معها، ثم توقفت، قائلة: "ألا تحب المانجو؟".

"كلا لا أعنى ذلك، ولكن جيف لم يخبرنى بأنك قد اشتريت المانجو".

"جيف؟".

"أجل صاحب المحل".

كررت بإيماءة: "صاحب المحل". ثم تنهدت وهى تضع الثلج فى الأكواب. "ماذا؛ هل يعدون قائمة بمشترياتى؟ هل تخطيت الحد المسموح به أم ماذا ؟".

"كلا؛ لا أحد يمكن أن يتخطى ويس بريت فى إفراطه فى الشراب. لقد اتصلت بالمتجر لأننى تصورت أنك ذهبت إلى هناك

لشراء الشراب، وهذا يعنى أن هذا لن يكبدنى عناء الذهاب وشراءه بنفسى".

"حسناً. كان هذا تصرفا ذكيا من جانبك. فأنا لم أفكر فى المانجو إلا عندما اشتريت كل شىء وكنت على وشك المجئ إلى هنا. استعرت الكوبين من ليندا. كانت قد اشترته منذ عامين".

بقى واقفا فى الوراء وأخذ يراقبها وهى تزن وتمزج وتلقى الأرز وتقلب وتصب وتضيف الزيتون إلى الشراب. ثم اختبر النتيجة فى الكوب الذى مدت له يدها به.

"لم أتناول المانجو منذ ... لا أدرى. أنت لا تطلبين مثل هذه الأشياء عادة فى كلانسى".

"حسناً، إذن؛ إننى أضفى لمسة رقى على المكان".

"يا له من شراب رائع!". ثم أخذ رشفة ثانية ونظر إليها متفحصا، ثم أضاف: "يا لك من رائعة!".

قالت متفقة معه: "هناك أشياء أخرى أيضاً. جرب هذا".

رفعت طبقا صغيرا رأى فيه ما بدا له على أنه كرفس؛ كانت قد أعدته فى الطبق بشكل هندسى لافت. "ما هذا؟".

"إنه سر؛ ولكنه مؤلف أساساً من جبن الـ جودا المدخن والطماطم المجففة بأشعة الشمس".

لم يكن من أشد المعجبين بالكرفس الخام ولكن بما أنه تصور أن مذاق الشراب سوف يطغى عليه؛ فقد أقدم على التجربة. فعدل عن موقفه وسألها: "ما هو سر ذلك؛ إنه يضفى مذاقا يفوق كثيرا مذاق زبد الفول السودانى الذى كانت تصنعه أمى".

"كنت أتوقع ذلك. يمكنك إذن أن تجلس هنا وتستمتع". التقطت كأسها لكى ترتشف منه رشفة صغيرة، قائلة: "سوف أعد الآن السلاطة".

ولكنه لم يجلس وإنما بقى مستمتعا بمشاهدتها وهى تعد المكسرات. تصور أنها تفعل ذلك ولكن إذا به يشاهدها وهى تنثر الخضرة فى إحدى أوانى الطبخ.

لم تكن مثل هذه الأشياء الخضراء تروق له فى الأساس؛ كما أنها كانت تثير جدله بدرجة أكبر عندما يتم طهيها فى إناء على

النار. "هل تطهين السلاطة؟".

"إننى أعد سلاطة السبانخ والكرنب الأحمر والمكسرات والقليل من الغرغنزولة. لم أصدق أن ماك أحضرها لى عندما طلبتها منه الأسبوع الماضى عندما كنت أتمنى أن أحصل على بعض منها".

"ألم أقل لك إنه يدللك؟".

"إننى محظوظة بالفعل بهذا التدليل. على أية حال؛ لقد قال لى الدكتور والاس إننى بحاجة إلى المزيد من الحديد، والسبانخ أحد الأطعمة المفعمة بالحديد". استطاعت أن تقرأ انطباعه من طرف عينه وابتلعت ضحكتها، قائلة: "أنت فتى كبير. إن لم يكن يعجبك؛ فليس عليك أن تلتهم الطبق عن آخره".

"اتفقنا. كيف سارت الأمور مع دوك؟".

"إنه دقيق ورقيق كما أنه غير قابل للجدال والمناقشة".

بينما كانت تتحدث كانت تضبط النار تحت الإناء، مستطردة: "إنه يرى أننى مجهدة بعض الشىء وربما مصابة بقدر من الأنيميا ولكن فيما عدا ذلك فأنا على ما يرام. لقد قابلت من الأطباء ما يكفينى العمر كله ولكن الأمر لم يكن سيئا بقدر ما تصورت. عندما عدت إلى المتجر؛ أخبرنى جيف بأن المأمور قد أحضر له الرسم".

"أجل؛ سمعت بالأمر أنا أيضا. يقول إنها تشبه بينلوبى كروز".

ابتسمت قليلا، معلقة: "أجل، لقد أرسل . أعنى المأمور . نسخة إلى جوانى أيضا؛ ولكن لم يتعرف عليها أحد".

"هل كنت تتوقعين أن يتعرف عليها أحد؟".

"لا أدرى ما الذى كنت أتوقعه، ولكن أظن أن جزءاً منى كانت يتمنى أن ينظر أحدهم إلى الصور ويقول: ياإلهى! إنها تشبه سالى جونز التى تعيش فى الطرف الشرقى من البلدة. لقد كانت تمر بفترة عصيبة مع زوجها الشرس متقلب المزاج. كان هذا من شأنه أن يدلنا على الجانى وكان المأمور فى هذه الحالة سوف يتجه مباشرة إلى الزوج ويلقى القبض عليه وينتهى الأمر برمته".

"منمقة ومنظمة".

"إلى حد ما. على أية حال، لقد انتهيت من قراءة روايتك. أنا

سعيدة لأنك لم تدفن جاك حياً".

"وهو أيضاً".

ضحكت، قائلة: "أظن ذلك، كما أننى سعيدة أيضا لأنك لم تصلحه كلية أيضا، مازال مرحا ومتقلب المزاج ومازال قادرًا على إفساد بعض الأمور ولكننى أظن أن محبوبته (ليه) سوف تجعله أفضل رجل يمكن أن يكونه. لقد جعلتها تنقده أيضاً". ثم رمته بنظرة، مضيفة: "هذا أمر عظيم؛ من وجهة نظر أى قارئة. وقد أبليت بلاء حسنا".

"أنا سعيد لأنها أعجبتك".

"أعجبتنى إلى حد شرائى لرواية آخر اليوم، (رابطة الدم)".

قرأت التجهم على وجهه فقالت: "ماذا؟".

"و لكنها ... عنيفة. أجل فيها بعض المشاهد الدموية. قد لا تعجبك".

"أجل؛ لأننى عايشت هذه المواقف فى الأرض الواقع بالفعل".

"قد يعيد إليك الكتاب ذكرى بعض المشاهد التى قد لا تروق لك ".

"إن حدث هذا فسوف أنحى الرواية جانبا، تماما مثلما سمحت لك بتنحية السبانخ جانباً". تفحصت الفرن والإناء، قائلة: "نحن بصدد تناول العشاء. لمَ لا تشعل الشموع وتفتح زجاجة العصير؟".

"حسنا؛ سوف أفعل".

"إذن ما الذى عطلك اليوم؟".

"عطلنى؟".

"لقد قلت ذلك عندما وصلت إلى هنا؛ إن الوقت قد سرقك".

"أجل". أشعل الشموع التى كان قد جهزها على المائدة الصغيرة .كانت باللونين الأزرق والأسود لكى تبدو متفقة مع الفرش، قائلاً: "هذا جيد".

فكرت فى نفسها؛ كثيرا ما كان ليس فقط قليل الكلام وإنما مجرد من الكلام. على الأقل لفظيا، فقالت: "هل أفترض إذن أن روايتك الجديدة تسير على ما يرام؟".

"أجل، لقد كان يوما جيداً".

"لن تتحدث عنها؛ أليس كذلك؟".

بدأ يبحث فى المطبخ عن فتاحة ولكنها منحته فتاحة كانت قد أحضرتها هى معها. "عن ماذا؟".

"الرواية".

أخذ يفكر فى الأمر وهو يفتح الزجاجة بينما كانت تضيف المزيد من السبانخ فى إناء الطهى، ثم قال: "كنت بصدد قتلها. ربما تذكرين أننى ذكرت لك هذا يوم أن التقينا أعلى المرتفع".

"نعم. أتذكر ذلك. لقد ذكرت أن الوغد كان بصدد قتلها هناك؛ وأنه سوف يدفعها من أعلى فى الماء".

"أجل وقد حاول بالفعل أن يفعل. لقد أصابها بجروح بالفعل وعذبها وأفزعها ولكنه لم ينجح فى دفعها من فوق الجسر كما خطط".

"هل هربت منه؟".

"لقد قفزت".

نظرت ريسى داخل الإناء وهى على وشك استخراج الخضرة من داخله، قائلة: "قفزت ؟".

لم يكن قد اعتاد أن يحادث أحدا فى عمله. كان هذا الأمر يثير حنقه بشكل عام حتى عندما يسأله أحد عن أعماله، ولكنه شعر أنه يريد أن يحكى لها لكى يختبر رد فعلها.

"المطر يهطل والطريق مغطى بالوحل، وقد أصيبت بكدمات وجروح بل وبنزيف فى ساقها. بمفردها فى الأعلى معه. ليس هناك من يمكن أن يمد لها يد المساعدة، كما أنها لا يمكن أن تفر هاربة منه. هو الأقوى وهو الأسرع. كما أنه مجنون أحمق. لذا تلقى بنفسها. كنت أتصور أنها سوف تموت. لم أكن أخطط أبدا لإبقائها على قيد الحياة بعد الفصل الثامن؛ ولكنها أثبتت أننى كنت مخطئاً".

بقيت ريسى صامتة ووضعت بعض الخل الذى أعدته منزليا فى السلاطة.

"إنها أقوى مما تصورت عندما قابلتها للمرة الأولى. إنها

تملك رغبة حقيقية وعميقة فى البقاء على قيد الحياة. لقد ألقت بنفسها فى الماء لأنها كانت تعلم أن هذه هى فرصتها الوحيدة وأنها تفضل أن تموت وهى تسعى للبقاء بدلا من أن تستسلم للقتل على يده، وقد ناضلت لكى تشق طريقها فى النهر بالرغم من أنه سعى لالتهامها. ونجحت فى ذلك".

قالت ريسى متفقة معه: "نعم، تبدو لى قوية".

"ولكن هذا حتى لم يرد على فكرها، بل إنها لم تفكر بالمرة وإنما بادرت بالتصرف فحسب. لقد نجحت فى النجاة بنفسها. كانت تائهة وجريحة وتشعر بالبرد والوحدة، ولكنها قد نجحت فى البقاء على قيد الحياة".

"وهل ستبقى على هذه الحال؟".

"هذا يعتمد عليها هى".

أومأت ريسى. نسقت السلاطة فى الأطباق ونثرت عليها بعض الجبن، قائلة: "سوف تشعر برغبة فى الاستسلام، ولكننى أتمنى ألا تفعل. أتمنى أن تنتصر. هل ... تهتم بأمرها؟".

"لم أكن لأقضى وقتى معها إن لم أكن أفعل".

وضعت الأطباق على المائدة ثم وضعت سلة خبز صغيرة، قائلة: "أنت تقضى وقتا مع القاتل أيضا".

"وأهتم بأمره أيضا، ولكن بشكل مختلف. اجلسى. إننى أحب أن أنظر إلى عينيك فى ضوء الشموع".

رأى الدهشة فى عينيها أولا؛ ثم الضوء الذهبى عندما استقرت جالسة. "تذوق السلاطة. لن تجرح مشاعرى إن لم تعجبك".

استسلم ثم تجهم، قائلاً: "إنه أمر مثير للضيق؛ أنا لا أحب الكرفس بشكل خاص. أما السبانخ فلا تعجبنى بالمرة. من الذى يحبها على أية حال؟ كما أننى أيضا لست من عشاق التغيير".

ابتسمت، قائلة: "ولكن أعجبك بالكرفس الذى أعددته لك، وسوف تعجبك السبانخ أيضاً".

" يبدو ذلك. ربما يعجبنى كل ما تضعينه أمامى".

"مما يجعل طهى الطعام لك متعة حقيقية". ثم التقطت بعض السلاطة، قائلة: "نخب الحديد فى الدم ".

"هل فكرت فى أمر كتاب الطهى؟".

"لقد تفكرت فى الأمر بالفعل ليلة أمس بعد انتهاء نوبة عملى".

"هل هذا هو سبب ارتسام علامات التعب على وجهك؟".

"هذا ليس سؤالا مناسبا بعدما قلت إنك تحب شكلى فى ضوء الشموع".

"عيناك؛ بشكل خاص. هذا لا يعنى أننى لا أرى التعب على وجهك".

فكرت؛ سوف يبقى دائما شديد الصدق معها، بالرغم من أن هذا ينال من كبريائها، إلا أنه كان أفضل من المواساة والأكاذيب البيضاء.

"لم أنم، لذا كان التفكير فى العرض أحد الأشياء التى سرت عنى. كنت أفكر فى دليل الطهى البسيط كعنوان للكتاب".

"لا بأس به".

"هل لديك ما هو أفضل؟".

واصل تناوله للطعام؛ وقد شعر بشىء من المتعة عند سماع نبرة الضيق فى صوتها، فقال: "دعينى أفكر فى الأمر. ما الذى حرمك من النوم؟".

"وكيف أعرف؟ لقد نصحنى الطبيب بشرب شاى عشبى لكى يساعدنى على النوم".

"إن الحب أيضا منوم جيد".

"ربما. وخاصة عندما يكون شريكك . على سبيل المثال . غير مناسب. يمكنك أن تحظى بفترة نوم سريعة عند لقائه".

"أعدك أنك لن تنامى فى هذه الأثناء".

اكتفت بابتسامة؛ وتناولت سلاطتها.

لم يكن من الممكن أن تثق فى تقطيعه للحم؛ كان هذا محرجا بعض الشىء ولكنها قطعته بنفسها وهى تسوى الهليون. قرر برودى ألا يبدى تذمره إذ كانت رائحة اللحم لا تقاوم كما أنه لاحظ أنها

بصدد تقديم البطاطس المهروسة أيضا.

نثرت بعض الجبن على اللحم الطرى وبعض العصير على شرائح اللحم.

بدأ برودى يقول وهو يقطع اللحم: "علينا أن نتوصل إلى اتفاق؛ أنت وأنا ".

"اتفاق؟".

" أجل؛ دقيقة واحدة". تذوق اللحم، ثم أضاف: "تماما مثلما تصورت. إذن لنعقد اتفاقا. الحب مقابل الطعام".

رفعت حاجبيها؛ وضمت شفتيها وكأنها تفكر فى الأمر، ثم قالت: "أمر مثير للاهتمام. ومع ذلك لا أرى أنك سوف تجنى فوائد حقيقية على كلا الجانبين".

"وأنت أيضا، ولكن إن لم يجد أمر الحب هذا يمكننا أن نلجأ إلى الأعمال الشاقة. أى تلك الأعمال التى لا يستطيع القيام بها إلا الرجال. طلاء منزلك أو بعض أعمال السباكة أو أى شىء من هذا القبيل. وأنت تقدمين لى الوجبات الساخنة فى المقابل".

"هذا قد يجدى".

تذوق البطاطس فقال: "يا إلهى! يجب أن أمنحك لقبا عظيماً؛ صاحبة الطعام الفاخر ".

"(سبليندىد ريسى) إذن".

"كلا؛ هذا هو عنوان كتابك. لن يكون دليل الطعام البسيط كما تودين أن تطلقى عليه؛ لأن البسيط يعنى العادى، وإنما سيكون الطعام الفاخر؛ ولكنك لن تكونى مجبرة أن تبذلى العرق طوال اليوم أمام الفرن لإعداده. أنت سوف تقدمين طريقة للعيش وليس للتسرية".

تراجعت فى جلستها، قائلة: "هذا عنوان أفضل، كما أنه مجمل تلخيصى يفوق ما تقدمت به أنا عن فكرتى. اللعنة!".

"أنا متخصص".

قالت آمرة: "تناول الهليون".

"حاضر يا أمى. بالمناسبة؟ لا تفكرى فى حزم بواقى الطعام".

"ملحوظة فى محلها".

تناول الطعام والشراب وهو يراقبها، وعند حد معين شعرت أنها فقدت. هكذا ببساطة. خيط الحوار.

"ريسى؟".

"ماذا؟".

"إنهما العينان. العينان فى الأساس. إنهما عيناك تجذبانى حتى النخاع؛ ولكن كل جزء منك أيضا؟ إنه يبدو جيدا فى ضوء الشموع هو الآخر".

فكرت ريسى؛ هذا غير متوقع. إنه قادر على التفوه بأبعد ما يمكن أن تتوقعه. فابتسمت له ثانية وجعلت بريق الابتسام يضىء وجهها وهى تتناول طعامها.

١٥

أصرت على تنظيف المكان. كان يتوقع منها ذلك؛ بما أنها كانت امرأة تحب أن ترتب الأشياء وتحتفظ بها في مكانها. كان قد راهن نفسه على أنها كانت تميل بطبعها إلى ذلك قبل وقوع الحادث لها في بوسطن؛ كانت على الأرجح تمتلك منزلا منمقا ومطبخا أنيقا على المستوى الشخصي والمهنى أيضا. كانت تعلم دائما مكان إناء المزج المتوسط وقميصها الأزرق المفضل ومفتاح سيارتها. كما أنها بلا شك من ذلك النوع الذى يحرص على ضبط دفتر مصروفاته.

إن ما وقع لها قد عمل على الأرجح على مضاعفة هذا الحس التنظيمى لديها، فهى عند هذا الحد فى حياتها لا تريد فقط وضع كل شىء فى موضعه وإنما هى بحاجة لذلك. سوف يمنحها هذا حس الأمان.

أما بالنسبة له؛ فهو فى معظم أيامه يشعر أنه قد أبلى بلاءً حسنا عندما ينجح فى العثور على زوجى جوارب من لون واحد.

وبما أنه كان يدرك تماما أنها لن تكون راضية بأى شكل آخر؛ فقد حرص على تجفيف الأطباق وإعادتها إلى الخزانة؛ ولكنه حرص على الابتعاد عنها أثناء تخزينها لبقايا الطعام واستعادة مستلزماتها وتنظيف الموقد.

شعرت بالتوتر يدب فى جسدها، ولكنها سعت لاحتوائه بمنتهى الهدوء. كان يمكنه أن يرى علامات التوتر وهى تجعل جسدها يرتجف بينما كانت تشطف منشفة الصحون وتعصرها وتضعها على منتصف حافة الحوض لكى تجف.

شعر برودى أنه بعد انتهاء العشاء وعملية التنظيف؛ أصبح الحب يلقى بشباكه على الغرفة وكأنه ضيف مثير ولكنه متردد.

فكر فى أن ينقض عليها ويقبلها حتى قبل أن يمنحها فرصة للتفكير، ولكنه استبعد الفكرة. على الأقل فى الوقت الراهن. بحثا عن طريقة أكثر رقة.

"هل تودين الخروج فى نزهة؟ إلى البحيرة؛ مثلاً؟".

رأى تعبيراً يجمع بين الدهشة والارتياح على وجهها.

"سوف يكون هذا لطيفا. إننى لم أفعل هذا بعد؛ ليس على هذا الجانب على أية حال".

"إنها ليلة مقمرة صافية؛ سوف يكون هناك ضوء كاف. ولكنك سوف تكونين بحاجة إلى ارتداء سترتك".

"أجل". خطت داخل غرفة التخزين لكى تلتقط سترتها

من فوق المشجب.

تحرك وراءها، ومد يده من فوقها لكى يحضر سترته. تصلب جسدها قليلا عندما احتكت احتكاكا خفيفا بجسده ثم نحت نفسها جانبا جهة الباب.

شعرت أن التوتر قد بدأ ينتابها ثانية؛ لكنه بدا وكأنه يتبخر فى الهواء البارد.

قالت وهى تتنفس بالخارج: "يا للروعة!". كانت رائحة التربة تمتزج برائحة النباتات.

"لم أنجح فى دفع نفسى لكى أقوم بجولة انفرادية ليلا؛ ولكننى مازلت أفكر رغم ذلك". ارتدت سترتها وهى تسير، مستطردة: "فالمكان إما شديد الهدوء أو ليس هادئا بما يكفى؛ كما أننى أجد نفسى أختلق عشرات الأعذار تدفعنى للصعود مباشرة إلى غرفتى بعد انتهاء نوبة العشاء".

"سوف يكون معظم المتواجدين ليلا فى هذا الوقت من العام من أهل البلدة، أى أنه ليس هناك أى داع للقلق".

"أنت لم تسمع إذن بذلك الرجل المهووس الذى يختبئ وسط الأشجار أو المغتصب الذى يفد إلى البلدة من وقت إلى آخر أو مدرس الرياضيات الذى يبدو طيبا؛ ولكنه فى حقيقة الأمر قاتل محترف".

"أظن أنه لم يسبق لى شرف التعرف بهم".

رفعت رأسها ونظرت إليه وكأنها تفكر ثم رفعت كتفيها إلى أعلى، قائلة: "فى إحدى ليالى الأسبوع الماضى كنت أشعر بأرق وكنت أريد أن أقوم بجولة، بل إننى فكرت فى واقع الأمر أن آخذ معى الشوكة لكى أدافع بها عن نفسى حال وقوع أى مكروه أو أى هجوم صوره لى خيالى الجامح".

"شوكة".

" أجل. لقد بدا لى السكين أداة مبالغا فيها؛ ولكن يمكنك أن تلحق قدرا من الضررر بواسطة شوكة جيدة؛ ولكننى قررت

ألا أخرج من الأساس وأن أبقى لمشاهدة فيلم قديم فى التلفاز بدلا من ذلك. هذا أمر مضحك؛ أنا إنسانة مثيرة للسخرية. لمَ تسعى للتقرب منى يا برودى؟".

"ربما لأننى أشعر بانجذاب نحو المرأة المصابة بالعصاب".

" كلا؛ لا". ولكنها ضحكت ودفعت شعرها إلى الوراء لكى تنظر إلى أعلى نحو السماء، قائلة: "يا إلهى! يا لها من سماء كبيرة وصافية. يمكننى أن أرى درب اللبانة. أظن أن هذا هو درب اللبانة؛ هذا ما يمكننى التكهن به وفق معرفتى الفلكية".

"لا تنظرى إلىَّ. أنا فقط أرى مجموعة من النجوم وقمراً ساطعاً أبيض اللون".

"إذن؟". وبما أنه لم يلتقط يدها وشكت فى أنه من هذا النوع الذى يكثر من الإمساك باليد فقد دست يدها فى جيبى سترتها، قائلة: "إذن تصور مشهدا ؛هذه هى صنعتك على أية حال".

علق إبهاميه فى جيبى بنطاله الجينز ثم تفصح شكل النجوم جيدا، قائلاً: "هذا هو (هرمان الوحيد) أو الرجل البدين الذى يقف على إحدى ساقيه. أما ناحية الغرب؛ فسوف تجدين (سالى) التى تحرس الطهاة".

"سالى؟ وهل كانت هنا طوال الوقت؛ لم أكن أعرف أن هناك نجوماً تحمينى".

"إذن أنت لست طاهية".

" بل أنا كذلك الآن، فضلا عن أننى أريد (سالى) لنفسى؛ انظر كيف تتلألأ فى الماء".

كانت النجوم تسبح فى البحيرة؛ آلاف الأضواء كانت تتلألأ فوق صفحة الماء السوداء، كما أن القمر كان يضرب بلونه الأبيض الحالم كل هذا الوميض. كان الهواء زاخرا بالعبير ورائحة الأناناس والماء والتربة والعشب.

قالت له: "أحيانا أشعر أننى أفتقد بوسطن إلى حد يصيبنى

بالألم المبرح، وأشعر وقتها أننى أود أن أعود أدراجى إلى هناك. أعود أدراجى وأبحث عما كنت أملكه هناك؛ حياتى الصاخبة وأصدقائى وشقتى ذات الجدران الحمراء الصينية ومائدة طعامى السوداء الملساء".

"الأحمر الصينى؟".

"كنت أحب مثل هذه الأشياء الصارخة". أجل لقد كانت صارخة. "ثم أجد نفسى أقف فى بقعة كهذه أفكر وأقول حتى إن كنت قادرة على دفن كل ما قد حدث؛ فإننى لا أدرى ما إن كنت مازلت أريد أو أحتاج إلى هذا. لم أعد أحب الأحمر الصينى".

"وما الذى يهم فى ذلك؟ يمكنك أن تجدى لنفسك مكانا حيث أنت؛ وإن لم يناسبك المكان؛ يمكنك أن تبحثى فى مكان آخر. كما يمكنك أن تستخدمى كل الألوان التى تروق لك".

"هذا هو بالضبط ما قلته لنفسى عندما تركت بوسطن. بعت كل شىء. بعت مائدة الطعام السوداء الملساء وكل الأشياء الأخرى. قلت لنفسى إننى يجب أن أفعل ذلك. لم يكن لدى عمل وكان على تسديد فواتير. الكثير من الفواتير؛ ولكن هذا كان فقط جزءا من القصة. شعرت أننى لم أعد أريد هذه الأشياء".

أشار قائلاً: "إنها ملكك على أية حال"، ولكنه فكر فى أنه كان من العصيب على مثلها أن تتخلص من كل شىء. لابد أنه كان أمرا مؤلما وحزيناً.

"أجل. أجل. إنها ملكى ويمكننى بيعها، وهكذا سددت الفواتير. وأنا الآن هنا".

اقتربت من حافة الماء، قائلة: "تلك المرأة فى روايتك؛ التى لم تقتلها رغما عنك، ما اسمها؟".

"مادلين برايت. مادى".

"مادى برايت". نطقت ريسى الاسم لكى تختبر وقعه،

ثم أضافت: "يعجبنى ... اسم دافئ ولكنه قوى. أتمنى لها النجاح".

"وهى أيضا".

بقيا واقفين للحظة جنبا إلى جنب وهما ينظران إلى البحيرة عبر ظلمة الليل؛ نحو ظلال الجبال العملاقة.

"عندما كنت أعلى الطريق فى ذلك اليوم؛ وكنت تسعى لتصور طريقة لقتلها. أو كيف يجب أن تموت. ومررت بك؛ هل بقيت فى مكانك لكى تتأكد من رجوعى سالمة؟".

بقى محدقا فى التيتونز، قائلاً: "لقد كان يوما لطيفا. لم يكن لدى شىء آخر يمكن أن أفعله".

"لقد كنت تسير فى اتجاهى حتى قبل أن تسمع وقع أقدامى وأنا أعدو فى طريق العودة".

كرر قائلا: "لم يكن لدى شىء آخر أفعله". فاستدارت لكى تواجهه.

"لقد كان هذا لطفا منك".

ثم أقدمت على المجازفة؛ أقدمت على خطوة كبيرة بالنسبة لها، وكأنها ترمى بنفسها من أعلى مرتفع فى قاع النهر. رفعت يديها ووضعتهما على وجهه ودفعت نفسها على أصابع قدميها. ولمست بشفتيها شفتيه.

"أخشى أن أفسد كل هذا. يجب أن تعرف ذلك قبل أن نعود أدراجنا؛ ولكننى أود العودة على أية حال. أريد أن أعود وأوى إلى البيت بصحبتك".

"هذه فكرة ممتازة".

"وهى تراودنى على فترات متباعدة، لذا ربما يجدر بك فى هذه الحالة أن تقبض على يدى حتى لا أفقد أعصابى وأسعى للفرار".

"بالطبع".

ولكنها لم تفقد أعصابها تماما؛ ولم تسع للفرار وإنما مع

كل خطوة عودة نحو الكبينة ظلت الشكوك تزحف عليها.

"ربما يجدر بنا تناول شراب أولا".

"لقد شربنا بما يكفى. شكرا". بقى قابضا على يدها وواصل السير.

"قد يكون من الأفضل أن نتحدث عما سوف يقودنا إليه ذلك".

"سوف يقودنا الآن إلى الكبينة".

"أجل ولكن ...". شعرت أن كل محاولاتها سوف تبوء بالفشل لأنه كان يسحبها بالفعل نحو الداخل. "الآن؛ هل تود إغلاق الباب؟".

أدار المفتاح، قائلاً: "ها هو قد أغلق".

"أرى أننا فى واقع الأمر بحاجة إلى ـ"

ثم قاطعت نفسها وهى ذاهلة تماما عندما حملها فوق كتفه.

"أجل. حسناً". شعرت بصراع ساخن يعتمل بداخلها عما إذا كان حملها بهذه الطريقة مثيراً للخوف والتوتر أم مثيراً للرومانسية. "أنا لست واثقة من أن هذا هو ما يجب أن نفعله. أظن أننا إن نقاشنا الأمر لبضع دقائق ... إننى فقط أريد أن أطلب منك أن تبقى توقعاتك متواضعة لأننى ...".

"أنت تتحدثين كثيراً".

"سوف يزداد الأمر سوءاً". أغلقت عينيها وأغمضتهما عندما بدأ يصعد الدرج، ثم أضافت: "أشعر بالقلق يقبض على حلقى. اسمعنى؛ اسمعنى؛ عندما كنا بالخارج؛ كان بوسعى أن أتنفس؛ وقد تصورت عندها أننى أستطيع أن أفعل ذلك. هذا لا يعنى أننى لا أريد ولكننى فقط لست واثقة. لا أدرى. يا إلهى. هل هناك مفتاح لباب الغرفة؟".

أغلق الباب ثم استدار وأدار المفتاح، قائلاً: "هل هذا أفضل؟".

"لا أدرى. ربما. أعلم أننى أبدو حمقاء ولكننى فقط لست ـ"

"إن إدراكك لكونك حمقاء هو أول خطوة فى طريق الشفاء". أنزلها على قدميها، قائلاً: "الآن اهدئى".

"إننى فقط أفكر فى أننا إن ـ"

تلاشت الأفكار لأنه بدأ يقترب منها ثانية، ثم دفعها نحوه وقبلها بحرارة.

كان كل ما يمكنها عمله هو أن تبقى ثابتة بينما كانت المخاوف والأفكار تعتمل بداخلها.

كان جزء منها يتهاوى وجزء آخر يسعى للفرار.

"أظن أننى ـ"

"أنت بحاجة لأن تبقى هادئة". قالها ثم قبلها ثانية.

" أعلم. ربما يمكنك أن تتحدث؛ ولكن ألا يمكنك أن تطفئ الأنوار".

"أنا لم أضئ الأنوار من الأساس".

" يا إلهى!". بدا لها ضوء القمر الفضى، وضوء النجوم المتلألئة الرائعة الخافتة بالخارج، شديد السطوع بالداخل.

"تظاهرى بأننى مازلت أقبض على يدك لكيلا تهربى".

ولكنها شعرت بيديه وهى تتحسسها. يا لها من إثارة صغيرة محببة. " كم يداً تملك؟".

" ما يكفى لاحتوائك. انظرى إلى. انظرى إلى يا ريسى. هذا ما يجب عليك فعله. تعلمين أول مرة رأيتك فيها؟".

" فى ... فى المطعم لدى جوانى". زاد ضوء القمر من ظلمة عينيه، وكأن سواد الليل قد ابتلعهما.

" أجل، فى المرة الأولى التى رأيتك فيها؛ شعرت بتدفق الدماء فى شرايينى. أتدرين ما أود قوله؟".

"نعم .نعم. يا برودى؛ فقط ـ"

"أحيانا يمكنك إحباط مثل هذه المشاعر". قالها وهو

يتحسس طريقه إلى حلقها. "وأحيانا لا تفعلين، ولكنك تكونين مدركة تماما لمثل هذه المشاعر".

"لو كان المكان مظلما، لربما شعرت أننى فى حال أفضل".

أمسك يدها التى كانت قد رفعتها لكى تغطى الجرح فوق صدرها ونحاها جانباً، قائلاً: "سوف نختبر نظريتك هذه فى وقت لاحق. أنت تملكين بشرة جميلة أيتها النحيفة".

كانت قد اقتربت من عينيه الآن إلى الحد الذى أشعرها أنهما قد استعادا لونهما الأخضر. كانت مزيجا من الأخضر والكهرمان؛ كانت شديدة اليقظة. لم تشعر بالأمان عندما أخذت تحدق فيهما؛ لم تشعر بالأمان مطلقا؛ولكن هذا الخوف كان يشعرها بشىء من الإثارة.

شعرت باستحياء وتردد مفاجئ؛ شعرت بالحب والدفء. ولكن أيا كانت الحالة التى انتابتها فقد كانت تحب هذا الشعور وتحس معه بالارتياح.

حتى بالرغم من أن نوبة الفزع كانت قد بدأت تزحف عليها. فقد قاومتها؛ طالبت عقلها أن يصمت ويترك زمام الأمور لجسدها؛ ولكنه فى النهاية خذلها حيث شعرت أنها عاجزة عن التنفس.

"لا أستطيع أن أتنفس. لا أستطيع. انتظر. توقف".

استغرق لحظة إلى أن أدرك أنه الفزع وليست الإثارة. نحى نفسه جانبا ثم أمسك كتفيها لكى يجلسها.

هزها قليلا، قائلاً: "أنت تتنفسين، كفى عن التقاط الهواء. أنت بذلك تفرطين فى التنفس".

"حسنا. حسناً". كانت تعلم ما يجب عليها عمله. كان عليها أن تركز على أنفاسها؛ كان عليها أن تركز على آلية التنفس والتقاط الهواء ببطء وثبات.

بدافع الشعور بالخزى؛ لفت ذراعيها حول جسمها وهى تجلس تحت ضوءالقمر، قائلة: "آسفة. آسفة. اللعنة؛ لقد

سئمت هذا الخوف".

"إذن كفى عنه".

"هل تظن أن الأمر بهذه البساطة؟ لقد قررت أن أكون طبيعية الآن. هل تظن أنه يروقنى الجلوس هنا وقد اعترانى الشعور بالمهانة".

"لا أدرى؛ فهل لديك أنت إجابة؟".

"أيها الوضيع".

"هأنت ثانية؛ تتلطفين فى الحديث معى". رأى الحب فى عينيها ما راق له كثيرا؛ ولكنه رأى بريقا فيهما؛ إنه نذير بكاء.

"إن شرعت فى البكاء فسوف تثيرين ضيقى".

"لن أبكى؛ أيها الوضيع". ثم دفعت دمعتها بعيدا.

"هل آلمتك؟".

"ماذا؟".

"هل آلمتك؟".

"كلا، ولكننى فقط ... عجزت عن التقاط أنفاسى. شعرت؛ لا أدرى؛ شعرت أننى حبيسة. إنه الخوف المرضى والتوتر وكل هذه الأشياء التى تعرفها".

"حسنا؛ إن كان هذا هو كل ما فى الأمر؛ يمكننى أن أعالجه".

"برودى ...".

"فقط انظرى إلى، هونى على نفسك".

"أشعر أننى لا أجيد ما أفعله".

"كلا؛ لست كذلك". ثم ترك يده تعبث فى شعرها إلى أن رأى الدماء تتدفق ثانية فى وجنتيها، فأضاف: "بل إنك مناسبة؛ خائفة بعض الشىء. ولكنك تجيدين ما تفعلين. قبلينى ثانية".

منحته القبلة وتخلصت من خوفها. كان قلبه يدق بقوة

وكذلك قلبها.

ومع ذلك بدأت تعترض؛ تنسحب؛ ولكنه أمسكها؛ وأبقى عينيه مثبتتين فى عينيها.

شعرت بسعادة غامرة وهى تكاد تنتحب أثناء التقاط أنفاسها.

ألقت جسدها على الفراش، وبدون أن تكون لديها أدنى فكرة عما يمكنها قوله أو فعله، ولكنها شعرت بمزيج من الخفة والخمول فى جسدها، بالرغم من أن قلبها كان يدق مثلما تدق طبول الطابور العسكرى. لو كان بوسعها أن تحشد طاقتها للملمت نفسها وبكت.

دموع السعادة الخالصة.

لقد وجدت من تحبه ويحبها بعد كل هذه المتاعب. وكانت التجربة غنية ورائعة.

ولقد كانت تدرك؛ تدرك جيدا أنها لم تكن هى وحدها التى تشعر بذلك.

"أود أن أقول لك شكرا؛ فهل هذا غباء؟".

أدار برودى نفسه بما يكفى لكى يربت على ظهرها، قائلاً: "معظم النساء يرسلن لى هدايا ثمنية بعدما أعبر لهن عن حبى؛ ولكننى يمكن أن أكتفى بالشكر فقط هذه المرة".

أطلقت ضحكة خافتة وهى تدفع نفسها إلى أعلى لكى تلقى نظرة عليه. كانت عيناه مغمضتين ووجهه مسترخياً. هذا التعبير الذكورى الخالص الذى ينم عن الرضا وهو ما جعلها تريد أن تقفز وترقص رقصة النصر.

أجل لقد منحت بقدر ما أخذت.

ذكرته قائلة: "لقد أعددت لك العشاء".

فتح عينيه فى خمول، قائلاً: "أجل أنت محققة. هذا يحسب

لك. كيف حالك أيتها النحيفة؟".

"الحقيقة؟ كنت أظن أننى لن أعيش هذا الشعور ثانية. سوف تكون بمثابة خسارة أخرى من بين كل الخسارات ... اللعنة؛ من بين كل الخسارات الأخرى ولكنها تبقى خسارة كبيرة. إذن أود أن أشكرك حقا لأنك أثبت لى أننى كنت مخطئة تماما". قالتها بينما انفجر هو ضاحكا، فقالت: "حسنا سوف أصمت الآن".

"هذا أفضل".

أخذت تعبث بشعره؛ كان كل ما تريده هو أن تسترخى وتستسلم للنوم. "أظن إذا أننى يجب أن أعود إلى المنزل".

"لماذا؟".

"لأن الوقت قد تأخر".

"هل تفرض عليك جوانى موعداً للعودة لا يمكنك تجاوزه؟".

"كلا ولكن ... هل تريدنى أن أبقى؟".

"أشعر أنك إن بقيت الليلة فسوف تشعرين أنك مضطرة لإعداد طعام الإفطار فى الصباح".

"شعرت بشىء من السعادة فى قلبها، فقالت: "يمكنك أن تقنعنى بالفعل بالبقاء لإعداد الإفطار".

"أنا شديد الإقناع فى هذه الأمور، فضلا عن أن الوقت لم يتأخر".

" فى هذه الحالة يمكننى أن أبقى".

وبعدها؛ عندما استسلم للنوم؛ بقيت هى فى حالة من الأرق والاضطراب. أخذت تسعى لإقناع نفسها بالاستسلام للنوم ولكنها أذعنت فى النهاية ونهضت من الفراش.

سوف تتفحص الأبواب . مرة واحدة؛ واحدة فقط؛ هكذا قالت لنفسها؛ ارتدت قميصه قبل أن تسير على أطراف أصابعها خارجة من الغرفة. كانت كل قرقعة للخشب تحت قدميها وهى

تهبط الدرج تجعلها تكشر.

تفقدت الباب الأمامى أولا. إنه مغلق؛ هكذا قالت لنفسها. ألم تغلقه هى بنفسها؟ ومع ذلك؛ ما الذى سوف يضيرها إن تفقدته ثانية. كان الباب الخلفى مغلقا هو الآخر. بالطبع كان كذلك. ولكن ...

سارت نحو مؤخرة المنزل وتفقدت الأقفال. للحظة أخذت تتفحص مقاعد المطبخ. كانت تريد أن تضع مقعدا تحت مقبض الباب وكان عليها أن تقاوم رغبتها فى ذلك.

إنها لم تكن فقط بمفردها فى المنزل، وإنما كانت بصحبة رجل كبير وقوى. لن يجرؤ أحد على اقتحام المكان على أية حال؛ ولكن إن تجرأ أحدهم؛ فسوف يكون برودى قادرا على التصدى له.

أجبرت نفسها على الاستدارة بعيداً عن الباب والمقاعد ومغادرة الغرفة.

"هل هناك مشكلة؟".

لم تصرخ، ولكنها كانت على وشك أن تفعل. تعثرت إلى الوراء؛ وارتطم وركها بشكل مؤلم فى مقبض الباب. "ربما تكونين بالفعل مزعجة بعض الشىء".

"أجل؛ ربما؛ كنت فقط -". تراجعت إلى الوراء ورفعت كتفيها إلى أعلى.

لقد سمعها وهى تغادر الغرفة وظن أنها سوف تذهب إلى الحمام؛ ولكنه سمع وقع خطواتها على الدرج فدفعه الفضول إلى تتبعها إلى أسفل.

سألها بشكل عابر: "هل كل شىء مغلق؟".

"نعم. إننى فقط كنت أريد ... أن أتفقد هذه الأشياء قبل أن أنام. لا تشغل بالك".

"ومن قال إننى أشغل بالى؟ هل هذا قميصى؟".

"حسنا؛ أجل".

"حسناً، ولكن بما أنك لم تطلبى منى استعارته؛ وهو ما يعد تصرفا غير لائق؛ فأرى أنك يجب أن تصعدى إلى أعلى وترديه لى".

"أنت محق تماما". شعرت بأن كل شىء بداخلها يسترخى ثانية. "أشعر بالخزى".

"ينبغى أن تشعرى بذلك". أمسك يدها وصعد بها الدرج.

"كيف سيكون شعورك إن أخذت ملابسك بدون إذنك؟".

"لا أظن أننى سوف أمانع؛ ولكنها سوف تبدو رائعة عليك".

" أجل؛ كما لو كان كل ما لديك يناسبنى. كيف تريدين الباب؟".

اكتفت بالتحديق فيه وسألت نفسها ما إن كان قد سمع قلبها وهو يدق ويكاد يسقط فى قدمها. "أريد الباب مغلقاً بالقفل؛ إن كان هذا يناسبك".

"لا يهم". أغلق الباب بالقفل، قائلاً: "الآن أعطنى قميصى".

أيقظها الحلم؛ تتابع المشاهد والصور والألم المباغت السريع. فتحت عينيها بسرعة. لم تنم فى المخزن ولم تكن تنزف. ولكن أشباح وظلال الغرفة بدت غير مألوفة وجعلت قلبها يخفق إلى أن تذكرت.

إنها غرفة نوم برودى. لم تكن فقط آمنة وإنما كانت فى حالة رائعة لا تكاد تصدقها.

كان برودى ينتمى إلى تلك الفئة التى تنام على بطنها؛ لاحظت ريسى ذلك وهى تدير وجهها لكى تتفحصه، كما أنه كان أيضا كثير الحركة أثناء النوم حتى أنه أثناء الليل دفعها إلى حافة الفراش تاركا لها مثلثا صغيرا لكى تنام فيه؛ ولكن

كان هذا لا بأس به. فقد نامت لعدة ساعات متواصلة نوما متواصلا فى هذه المساحة البائسة.

دفعت نفسها بخفة من تلك المساحة الضئيلة التى كانت تشغلها وانتابها شعور خافت بخيبة الأمل لأنه لم يمد ذراعه لكى يحتويها؛ ولكنها هى الأخرى؛ قالت لنفسها وهى تلملم ملابسها يجب أن تنجزى بعض الأشياء بما فى ذلك إعداد الإفطار بواسطة تلك المستلزمات المتواضعة فى مطبخ برودى.

انسلت خارج الغرفة نحو ظلام البهو إلى الباب. عندما ضغطت على ذر مقبض الباب وجدته يرتد بدون أن يغلق الباب. وبعد عدة محاولات بقيت واقفة أمامه وهى تكوم ملابسها عند ثديها محدقة فى المقبض.

إنه لم يغلق؛ كيف هذا؟ كان هناك قفل عند باب غرفة النوم ولكن لم يكن هناك واحد فى الحمام. هذا سخف؛ هذا خطأ. يجب أن يغلق؛ ولكن برغم كل محاولتها للضغط عليه ودفعه؛ باءت كل المحاولات بالفشل.

"لا يجب أن أغلق الباب. لن يقتحم أحد المنزل ويقتلنى ليلة أمس ولن يقتحمه أحد هذا الصباح". كان برودى ينام أمامها عبر البهو فى غرفته. "ثلاث دقائق فقط تحت صنبور الماء؛ هذا هو كل ما فى الأمر. سوف أدخل وأخرج فى الحال. سوف تسير الأمور على ما يرام".

كانت سعة حمامه تبلغ ضعف مساحة حمامها؛ وكان يضم حوضا تقليديا أبيض اللون وصنبور ماء للاستحمام، ومناشف زرقاء ضاربة إلى السواد. لم تكن فى واقع الأمر متسقة مع اللون الأخضر الذى يميز حافة الحمام؛ ولكن مع ذلك لم يكن فيه شىء لافت أو شىء شاذ. أخذت تحدق فى الباب وهى تستدير لكى تدير الصنبور.

أعجبتها تلك الجدران المصنوعة من ألواح الخشب المتلاصقة وأرضية الحمام التى تبدو كاللوح الأردوازى. كان

عليه أن يقتنى اللون الرمادى للمناشف؛ فكرت؛ أو حتى يحاول التنسيق مع اللون الأخضر المميز للحواف.

حاولت أن تركز على هذه الفكرة وعلى بساطة الغرفة وهى تتراجع تحت صنبور الماء.

التقطت الصابون وأخذت تركز فى جدول الضرب. قفزت الصابونة من بين يديها عندما سمعت صوت الطرق على الباب.

قالت لنفسها: إن المجرم لن يطرق الباب، فنادت قائلة: "برودى؟".

قال لها من وراء الباب: "وهل هناك شخص آخر؟ ما الذى يعنيك فى حاصل رقم ثمانية وأنت تستحمين؟".

"لأن الغناء أثناء الاستحمام يبدو لى تقليديا للغاية.لن أستغرق دقيقة".

١٦

بدلا من أن يكون شهرا دافئاً؛ أمطر شهر مايو أنجيل فيست بوابل من العواصف الشرسة التى أخذت ترعد فى الجبال وتثير البحيرة؛ ولكن النهار أصبح أكثر طولا بينما تراجع الليل أكثر فأكثر. تحملت ريسى كل ذلك مقابل رؤية الثلوج وهى تذوب على التلال الأكثر انخفاضا بينما كانت أشجار القطن الحورى والصفصاف تكتسى بالخضرة فى واديها الصغير.

أخذت الزهور تزدهر بألوانها الزاهية حتى بالرغم من ضرب الهواء والمطر لها. كانت ريسى تمر هى الأخرى بنفس المشاعر؛ كانت تواجه الرياح والصعاب؛ ولكنها مع ذلك بدأت هى الأخرى

تزدهر ثانية.

كما أنها فى هذا اليوم المشهود؛ سوف تجترئ على تخطى حدود أنجيل فيست أيضًا.

بالنسبة لمعظم النساء كان قص الشعر وإعادة تصفيفه بشكل مختلف إحدى الخطوات البسيطة فى حياتهن. أما بالنسبة لريسى فقد كان الأمر يحمل لها نفس القدر من الإثارة والفزع اللذين يحملهما القفز بمظلة فى الهواء، وبما أنها كانت قافزة مبتدئة، فقد بقيت متشبثة بالباب.

قالت لجوانى: "يمكننى ببساطة أن أعدل برنامجى إن كان لديك ضغط عمل اليوم ...".

قالت جوانى وهى تصب مخفوق اللبن والبيض فى الإناء لإعداد الكعك: "لم أقل إن هناك ضغط عمل".

"أجل، ولكن فى ظل هذا الجو، سوف يزدحم المكان فى وقت الغداء. أنا لا أمانع فى البقاء".

"كنت أتولى إدارة هذا المطبخ قبل مجيئك".

"بالطبع بالطبع؛ كنت تفعلين، ولكن إن كنت بحاجة إلى أية مساعدة إضافية اليوم ...".

"لدى مساعدان بالفعل؛ ألا ترين بيك هنا؟".

رماها بيك الذى كان يقف صلبا وكأنه جذع شجرة ودافئا وكأنه طبق أرز شديد النضج بابتسامة وهو يقطع شرائح الكرنب لتجهيز سلاطة الكرنب، قائلاً: "سوف تجهدنى فى العمل كعادتها".

"إن لم تنه إعداد الكرنب بحلول الحادية عشرة فسوف أركلك على مؤخرتك كما تعلم".

"كفى عن هذا يا جوانى".

قالت جوانى لريسى: "هل تودين حقا المساعدة؟ قدمى لـ ماك القهوة فى طريقك للخروج".

"حسنا. سوف يكون معى هاتفى الجوال إن غيرت رأيك، كما أننى لن أغادر قبل ساعة".

جرت ساقيها قليلا، ولكنها التقطت الإناء واتجهت نحو المنضدة حيث كان ماك يجلس بجوار فطائره.

"هل كنت تتشاجرين مع جوانى؟".

"ماذا؟! كلا لم يحدث شىء من هذا القبيل بالمرة". صبت القهوة، مستطردة: "إننى فقط مررت بها، فاليوم يوم عطلتى".

"أهو ذاك؟ إذن لديك خطط كبيرة؟".

"نعم. نوعاً ما. سوف أذهب بصحبة ليندا إلى جاكسون".

" للتسوق؛ فهمت".

"ربما بعض التسوق". كانت ليندا قد حذرتها من أن تتفوه بعبارة (سوف أقص شعرى).

"ستقطعين كل هذا الطريق إلى جاكسون لقص شعرك؟". تجهم قليلا، ثم أضاف: "لدينا هنا مصفف في البلدة يدعى (كورى كمب) يمكنك أن تذهبى إليه".

كان (كورى كمب) متجراً يضم مقعدين لقص الشعر وفرده، ولكن ريسى ابتسمت ابتسامة خفيفة وهى تمد له يدها بوعاء السكر، قائلة: "يبدو لك هذا سخيفا؛ أليس كذلك؟ ولكن ليندا تريد أن تجرى تغييرا جذريا. لا أظن أننى بحاجة إلى ذلك".

قالت جوانى وهى تقدم الكعك والسوسيس بنفسها: "هيا اخرجى من هنا".

التقطت ريسى حقيبتها والملف الذى كانت قد حملته معها: "سوف أنصرف إذن، فكرت فى عرض الرسم الذى أعده دوك عليهم هناك. ألم تقابل بعد شخصاً تعرف على الصورة؟".

وكعادتها؛ استخرجت ريسى إحدى النسخ وأرتها لـ ماك ثانية.

"كلا. لقد وضعت النسخة عند المنضدة الأمامية فى المتجر لكى يتعرف عليها أى أحد".

"أقدر لك ذلك. حسنا؛ إن جاكسون أيضا مكان كبير". أعادت ريسى النسخة إلى الملف، مستطردة: "ربما يحالفنى حظ أفضل هناك".

صاحت جوانى قائلة: "ولكن لا تأتينا منتحبة هنا عندما يحلقون لك رأسك"، ثم أطلقت ضحكة صاخبة عندما شحب وجه ريسى. "سوف يسدون لك خدمة عدم إنفاق أجرك الذى تتقاضينه هنا. عليك بالتزام الحضور غدا فى السادسة صباحا أياً كان شكلك".

قال ماك: "يمكنها على أية حال أن ترتدى قبعة".

"شكرا. شكرا جزيلا. إنى راحلة".

خرجت وحرصت على أن تكون قد ابتعدت عن مرأى النافذة الأمامية الكبيرة قبل أن تمرر يدها فى شعرها. سوف تجعل ليندا تقص شعرها هى أولا وتخوض التجربة. لا أحد سيفرض عليها أن تقص شعرها. هذا خيار؛ محض اختيار.

احتمال.

ولكن الذهاب إلى جاكسون كان فى حد ذاته فكرة جيدة، لأنه سوف يمنحها فرصة لتوزيع النسخ. لم يتعرف على السيدة أى أحد فى أنجيل فيست، باستثناء جيف الذى كان يرى أنها تشبه بينلوبى كروز.

إن كانت هذه المرأة مسافرة عبر المنطقة؛ فهذا يعنى أن فرصة رؤيتها سيكون أكبر فى مدينة أكبر اتساعا وكثافة سكانية مثل جاكسون. إنه مكان أكثر اتساعا وحجما من ضواحى أنجيل فيست.

والآن؛ بما أنه كان قد بقى لديها بعض الوقت الشاغر الذى لم تكن تريد أن تقضيه فى التفكير فى شعرها؛ سارت نحو مكتب المأمور.

كان قد مضى أسبوع على آخر مرة سألته فيها عن آخر ما توصل له من أخبار. بالطبع كانت تقضى الوقت الأكبر من هذا الأسبوع إما فى العمل أو مع برودى؛ ولكن مثل هذه المشاغل هى التى أبقتها بمنأى عنه حتى لا يتهمها أنها تلاحقه.

عندما دخلت، كان (هانك أوبراين) فى المناوبة. كان صاحب ذقن أسود، وكان يعشق شرائح الدجاج المقلى وكانت جدته لأمه شوشانية الأصل اشتهرت ببراعتها فى صناعة الفخار.

عندما دخلت، كان هانك يحتسى القهوة بإحدى يديه ويدق على لائحة تشغيل الحاسوب بيده الأخرى. نظر إليها، قائلاً: "كيف حالك يا ريسى؟".

"على ما يرام. شكرا لك. كيف حال جدتك؟".

"وجدت لنفسها صديقا؛ أحد عجائز القبيلة، فقد زوجته منذ

ما يقرب من عام. إنه فى الثالثة والتسعين، ولكنه يحوم حولها ويحضر لها الزهور والحلوى. لا أدرى ما الذى يمكننى عمله حيال ذلك".

"هذا لطيف". ولكن بما أن علامات الألم كانت قد ارتسمت على وجهه؛ أضافت ريسى قائلة: "على أية حال سوف تهتم أنت بأمرها. هل المأمور مشغول؟ فقط أردت أن ...".

حتى بالرغم من أنها كانت تتحدث؛ فقد سمعت وقع ضحكة. خرج مردسون ممسكا بيد زوجته.

كان هذا لطيفا أيضا؛ فكرت ريسى. مشهد الناس وهم مع بعضهم. كان مردسون يحمل ابتسامة عذبة على وجهه وكانت ديبى مازالت تضحك؛ وهى تأرجح أيديهما قليلا وهما يسيران.

كانت حلوة؛ صاحبة قوام رياضى؛ وكانت شقراء صاحبة شعر قصير وعين خضراء ضاربة إلى اللون الزمردى. كانت ترتدى بنطالا من الجينز وحذاء رعاة بقر عالٍ وقميص أحمر وسترة قطنية شاحبة اللون. كانت هناك ملعقة تتدلى من السلسلة الذهبية التى تطوق عنقها؛ ملعقة فى شكل شمس مشرقة؛ لاحظتها ريسى. إنها جميلة.

كانت ديبى تنظم رحلات للسائحين فى طريق الغابة والمرتفعات؛ كان مكتبها بجوار الفندق؛ وكانت تسعى لتنسيق عملها مع الفندق وتبيع رخص الصيد البحرى والبرى. وكانت وثيقة الصلة بـ برندا، وتحضر أبناءها عصر كل يوم أحد إلى جوانى لتناول الآيس كريم.

بعثت ابتسامة سريعة دافئة إلى ريسى، قائلة: "مرحبا! كنت أظن أنك ذاهبة إلى جاكسون هول اليوم".

"أجل؛ أجل؛ حسنا؛ فى وقت لاحق".

"لقد التقيت بـ ليندا بالأمس وعلمت منها أن لديكم خططاً كبيرة اليوم. سوف تقصين شعرك؟ إنه جميل، ولكنه يضايقك بعض الشىء أثناء الشواء، أليس كذلك؟ إن الرجال مازالوا يحبون الشعر الطويل، أليس كذلك؟ يا لك من مسكين يا ريك!". قالت وهى تضحكك ثانية: "إننى أحرص على قص شعرى بشكل دائم".

"ولكنه يعجبنى كذلك". مال نحوها وقبلها ووضع إصبعه على

حافة شعرها، مضيفاً: "أنت شمسى المضيئة".

قالت ديبى بابتسامة وهى تطرق ذراع ريك بذراعها: "أسمعت؟ إنه عذب الحديث. لقد جئت إليه لكى أقنعه أن نقضى ساعة معا فى نزهة ولكنه خذلنى".

قال ريك: "لا يجيد الجميع لعب الهوكى، ولكن هذه السيدة عندما تمتطى الحصان يمكنها أن تقضى الساعات. هل هناك ما يمكن أن أسديه لك يا ريسى؟".

"فكرت أن أمر عليك قبل أن أذهب، فقط لكى أسألك ما إن كنت قد توصلت إلى أى جديد". بقيت منتظرة للحظة ثم استخرجت أحد الرسومات، قائلة: "عنها".

"للأسف، لا. لم يصلنى أى بلاغ فى هذه المنطقة عن اختفاء أى شخص يحمل هذه المواصفات، كما لم يتعرف أى شخص عليها. ليس هناك الكثير مما يمكننى عمله".

"كلا. حسنا؛ أعلم أنك فعلت ما يمكنك عمله. ربما يحالفنى بعض الحظ فى جاكسون. سوف أذهب وأعرض عليهم الرسم هناك".

قال ريك فى بطء: "لن أثنيك عن ذلك، ولكن عليك أن تفهمى . وأنا بذلك لا أسعى للإساءة إلى دوك . أن الصورة ليست دقيقة. فبدون التفاصيل كاملة؛ قد تلتقين ببعض من يظنون أنهم رأوا سيدة تشبه الصورة، وهذا يعنى أنه سوف ينتهى بك المآل إلى مطاردة شبح".

"ربما تكون محقا" قالتها ريسى وهى تعيد الصورة إلى الملف بدون أن يفوتها إلقاء نظرة على وجه ديبى. إن كان هناك شىء نجحت ريسى فى إدراكه فهو نظرة الشفقة على وجهها، فأضافت: "أشعر أننى يجب أن أحاول على الأقل. يجدر بى أن أنصرف. شكرا أيها المأمور. سعدت بلقائك يا ديبى. إلى اللقاء يا هانك".

شعرت بلهيب يلفح ظهر عنقها وهى تغادر، لأنه فضلا عن الشفقة التى كانوا يشعرون بها حيالها، فقد كانت تعلم أنها ممزوجة بشىء من عدم التصديق.

كم أنت مجنونة يا ريسى جليمور.

قالت لنفسها وهى تسير فى طريق العودة إلى جوانى لكى تركب سيارتها: انسى الأمر؛ انسيه فحسب. لا يمكنها أن تتظاهر أنها لم تر ما رأته؛ لا يسعها أن تلقى بالصور فى أحد أدراجها وتنسى الأمر برمته.

كما أنها لن تسمح لهذا الأمر بأن يثير إحباطها؛ ليس اليوم.

اليوم سوف تذهب إلى البدة وتصفف شعرها.

ليساعدها الله.

كانت الزهور على وشك الإزهار. شعرت ريسى أنها تكاد تسمع صوتها وهى تلتقط نفسها عميقا طويلا لتفجر لونها الزاهى.

كان هناك ثلاث بجعات تقف فى شكل عسكرى فوق المستنقع، ولكنها كانت أول مرة ترى فيها حيوان القيوط وهو ينسل خلسة على السطح مما دفعها إلى مطالبة ليندا بإيقاف السيارة.

بالرغم من أن ليندا أسمته بالفأر البدين؛ فقد أذعنت لرغبة ريسى.

"إنه يبدو مفترسا جارحا".

"إنه متسلل لعين". كان هذا هو رأى ليندا.

"ربما، ولكننى أود أن أسمع صوته كما فى الأفلام".

"كدت أنسى أنك من أبناء المدينة. الجو سوف يصبح دافئا عما قريب إلى حد يسمح لك بإبقاء النافذة مفتوحة. ربما يتسنى لك سماع صوته عندها فى وقت ما".

"سوف أضع هذا فى قائمة اهتماماتى. شكرا على توقفك لفتاة المدينة".

"لا مشكلة". ثم سارا ثانية فى الطريق المؤدى إلى جاكسون هول بينما كان صوت مرتينا مكبرايد ينبعث من مسجل السيارة.

إن كانت ريسى تعتبر أنجيل فيست ماسة خام ومثيرة للاهتمام فقد كانت جاكسون مدينة كبيرة ومنمقة ومعبأة بالعبق الغربى

ومزينة بألوان النيون الصاخبة. كانت المتاجر والمطاعم والمتاحف تنتشر على جانبى الشوارع المزدحمة. كان الكل يبدو مشغولا؛ الكل يعرف وجهته. فكرت ريسى؛ ربما هى وقفة بالبلدة قبل زيارة أكبر المنتزهات وقد أصبحنا على أعتاب فصل الصيف.

سوف يتوافد البعض إلى البلدة لشراء المستلزمات أو لحضور موعد على الغداء أو للقاء عمل.

كانت البلدة مزدهرة وحية ونشطة، ولكن بعيدا عن هذه الهياكل وسرعة المدنية هنا؛ كانت الجبال البيضاء المتجمدة تقف فى شموخ باهر حولها. إنها تثبت تفوقها على كل صنع بنى الإنسان؛ كان بريقها يفوق بريق الجواهر تحت أشعة الشمس.

وقد أدركت ريسى فى الحال أنه بالرغم من أن المشهد كان أخاذا إلا أنها كانت قد أحسنت صنعا بالبقاء فى أنجيل فيست.

كان المكان يعج بالزحام والناس؛ أحداث كثيرة تجرى هنا فى آن واحد. الفنادق الصغيرة والكبيرة ومراكز الترفيه والرياضات الشتوية والرياضات الصيفية ومكاتب العقارات.

كانت قد خطت داخل حدود المدينة بالكاد عندما شعرت أنها تريد أن تعود أدراجها عائدة ثانية.

قالت ليندا وهى تشق طريقها وكأنها فى سباق: "سوف تستمتعين كثيراً! إن كنت تشعرين بشىء من القلق أو شىء من هذا القبيل؛ فقط أغمضى عينيك".

"وأفتقد رؤية الحادث؟".

"أنا سائقة ماهرة". وقد أثبتت ليندا ذلك بالفعل عندما انسلت بالسيارة بين سيارة أخرى ودراجة بخارية، ثم لوحت بمرح لسائقيها، ثم استدارت فى منعطف بينما كانت الإشارة صفراء، قائلة: "أظن أننى تحولت إلى اللون الأحمر".

"أما أنا فقد تحولت إلى اللون الأخضر. ليندا ـ"

"ها قد قاربنا على الوصول. علينا أن نرفه عن أنفسنا جيدا فى يوم من الأيام؛ ربما يمكن أن نحجز يوماً كاملا فى أحد المنتجعات. لديهم منتجعات رائعة هنا. أريد أن يغطينى أحد بالطين ويدلك جسمى بالأعشاب؛ يا إلهى! ها هو موضع لركن السيارة".

هرعت إليه وكأنها تقود صاروخا منطلقا وليست سيارة. تلاشت كل مخاوف ريسى بشأن الضوضاء والمواصلات وقص شعرها عندما ابتعلت خوفها من الموت المحدق.

وقبل أن تقول الدعاء؛ كانت ليندا قد ركنت السيارة بالفعل فى أحد الأماكن، قائلة: "سوف نسير قليلا على الأقدام، ولكن من يدرى قد لا نجد لأنفسنا مكاناً غيره، فضلا عن أنك سوف تشاهدين المكان جيدا أثناء السير".

"أظن أننى فقدت سيطرتى تماما على جزئى السفلى".

ضحكت ليندا وربتت على ريسى، قائلة: "هيا بنا. هيا نبحث عن أشياء جديدة نقوم بها".

ربما كانت ساقاها ترتجفان، ولكنهما حملتاها إلى الرصيف.

"كم يصل عدد الغرامات التى تسددينها سنويا؟ كلا؛ بل كم مركبة تصطدمين بها فى العام الواحد؟".

تأبطت ليندا ذراع ريسى، قائلة: "لاتتحدثى هكذا وكأنك سيدة عجوز. يا إلهى! انظرى إلى هذه السترة!". ثم سحبت ريسى إلى نافذة عرض أحد المحلات لكى تحدق إلى سترة جلدية ذات لون بنى غنى أقرب إلى لون الشيكولاتة، مستطردة: "إنه يبدو ناعما للغاية. إنه يساوى على الأرجح ملايين الدولارات. هنا نجربه. كلا. سوف نتأخر. سوف نجربه أثناء العودة بعدما نصفف شعرنا".

"ولكننى لا أملك مليون دولار!".

"ولا أنا، ولكننا لن نتكبد مليما إن جربناه، غير أن هذه القصة سوف تلائمك أنت أكثر منى. هذا محبط. مع ذلك، فلو كنت أملك مليون دولار لاشتريته".

"أظن أننى سوف أعجز عن إتمام هذا الموعد".

"أنت على ما يرام. وإن شعرت بأى اضطراب؛ فاعلمى أننى أحمل قارورة فى حقيبتى".

تمتمت قائلة لـ ليندا: "يا لك من -". وبينما كانت الأخيرة تجذبها، قالت ريسى: "قارورة ماذا؟".

"خل التفاح؛ هذا إن كنت بحاجة إلى شىء ينعشك ويذهب عنك التوتر، أو حتى لمجرد المتعة. يا إلهى! انظرى هناك".

أدارت ريسى رأسها الذى كان قد بدأ يدور فى الاتجاه الذى أشارت إليه ليندا فإذا ببصرها يقع على راعى بقر ينتعل حذاء طويلا وملابس ماركة ليفيز وستيتسون.

قالت ليندا: "يا له من رائع ".

"لقد ظننت أنك تحبين لو".

"كنت؛ أقصد؛ سوف أفعل؛ ولكنه مثل السترة يا عزيزتى. لن يكلفنى شيئاً إن نظرت إليه. أظن أنك مارست ما يتخطى النظر مع برودى. هل قضيتما وقتاً ممتعا؟".

"أجل. أجل. كان بالفعل كذلك".

"كنت واثقة. ها قد وصلنا". أحكمت قبضتها على ذراع ريسى وجذبتها إلى الداخل.

لم تمد يدها إلى القارورة؛ بالرغم من أنها كانت مغرية؛ وأثناء فترة انتظارهما لمصفف الشعر؛ كادت ريسى تتراجع عن قرارها عشرات المرات.

ولكنها كانت قد تعلمت شيئا.

لم يكن الأمر سيئا بقدر ما كان عليه فى آخر مرة أقدمت فيها على ذلك. لم تبد لها الجدران شديدة القرب ولم تبد لها الأصوات شديدة الصخب مما يجعل قلبها يخفق بشدة، وعندما قدم لها مصفف الشعر نفسه وعرفها باسمه؛ سيرج، لم تنفجر فى البكاء وتهرب من الباب.

كان لهجته تميل إلى السلافية وكان يرسم ابتسامة خفيفة على وجهه أزالت القلق الذى انتابه عندما أمسك يدها. "يا إلهى؛ يداك باردتان كالثلج. دعينا نحضر لك قدحا من شاى الأعشاب. هيا تعالى معى".

ذهبت معه وكأنها جرو صغير.

أجلسها على الكرسى وألبسها مريلة خضراء فى لون النعناع ووضع يده على رأسها قبل أن يتيح لعقلها فرصة للتفكير.

"لست واثقة من أننى."

"ملمسه رائع كما أنه كثيف! صحى للغاية .لابد أنك تعتنين به جيدا".

"أظن ذلك".

"ولكن أين نمطك المميز؟ أين الذوق؟ انظرى إلى وجهك هذا؛ وكل هذ الشعر الذى يحيط به وكأنه ستار يحول دون رؤيته. ما الذى تودين عمله؟".

"أنا ... بصراحة، لا أدرى. لم أكن أظن أننى سوف أصل إلى هذا الحد".

"حدثينى عن نفسك. ألست مخطوبة؟".

"كلا".

"أى أنك حرة. كما أنك تنتمين إلى مكان ما فى شرق البلاد".

"أنا من بوسطن".

"حسنا". واصل حديثه وهو يرفع شعرها ويتركه يسقط ويتفحصه. "وما هو عملك؟".

"أطهو؛ أنا طاهية". شعرت أن شيئاً ما بداخلها على وشك الانفجار بينما كانت يده تعبث فى فروة رأسها وشعرها. "أنا أعمل مع ليندا. هل هى على مقربة منا؟".

"إنها بخير. نحن لا نراها كثيرا هنا". وبابتسامته الرقيقة؛ التقت عيناه بعينى ريسى فى المرآة، قائلاً: "ثقى بى".

"أنا ... يا إلهى! حسناً؛ ولكن هل يمكنك أن تضيف بعض الفاليوم لهذا الشاى؟".

كانت قد نسيت كل هذا؛ كل هذه المتعة. الأيدى التى تعبث فى شعرها؛ والشاى المهدئ والمجلات المثيرة وصوت ثرثرة النساء.

كانت ستضيف بعض الخصلات فاتحة اللون إلى شعرها؛ لأن سيرج أقنعها بذلك. كان هذا سيكبدها مبلغا من المال لم تكن قد أعدت عدته، ولكنها ستفعلها على أية حال، وبعدها بقليل ظهرت ليندا. كان شعرها مغطى بالبلاستيك.

قالت: "أحمر صارخ، سوف أصبغه بهذا اللون. سوف أقلم أظافرى وأطليها؛ هل ترغبين فى ذلك؟".

"كلا؛ كلا. لا يمكن أن أجرى المزيد".

ولكنها غاصت فى نسختها من مجلة (فوج) إلى أن حان وقت غسل شعرها بالشامبو ووقت القص.

بدأ سيرج يقول وهو يقوم بالقص: "إذن أخبرينى الآن بالرجل الذى فى حياتك".

"أظن أن لدى رجلاً فى حياتى". يا إلهى! لديها رجل فى حياتها. "هو كاتب. لقد بدأت العلاقة لتوها".

"الخيال والإثارة والاكتشاف".

أضاءت ابتسامة وجهها وهى تقول: "تماما. هو ذكى وقوى الشخصية ويحب طهوى. هو ... حسنا؛ هو يخفى حنانه الخارق تحت ستار من التعليقات اللاذعة؛ ولكنه لا يعاملنى على أننى مقهورة ومكسورة وهو ما دأب الجميع عليه منذ فترة طويلة. وبما أنه لا يفعل؛ فقد أصبحت لا أنظر إلى نفسى أيضا بهذه الصورة. لم أعد أعامل نفسى على أننى مقهورة كسيرة. آه؛ لقد نسيت هذا!".

رفع سيرج المقص عندما انحنت إلى الأمام، قائلة: "هل يمكنك أن تتعرف على هذه المرأة؟".

نحى المقص لفترة تمكنه من التقاط الرسم وتفحصه جيدا، قائلاً: "لا أستطيع أن أجزم ولكننى واثق من أنها لم تجلس على مقعدى هنا. لو كانت قد جاءت إلى لكنت قد أقنعتها بأن تقص شعرها لأنه يزيد من نحافة وجهها. هل هى قريبة لك؟".

"شىء من هذا القبيل. يمكننى أن أعرضها فى أماكن أخرى؛ هل يمكن أن أترك نسخة منها هنا؟ قد يتعرف عليها أحد".

"بكل تأكيد".

وما إن قالها التقط الصورة من بين يدها. أعادت ريسى تركيزها على نفسها مما جعلها تغمض عينيها وتفتحهما، قائلة: "يا إلهى! لقد سقط الكثير من شعر رأسى هنا".

"لا تقلقى. انظرى إلى نفسك! أنت رائعة!". توقف ثانية لكى يستدير ويبدى إعجابه بشكل ليندا الجديد.

"يعجبنى كثيرا!". قالتها وهى تستدير حول نفسها وتستعرض شعرها الأحمر وقصة شعرها الجديدة المثيرة. سألت ريسى: "ما رأيك. ما رأيك؟".

"إنه رائع. إنه جميل بالفعل". لقد أحالها الشعر الأحمر من شقراء جميلة بريئة إلى أنثى مثيرة جريئة. "ليندا؛ تبدين بالفعل رائعة الجمال".

"لقد وضعت بعض المساحيق". أخذت تلف حول ريسى مبدية إعجابها بنفسها فى المرآة. " وكم أبدو رائعة. عندما نعود أدراجنا؛ سوف أذهب إلى لو لكى أجعله يعانى". استدارت ولفت رأسها. "يعجبنى اللون الفاتح فى شعرى؛ إنه خفيف ولكنه فعال، وأظن أن سيرج قد أبلى بلاء حسنا هنا. عيناك تبدوان أكثر اتساعا . كما لو كانت بحاجة إلى ذلك . كما أن وجهك أصبح أكثر وضوحا. أصبح وجهك أكثر امتلاءً. سيرج؛ لقد أصبحت أكثر جاذبية".

"أنت محقة تماما. لقد وضعنا إطارا حول هاتين العينين الرائعتين. كما خلصناك من كل هذا العبء الذى كنت تحملينه على عنقك، ومع ذلك بقى شعرك فى شكل طبقات طويلة لطيفة. سوف تجدين سهولة فى تصفيفه".

أخذت ريسى تحدق فى الصورة التى طالعتها فى المرآة، فقالت لنفسها: أكاد أعرف هذه المرأة؛ أكاد أرى نفسى ثانية.

عندما جحظت عيناها، نكس سيرج المقص ونظر إلى ليندا بشىء من القلق، قائلاً: "إنها لا تعجبها. هل أنت غاضبة. ألا تعجبك؟".

" كلا؛ كلا. بل تعجبنى. لقد مضى زمن طويل منذ أن نظرت فى المرآة ورأيت شيئاً يعجبنى".

تنهدت ليندا: "أنت بحاجة لبعض المساحيق".

ربت سيرج على كتفى ريسى، قائلاً: "سوف تجعليننى أبكى فى دقيقة. على الأقل دعينى أتنفس الصعداء أولاً".

أرادت أن تستعرض. قضت أروع يوم وتجولت فى البلدة. بالطبع ما كان يجب عليها شراء القميص الذى أقنعتها ليندا بشرائه حتى بالرغم من أنه كان يحمل أروع ظل للون الأصفر، ومع ذلك فقد منحت عامل المحل نسخة من الصورة كما فعلت فى كل متجر جذبتها ليندا بداخله.

وقد كانت محقة؛ كانت السترة الجلدية تناسب ريسى أكثر منها، وبالرغم من أنها لم تكن تساوى ملايين الدولارات فى واقع الأمر إلا أن ثمنها بقى رغم ذلك أبعد من منالها.

قصة رائعة وقميص جديد رائع؛ كان هذا يكفى.

سوف تذهب الآن إلى بيتها مباشرة وتعجب بنفسها وترتدى القميص الجديد، ثم تتصل ببرودى وتسأله إن كان يريد تناول العشاء لديها.

عثرت على بعض الخضراوات الرائعة الطازجة فى سوق جاكسون؛ وأيضا بعض اللحم الطازج. كما اقتنت بعض الزعفران بالرغم من أن ثمنه كان مرتفعا؛ ولكن على أية حال سوف يكون من اللطيف إضافة الزعفران والريحان إلى قطع اللحم. كما اشترت أيضا الجبن الأبيض المملح والبورسينى لكى تضيفهما إلى الأرز.

بينما استمتعت ليندا بارتياد المحلات؛ استمتعت ريسى أكثر بالسوق.

كادت ترقص على الدرج وهى تصعد حاملة حقائب المشتروات إلى شقتها. تنحنحت وفتحت الباب وتخلصت من حرصها إلى الحد الذى دفعها بالمبادرة إلى وضع الحقائب على المنضدة قبل العودة لإغلاق الباب ثانية.

" يا إلهى يا ريسى سوف تستعيدين أنوثتك ثانية بأسرع مما تتصورين". أخذت ترقص وهى تسير نحو الباب ثم أغلقته. ثم قررت إرجاء كل شىء لحين إلقاء نظرة على نفسها وهى سعيدة هكذا.

سارت فى خطى رشيقة نحو الحمام فقط لكى تترك شعرها الأقصر طولا والأفتح لونا يتراقص فوق رأسها.

تجمدت كل الدماء التى كانت تسرى فى وجهها. تيبست كل عضلات جسدها فى صدمة وهى تحدق فى المرآة.

كانت صورة المرأة القتيلة مثبتة فى المرآة فرأتها بدلا من أن ترى وجهها هى. على الجدران وعلى الأرض وعلى الحقيبة الصغيرة كان السؤال مكتوبا بالقلم الأحمر؛ بلون الدماء.

هل هذه أنا؟

انهارت عند المدخل وهى ترتجف وانكمشت على نفسها كالكرة.

لابد أنها قد عادت إلى المنزل الآن؛ هكذا فكر برودى وهو يشغل محرك سيارته عند البحيرة. ما هو الوقت الذى يمكن لأى شخص أن يستغرقه فى قص شعره على أية حال؟ ولكنها لم ترد على الهاتف وشعر هو بالسخف وهو يعيد اتصاله بها أربع مرات على مدى الساعة الأخيرة.

اللعنة! كان يفتقدها، وهو ما كان أكثر حمقا. إنه لم يفتقد أحدا بالمرة من قبل، فضلا عن أنها لم تفارقه إلا منذ بضع ساعات قليلة. ثمانى ساعات ونصف الساعة. مرت أيام عديدة لم يرها خلالها لفترات أطول من ذلك.

ولكن فى هذه الأيام؛ كان يعلم أنها قريبة منه؛ وأنه يستطيع أن يذهب إليها ويراها فى أى وقت.

لم يكن قد تدنى بعد وسمح لنفسه بمحاولة الاتصال بهاتفها الجوال كما لو كان رجلاً أخرق لا يطيق البقاء بعيدا عن امرأة ليوم واحد بدون أن يدير رقمها، وبدون أن يسمع صوتها.

سوف يذهب إلى جوانى قليلا ؛ ربما لتناول القهوة، ويبحث عن سيارتها بشكل عارض.

لن يخبر أحداً بذلك.

رأى سيارتها فى مكانها المعهود وشعر أنها ساعة حظه. سوف يصعد إليها ويخبرها بأنه قد جاء إلى المدينة لكى ... ماذا؟ لشراء الخبز.

هل كان لديه خبز فى المنزل؟ لم يكن بوسعه أن يتذكر. على أية حال سوف يبقى ملتزما بهذه الحجة.

أراد أن يراها؛ يشم رائحتها. أراد أن يضع يده عليها. ولكنها لا يجب أن تعلم أنه بقى يدور حول كبينته على مدى الساعة الأخيرة وكأنه كلب ضال.

لقد كان يتحايل؛ أدرك هذا وهو يركن سيارته. لقد كان يختلق الأعذار لكي يأتي إلى المدينة لرؤيتها.

و قد كان هذا يثير ضيقه ويشعره بالحماقة.

إن أفضل طريقة لإبطال هذه المشاعر؛ من وجهة نظره؛ أن يرسم الضيق على وجهه.

وبما أن هذا كان يشعره أنه في حال أفضل؛ فقد رسم تقطيبة على وجهه وهو يصعد الدرج ويطرق الباب بشيء من نفاد الصبر.

صاح قائلاً: "أنا برودي افتحي الباب".

استغرقت وقتا طويلا إلى أن أجابت عليه؛ تحول تقطيبة وجهه إلى عقدة ما بين حاجبيه مشوبة بالقلق.

"برودي، أنا آسفة، لقد كنت مستلقية في فراشي. أنا مصابة بصداع".

حاول استخدام المقبض ولكنه كان مازال مغلقا، فقال: "افتحي الباب".

"لقد بدأ الصداع يتحول إلى صداع نصفي. سوف أخلد إلى النوم. سوف أتصل بك غداً".

لم تعجبه نبرة صوتها. "افتحي الباب يا ريسي".

"حسنا. حسنا. حسنا". أدارت القفل وفتحت الباب.

"هل تجد صعوبة في فهم اللغة التي أتحدث بها؟! لدي صداع ولا أريد أن أكون بصحبة أحد الآن".

تجاهل كل ما قالته، لأنه لاحظ الشحوب الكامل الذي كان يكسو وجهها. "أنت لست من هذا النوع من النساء الذي يمكن أن يصاب بالضيق لأن قصة شعرها لم ترق لها".

"بالطبع أنا كذلك؛ ولكنني مع ذلك أرى أن قصة شعري رائعة. إنها قصة مميزة. لقد كان يوما طويلا شاقا مكبلا بالضغوط. الآن أنا متعبة؛ أريد أن أتمدد في فراشي".

جال ببصره في أنحاء الغرفة ورأى الحقائب التي كانت قد وضعتها على المنضدة، ثم قال: "متى عدت؟".

"لا أدري. يا إلهي. من ساعة؛ ربما".

الصداع؛ لا أصدق. كان قد عرفها بالقدر الذي يكفي لأن يكون

واثقا من أنها ليست من هذا النوع الذى يترك حقيبة البقالة هكذا. كانت ستضع كل شىء فى موضعه منذ لحظة دخولها.

"ما الذى حدث؟".

" يا إلهى؛ هلا تراجعت قليلا؟ لقد قضيت معك أمسية رائعة، لقد استمتعت حقا، وسوف نكرر هذا فى القريب العاجل، ولكن هذا لا يعنى أنه يحق لك أن تخترق خصوصيتى ".

"أنت محقة تماما". قالها فى نبرة عادية عابرة تتناقض بوضوح مع نبرتها الحادة. "وسوف أمنحك قدرا كبيرا من الخصوصية سريعا فور إخبارك إياى بكل ما حدث. ما هذا الذى فى يدك بحق الله؟".

أمسك بإحدى يديها؛ شعر بالذعر لوهلة ؛هل هى الدماء تغطى أصابعها وراحة يدها. "ما هذا بحق الله؟ هل هو حبر؟".

بدأت تنتحب فى صمت. لم يكن قد سبق له رؤية مشهد أشد إيلاما من ذلك؛ الدموع تسيل على وجهها فى صمت بالغ.

"بحق الله يا ريسى ما هذا؟".

"لا أستطيع أن أتخلص من كل ما يجرى؛ لا أستطيع. لا أذكر أننى فعلت هذا. لا أذكر؛ أنا عاجزة".

غطت وجهها بيدها الملطخة. لم تقو على المقاومة عندما حملها بين ذراعيه وأجلسها على الفراش لكى تسترخى.

١٧

كانت هناك أجزاء من الجدران والأرض ملطخة باللون الأحمر إثر وضع يديها عليها؛ استطاع برودى أن يرى ذلك ويرى المنشفة المبللة موضوعة على الحوض. تصور أن هذا المشهد سوف يثير ضيقها عندما تستعيد رباطة جأشها وهدوئها.

كانت قد مزقت الصورة من على المرآة، وخلفت وراءها مثلثات من الورق والشريط اللاصق؛ كانت قد كورتها وألقت بها فى سلة المهملات بجوار الحوض.

كان بوسعه أن يتصور وقع كل هذا عليها؛ كيف أنها هرعت بجنون لكى تلتقط المنشفة من على المشجب؛ كيف أنها غمستها

فى الحوض، وأخذت تفرك وتفرك وتفرك بينما كان الماء ينهمر ودموعها تتساقط فى نحيب ساخن لا يتوقف.

ومع ذلك بقيت الرسالة المدونة واضحة تماما.

هل هذه أنا؟

"لا أذكر أننى فعلت هذا".

لم يستدر حيث خلفه وإنما واصل تفحص الحائط " أين القلم الأحمر؟".

"أنا ... أنا لا أدرى. لابد أننى أعدته فى مكانه". سارت وقد أصابها التشوش بفعل الصداع والدموع إلى المطبخ وفتحت الدرج.

"ليس هنا". وبموجة إحباط أخرى، أخذت تعبث فى الدرج ثم فتحت درجا آخر ثم آخر.________

"كفى عن هذا".

"ليس هنا. لابد أننى حملته معى وألقيته فى مكان ما. لا أذكر. تماما مثلما حدث فى المرات السابقة".

ازدادت عيناه حدة؛ ولكنه أبقى صوته متزنا. وبنبرة هادئة وحازمة قال: "أية مرات أخرى؟".

"أظن أن المرض سوف يداهمنى ثانية".

"كلا؛ هذا ليس صحيحا".

صفعت الدرج واحترقت عيناها الحمراوان بفعل البكاء بثورة الغضب، قائلة: "لا تخبرنى بما هو صحيح وغير صحيح عن نفسى".

كرر عبارته وهو يسير نحوها ويأخذها بين ذراعيه: "أنت لست مريضة ولن يداهمك المرض ثانية، لأنك لم تحكى لى عن المرات السابقة. هيا اجلسى".

"لا أستطيع".

"حسنا. سوف نبقى واقفين. هل لديك شراب؟".

"لا أريد أن أحتسى شراباً ".

"لم أسألك ما إن كنت تريدين احتساء شراب". بدأ يفتح

الخزانة بنفسه باحثا إلى أن عثر على زجاجة عصير صغيرة.

في ظل ظروف أخرى؛ كان يمكن أن يصب العصير فى كوب الشاى متجاهلا حسها الجمالى.

"هيا احكى لى أيتها النحفية".

ربما كانت غاضبة؛ ربما كانت يائسة ولكنها كانت تدرك جيدا متى يكون من غير المنطقى أن تصر على مجادلته. أخذت الكوب وازدردت العصير دفعة واحدة. ثم ارتجفت.

"الصورة. يمكن أن أكون أنا التى وضعتها".

"وكيف عرفت ذلك؟".

"على حد تصورى ... تعرضت لنوبة عنيفة".

"وهل شعرت بشىء من الاختناق؟".

"هذا يعنى أن الأمر اتخذ بعداً آخر". وضعت كوبها بحركة سريعة حادة. "لقد حاول أحدهم قتلى ذات مرة وقد قضيت العامين الماضيين فى انتظار أن يسعى هذا الشخص لقتلى ثانية. هناك شبه بينى وبين الصورة".

"أجل كلاكما أنثى وكلاكما صاحب شعر أسود طويل أو كان صاحب شعر أسود طويل". تجهم قليلا ومد يده لكى يلمس أطراف شعرها الذى كان قد أصبح طوله يتخطى قليلا مستوى كتفها. "هذا ليس وجهك".

"ولكننى لم أرها جيدا".

"ولكنك رأيتها".

"لا أدرى".

"أنا أعلم". بما أنه كان يعرف أنها لن تتناول القهوة؛ فقد فتح الثلاجة وشعر بدهشة محببة عندما وجدها قد أحضرت عصيره المفضل. استخرج زجاجة وفتحها، قائلاً: "لقد رأيت هذين الشخصين عند النهر".

"وكيف يمكن أن تكون واثقا إلى هذا الحد. فأنت لم ترهما".

قال ببساطة: "رأيتك أنت، ولكن دعينا نراجع الأمر. ما هى الأشياء الأخرى التى لا تتذكرينها؟".

"لا أتذكر أننى لطخت خريطتى بالقلم، ولا أذكر أننى فتحت

قفل الباب وتركته مفتوحا فى منتصف الليل أو أننى وضعت الأوانى فى خزانة الملابس وحذائى وحقيبتى فى خزانة المطبخ. لا أذكر أننى حزمت ملابسى فى حقيبتى الصغيرة، وهناك أشياء أخرى؛ أشياء صغيرة. يجب أن أعود".

"تعودين إلى أين؟".

فركت يديها على وجهها؛ وتركتها هناك. "أنا لم أتحسن. يجب أن أعود إلى المستشفى".

"هراء. احكى لى عن حزمك لملابسك".

"رجعت إلى المنزل ذات ليلة؛ الليلة التى ذهبت فيها إلى كلانسى بصحبة ليندا فوجدت كل أشيائى قد حزمت داخل حقيبتى. لابد أننى كنت قد فعلت هذا فى الصباح أو أثناء إحدى فترات استراحتى. لا أذكر، كما أننى ذات مرة وجدت المصباح الذى أبقيه بجوارى أثناء الليل داخل الثلاجة".

"وجدت محفظتى ذات مرة هناك أيضا. هذا غريب".

أطلقت تنهيدة، قائلة: "ولكن هذا لا يشبه ما كان يحدث لى. لم أكن أضع الأشياء فى أماكن خاطئة. لم يحدث هذا أبدا. على الأقل ... لا أفعل ذلك عندما أكون فى حالة وعى؛ عندما أكون فى صحة جيدة. هذا شىء غريب على؛ أنا لا آخذ الأوانى من المطبخ وأضعها فوق رف خزانة الملابس. لا أضع الأشياء فى أماكن خاطئة لأننى أعجز عن العمل عندما لا تكون الأشياء موضوعة فى أماكنها الصحيحة، وهذا يعنى أننى لست على ما يرام".

"المزيد من الهراء". أخذ يعبث فى حقيبة البقالة. "ما كل هذه الأوراق والخضراوات؟".

"إنها خضراوات طازجة". فركت الصداع الذى كان قد بدأ يداهم صدغها. "يجب أن أذهب. هذا هو ما كنت أقوله لنفسى عندما حزمت حقيبتى. لابد أن هذا هو ما كنت أحادث به نفسى طوال هذه الفترة؛ طوال فترة تواجدى فوق المرتفع؛ بينما كنت أتظاهر بأن كل الأمور تعود إلى طبيعتها ثانية".

"لقد رأيت امرأة تُقتل عندما كنت فى المرتفع. هذا ليس أمرا طبيعيا. لقد انتابتنى الشكوك وقتها ولكن ليس الآن ...".

"حقا؟".

"لم أشك فى أنك رأيتها . أقصد رأيتهما، وإنما كنت أشك أنها ماتت. كان من الممكن أن تكون قد نهضت من مكانها وسارت. على الأقل كان هذا احتمالا بسيطا، ولكنها ماتت".

أشارت بيدها نحو الحمام، قائلة: "هل تسمعنى؟ أرأيت ما فعلته بالداخل؟".

"ماذا لو لم يكن أنت؟".

انفجرت قائلة: "إذن من الذى يمكن أن يكون قد فعل هذا؟ أنا غير مستقرة يا برودى؛ يا إلهى! أنا كذلك. أتصور جرائم قتل وأكتب على الجدران".

"ماذا لو لم تكونى كذلك؟". كررها بنفس النبرات الثابتة، ثم أضاف: "اسمعى! أنا أعيش على الافتراض؛ على (ماذا لو) هذا هو ما أجنى رزقى من ورائه. ماذا لو كنت قد رأيت ما ذكرته؟".

"وماذا لو لم أكن قد رأيته؟ ألا يغير هذا كل مجريات الأمور التالية؟".

"يغير كل شىء. هل سبق ورأيت مصباح الكيروسين؟".

أخذت تحدق فيه، قائلة: "ربما هذا هو سبب انجذابى إليك. أنت مجنون مثلى تماما. ما صلة مصباح الكيروسين بحق الله بالنكسة التى ألمت بى وكتابتى على الجدران؟".

"ماذا لو لم يكن أنت الذى كتبت على الجدران فى الحمام؟".

شعرت بألم فى رأسها؛ وغصة فى معدتها، وبما أنها كانت مجهدة إلى حد عدم قدرتها على السير نحو المقعد، فقد جلست على الأرض ومالت نحو الثلاجة، قائلة: "إن كنت تظن أن هناك شخصاً ما يسعى لإرهابى؛ فأنت لا تقل جنونا عنى".

"أيهما يخيفك أكثر يا ريسى؟". نكس رأسه بحيث أصبحت فى مستوى رأسها، ثم أضاف: "إصابتك بانتكاسة أم تصور أن هناك شخصا يريدك أن تقتنعى بذلك؟".

شعرت بأن كل ما بداخلها يرتجف، فقالت: "لا أدرى".

"بما أنها لعبة اختيارات؛ سايرينى فى اللعب. ماذا لو كنت قد رأيت امرأة تقتل بالفعل؛ جريمة لم يشهدها سواك. أبلغت عنها

وذاع الخبر. ماذا لو كان الخبر قد بلغ مسامع القاتل؛ أو كما فكرنا من قبل ماذا لو كان قد رآك، مما يعنى أنه لم يخف جريمته رغم كل محاولاته؟ لقد غطى آثاره؛ هذا صحيح، ولكنه لم يفلت كلية".

همست قائلة: "لأنه كان هناك شاهد".

"أجل، ولكن الشاهد الوحيد يملك تاريخاً نفسياً مرضياً وسبق له التعرض للعنف. يمكنه أن يستغل ذلك. كما أن الجميع لا يصدقونها على أية حال؛ فهى وافدة جديدة على البلدة كما أنها تبدو غير مستقرة بعض الشيء؛ ولكن بما أنها تصر على أقوالها وتسعى لملاحقته؛ فلم لا يضغط على هذه النقاط الضعيفة؟".

"حسناً. يا إلهى! لم لا يرمينى برصاصة ويتخلص منى تماما بدلا من كل هذا العناء؟".

"جريمة أخرى. سوف يثبت هذا للجميع أنك محقة".

"بعد وفاتى".

"بالطبع". مازال فظا فى حديثه؛ هكذا فكر فى نفسه. ربما يكون التصور قاسيا ولكنه سوف يكون مجديا. "لابد أن المجرم يفكر فى نفسه أنه عندما يقدم على مثل هذه الأشياء الصغيرة الدقيقة، فإنك سوف تجدين نفسك أمام خيارين لا ثالث لهما. إما أن تفقدى صوابك تماما وتركضى عارية فى الشوارع وأنت تهذين، وإما أنك ستصابين بانهيار فتهرعين إلى مكان آخر. وفى كلتا الحالتين فإن هذا سوف يسقط شهادتك".

"ولكن هذا -"

" جنون؟ كلا؛ إنه ليس كذلك. إنه تصرف فى منتهى الذكاء ولا يصدر إلا عن شخص رابط الجأش والفكر".

"إذن هذا يعنى أننى بدلا من أن أصدق أننى قد أصبحت محطمة عاطفيًا ومعتوهة عقليا، على أن أصدق أن هناك قاتلا يطاردنى ويقتحم شقتى ويحاول النيل منى".

أخذ رشفة أخرى من عصيره وأجاب: "إنها نظرية محتملة".

شعرت أثناء حديثه، عندما استقرت الفكرة فى عقلها، بجفاف فى حلقها، فقالت: "إن الخيار الأول أكثر سهولة. لقد سبق ومررت. على أية حال. بمثل هذه الأشياء".

"أراهنك أننى محق، ولكنك تؤثرين الطريق الأسهل".

"هذا شيء يستغرب قوله لشخص بقى يركض بعيداً عن كل شيء حتى نفسه على مدى عام كامل".

"إن كانت هذه هى نظرتك للأمر، فلابد أن وقعه عليك كان مدويًا".

نهض من مقعده وكأنه قد فرغ من التفكير ومد يده لكى يساعدها على النهوض على قدمها. بعد لحظة تردد؛ أمسكت يده. ووقفت قبالته.

"كيف ترانى؟".

"أراك امرأة نجحت فى البقاء، امرأة لاقى كل أصدقائها الذين كانوا فى مرتبة تالية على مرتبة الأهل حتفهم، بل ولاقت واحدة منهم مصرعها أمام عينيها بينما أطلق عليها هى نفسها النار وتركت لتموت. بقيت وحدها فى الظلام تنزف. سلب منها كل ما كانت تعرفه وما كانت تتمناه؛ بلا مبرر؛ بلا سبب؛ مما سلبها حسها بالأمان وأفقدها الكثير مما نطلق عليه صوابها. وهى تقف أمامى الآن بعد عامين من الحادث لأنها ناضلت من أجل البقاء؛ خطوة بخطوة؛ وفق قوتها؛ وسرعتها. أظن أنها من أقوى الأشخاص الذين قابلتهم فى حياتى على الإطلاق".

التقطت نفسا عميقا، قائلة: "أظن أنك لا تخرج كثيراً".

ابتسم قليلا وضغط بأصبعه على مقدمة رأسها، قائلاً: "هأنتذى أمامى. هيا جهزى أغراضك؛ لأننى أرى أنه من الأفضل أن تبيتى فى منزلى الليلة".

"ولكننى أستطيع أن أتدبر الأمر".

"سوف تبيتين عندى". التقط حقيبة البقالة، قائلاً: "هل هذا سيكون العشاء؟".

"يا إلهى! اللعنة! لقد نسيت شرائح اللحم".

أدرك أنها استعادت رباطة جأشها عندما هبت من مكانها وانقضت على الحقيبة ودست يدها بداخلها. "حمدا لله؛ لقد كان اللحم موضوعا فى الثلج. إنه مازال باردا. هذا يعنى أننى يجب أن أبقيه فى درجة حرارة منخفضة".

"أنا أحب شرائح اللحم".

"لم يسبق لى أن رأيت طعاما لا تحبه". ثم وضعت يديها على المنضدة وأغلقت عينيها، قائلة: "أنت لن تدعنى أهوى؛ أليس كذلك؟ لن تدعنى أهوى".

"لقد سبق وقلت لك من قبل إننى لا أحب المرأة الهيستيرية".

"لقد سبق وقلت لى من قبل إنك تهوى المرأة العصبية".

"أجل، سبق وقلت هذا؛ ولكن هناك فرقاً بين الجنون والعصبية. كما أننى أرى أنك لست عصبية بما يكفى بالنسبة لى. لذا قررت أن أبقى عليك لحين ظهور فرصة أفضل".

فركت عينيها النديتين، قائلة: "يبدو لى هذا منصفا".

"وحينما تواتينى الفرصة المناسبة فسوف أبقى عليك كطاهية".

"شكرا". أسقطت يديها ونظرت إليه. "هل حملتنى عندما كنت أبكى. لابد أن هذا كان مزعجا بالنسبة لك".

"لم تكونى فى حالة هيستيرية وانما كنت جريحة، ولكن لا تعتادى على ذلك".

"أحبك. لقد وقعت فى حبك".

لم يوافها بأى رد على مدى عشر ثوانٍ كاملة، وعندما بدأ حديثه؛ سمعت فى نبرة صوته حس الخوف المُمتزج بالضيق.

"اللعنة! العقاب هو نهاية كل عمل سيئ".

ضحكت؛ ضحكة طويلة غنية صادقة. ضحكة أثلج دفؤها جفاف حلقها وهدأت من روع أعصابها المنهارة. "وهذا يعنى أننى قد فقدت عقلى قطعاً. لا تقلق بشأنى يا برودى".

استدارت نحوه فى تلك اللحظة ولاحظت أنه كان يحدق فيها بذلك الاحترام الحريص الذى يتعامل به الرجل مع القنبلة الموقوتة. "وراء كل هذه العصبية؛ أنا امرأة واعية ومتحضرة. أنت لست مسئولا عن مشاعرى كما أنك غير مطالب بمبادلتى نفس المشاعر. أنت عندما تمر بتجربة مثل التى مررت بها تدرك جيدا أنه ليس هناك شىء مسلم به. الوقت والناس والمشاعر؛ لا شىء مسلم به. إن طبيبى النفسى هو الذى نصحنى بأن أكتب مذكراتى". واصلت حديثها وهى تلملم أغراضها التى كانت تحتاج إليها. "كان

يريدنى أن أعرب عن مشاعرى وعواطفى. تلك المشاعر التى لم يكن بوسعى التعبير عنها. على الورق. وقد ساعدنى هذا كثيرا وشجعنى على الإفصاح عنها شفهيا، مثلما حدث الآن؛ على سبيل المثال".

"أنت تخلطين بين الثقة وحس مغالى فيه بالامتنان، فضلا عن أن هناك علاقة حميمة بيننا".

"قد يكون رأسى مشوشا ولكن قلبى على ما يرام، ولكن إن كان هذا يخيفك؛ يمكننى أن أتصل بليندا وأذهب للبقاء معها لحين تبين خطوتى التالية".

"فقط اجمعى كل ما يلزمك". قالها فجأة، ثم أضاف: "فضلا عن كل ما تحتاجين إليه لطهى هذه الأشياء".

لم تكن تحبه؛ ولكن توهمها لهذه المشاعر كان يثير قلقه. ها هو ذا؛ يحاول أن يساعدها. وربما كان هذا هو خطأه الأول. بينما هى تعقد كل شىء. فكر فى نفسه؛ تماما مثل أى امرأة غيرها؛ تكسو كل شىء بصبغة العواطف والمشاعر.

إن النساء يصدمنه.

ولكنها على الأقل لم تعد تتحدث عن هذه المشاعر الآن، كما أنها لم تفرط فى إظهار معاناتها لما وقع فى شقتها.

كما كان يعرف مسبقا عنها، فإن انخراطها فى إعداد العشاء أشعرها بالاستقرار. هذا هو نفس تأثير الكتابة عليه هو؛ لذا كان يدرك تماما ما تشعر به.

أنت عندما تنغمس فى العمل؛ تنصرف عن كل ما يثير ضيقك.

ولكنها سوف تعاود التفكير فيما يجرى لها. إن كان محقا فى نظريته، فهذا يعنى أنها فى مأزق.

سألها: "هل تودين تناول بعض القهوة؟".

"كلا. كلا؛ شكرا. سوف أكتفى بتناول الماء". نسقت الخضرة وبسطت فوقها حلقات الجزر؛ ووضعتها فى أطباق صغيرة. "باقى الطعام سوف يستغرق بضع دقائق قليلة؛ يمكننا إذن أن نبدأ

بذلك".

تبين أنه تناول بصحبتها فى غضون أسبوعين قدراً من السلاطة يفوق ما يتناوله عادة على مدى ستة أشهر بمفرده.

"جوانى سوف تثير ضجة كبيرة عندما ترى ما حاق بالحمام".

"اطليه إذن".

دست ريسى شوكتها فى طبق السلاطة وقالت: "ولكننى لا أستطيع أن أطلى الأرضية والقرميد".

"سوف تجدين فى متجر ماك مسحوقاً مذيباً يمكن أن يزيل كل هذه الآثار. إن شقتك لم تكن فى أوج زينتها على أية حال أيتها النحيفة. كانت بحاجة إلى بعض الصيانة".

"هناك بطانة فضية يا برودى. لقد سبق وفقدت إحساسى بالزمن والوقت، وسبق أن أصبت بنوبات فقدان الذاكرة. لم أصب بهذا منذ ما يقرب من عام على حد علمى، ولكننى مررت بهذين الشيئين ".

"ولكن هذا لا يعنى أنك مصابة بذلك الآن؛ أليس كذلك؟ لقد اقتربت منك كثيرا على مدى الأسبوعين الماضيين، ولم أر مثل هذه الحالات تنتابك كما أنك لم تمارسى المشى أثناء النوم أو تعيدى طلاء الجدران برسائل من عقلك الباطن. لم أرك تفعلين أى شىء مثير للريبة باستثناء إعادة تنظيم أدراج مطبخى".

صوبته قائلة: "تنظيم. فلكى أعيد تنظيمها فلابد أن تكون منظمة أو أى شىء مقارب لذلك فى المقام الأول".

"كان بوسعى أن أعثر على ما أريد؛ إن عاجلا أو آجلا، طالما كان كل شىء أريده موجودا بالفعل وقد كان هذا شيقا للغاية". تناول المزيد من السلاطة، ثم أضاف: "هل ذكر أى شخص لدى جوانى أنه قد صدر منك تصرف غريب".

"ترى جوانى أنه من الغريب أن أصر على اقتناء البامية لإعداد طبق خاص".

"إن البامية بالفعل هى أكثر الخضراوات غرابة. عندما كانت تحدث لك مثل هذه الأشياء من قبل فى بوسطن، هل كنت بمفردك

دائما؟".

نهضت لكى تضفى لمساتها الأخيرة على الوجبة، قائلة: "كلا؛ كنت دائما أشعر أننى فى حال أسوأ لأن مثل هذه الأمور كانت تنتابنى فى أى مكان وفى أى وقت. بعدما غادرت المستشفى. فى المرة الأولى. أقمت فى منزل جدتى. كانت تصحبنى للتسوق، وبعدها وجدت هذه السترة البنية فى درجى فسألتها من أين جاءت. تبينت أن هناك ما يريب من نظرتها لى وعندما واصلت إلحاحى عليها، أخبرتنى أننى قد اشتريتها، وأنه دار بيننا حوار بشأنها لأنها كانت تعلم أنها ليست من الطراز الذى أرتديه. فأخبرتها وقتها وأخبرت العاملة بأننى يجب أن أقتنيها لأنها واقية من الرصاص".

قلبت شرائح اللحم بضربة سريعة برسغها. "وفى موقف آخر؛ جاءت إلى غرفتى فى منتصف الليل لأنها سمعت صوت طرق. كنت أدق النوافذ بمسامير لكى أغلقها. لم أذكر وقتها من أين أتيت بالشاكوش أو المسامير، ولكننى أفقت عندما وجدتها تحتضننى وتبكى".

"أرى أن الحادثين ينمان عن رغبتك فى الدفاع عن نفسك. لقد كنت تشعرين بالرعب".

"الرعب؛ إنها كلمة لا تفى بالغرض، كما أن هناك حوادث أخرى أيضا، فقد كنت أصاب بكوابيس مفزعة وأسمع صوت الارتطام وطلقات النار والصراخ. كنت أحاول أن أكسر الأبواب. أن أهرب من النافذة؛ نفس النافذة التى كنت أسعى لإغلاقها بالمسامير؛ حدث لى ذلك فى إحدى الليالى بالفعل. وذات مرة رآنى أحد الجيران وأنا أقف بلباس النوم على الرصيف. لم أدر وقتها إلى أين ذهبت وكيف آل بى المآل إلى حيث كنت أقف".

وضعت طبقا أمام برودى، مستطردة: "كان هذا هو الوقت الذى ألحقت فيه نفسى بالمستشفى. ربما أكون قد أصبت بانتكاسة".

"انتكاسة لا تصيبك إلا عندما تكونين بمفردك فقط! لا أصدق هذا. أنت تعملين لدى جوانى على مدى ثمانى ساعات كاملة؛ من خمسة إلى ستة أيام أسبوعيا، كما أنك تقضين وقتا معى ومع ليندا فى كل أنحاء البلدة. ولكنك مع ذلك لم تصابى بأية . ما الذى

تطلقين عليها؟ .أية نوبة إلا فى شقتك فى عدم وجود أى شخص. تماما مثلما حدث فى فيلم (جاز لايت)".

"وهل أنت (جوزيف كوتين)؟".

" تعجبنى المرأة التى تعرف الأفلام الكلاسيكية". لمس يدها؛ فقط مرر أصابعه عليها. "هناك فيلم آخر أيضا (رير ويندو)".

"عندما رأى (جيمى ستيوارت) جريمة عبر الفناء فى شقة أخرى بينما كان مستلقيا إثر إصابته بكسر فى ساقه".

أخذت تتفكر وهى جالسة حاملة طبقها. "لم ير أحد ما حدث؛ لا أحد يصدقه. ولا حتى (جريس كيلى) ولا صديقه الشرطى، ولكن انتظر؛ انتظر؛ أمهلنى دقيقة ...".

"(ويندل كورى)".

"اللعنة. أو هذا المرح دائما (ثيلما ريتر). لا أحد يصدق أن (ريموند بير) قتل زوجته".

"ليس هناك دليل يدعم ادعاء البطل. لا أحد؛ ليست هناك إشارة تنم عن استخدام العنف؛ ليس هناك دماء، كما أن جيمى كان يتصرف بشىء من الغرابة".

"وهذا يعنى أننى بالنسبة لك مزيج من فيلم (جاز لايت) وفيلم (رير ويندو)".

"احترسى من كل من يشبه (بيرى ميسون) أو يتحدث بلهجة فرنسية".

"أنت تشعرنى أننى فى حال أفضل. منذ ساعتين مضت ...". كان عليها أن تتوقف وتضغط أصابعها على عينيها وهى تقول: "كنت مكومة على الأرض فى حالة ذهول. كنت أعض على أصابعى. كنت قد سقطت فى القاع".

"كلا؛ لقد تعثرت قليلا، ولكنك نهضت ثانية. هذه شجاعة منك".

أسقطت يديها، قائلة: "لا أدرى ما الذى يجب أن أفعله".

"الآن! عليك تناول شرائح اللحم. إنها رائعة بشكل مذهل".

"حسنا". أخذت قضمة من اللحم وقد كان محقا بالطبع. كان اللحم رائعا بشكل مذهل. "لقد اكتسبت ثلاثة أرطال".

"ثلاثة أرطال كاملة. أين وضعت الحلوى؟".

"ذلك لأننى أطهو. لا أقصد لدى جوانى وإنما هنا. مثلما فعلت الآن".

"سوف أبذل جهدى لأجعلك تأكلين".

"كما أن حبى لك يجعلنى أقبل على الحياة".

"أكرر ثانية؛ سوف أبذل جهدى".

"كما أننى قصصت شعرى وصففته".

"لاحظت ذلك".

هزت رأسها، ثم ابتسمت وقالت: "ما رأيك؟ هل يعجبك أم لا؟".

"إنه جيد".

لوحت بيدها: "من فضلك؛ كف عن هذا. أيجب أن تكون مجاملتك دائما جافة إلى هذا الحد؟".

" هذا هو طبعى".

مررت أصابعها فى شعرها، قائلة: "إن لم يكن يعجبك؛ عليك فقط أن تقولها صراحة".

"إن لم يكن يعجبنى لقلت لك، أو لقلت لك إنه شأنك أنت أن تبقى وجهك مغطى بشعرك الكثيف".

أجابت: "هذا هو تحديدا ما قاله لى المصفف .إن وجودى معك أفادنى كثيرا. أحب أن أكون معك؛ أن أتحدث معك. أحب أن أطهو لك. إننى أشعر أننى ... لن أدعى أننى عدت كما كنت؛ لا أحد يمكن أن يعود كما كان".

"ربما لا يجدر بك أن تعودى كما كنت".

"كلا ربما؛ ولكننى شعرت أننى أصبحت ما كنت أود أن أكونه منذ أن بدأت أقابلك؛ ولكننا نعلم أنا وأنت أنه من الحكمة والصواب أن نتراجع خطوة عن بعضنا البعض".

تجهم وهو يقطع شريحة اللحم، قائلاً: "إن كنت ترين أن هذا بسبب ما تظننينه وهو أنك مغرمة بى وكل ما يثيره هذا من مشاكل -".

أجابت وهى تأخذ قطعة أخرى من اللحم: "كلا، يجب أن

تعتبر نفسك محظوظا لأننى أحبك حتى إن كنت مصابة ببعض الاضطراب العقلى. كثير من النساء قد تجدك بالفعل جذاباً، ولكنهن سوف يستبعدنك من المسائل العاطفية نظرا لطبيعتك الفظة".

"وكذلك أطفال الثالثة".

"تماما. أنا لا أعنى مشاعرى وإنما الموقف نفسه. إذا كنت قد أصبت بنكسة صحية، فهذا يعنى أننى على أفضل تقدير لا أصلح حتى لأية علاقة عابرة. أما إن كنت أنت محقا وكان هناك شخص يتربص بى فهذا سبب أقوى يجب أن يدفعك للابتعاد عنى".

التقط العصير واحتسى رشفة فى تأمل. "إن كنت بالفعل فى مأزق نفسى فهذا يعنى أننى إذا تراجعت، فأنا لا أصلح للمهام الصعبة. أما إن كان هناك بالفعل من يسعى للنيل منك؛ فسوف نصل أيضا إلى نفس النتيجة، كما أنه سوف يفوتنى تبين الأمر برمته. فضلا عن أننى لن أتنازل عن الطعام والدفء".

" يبدو هذا منصفا؛ ولكن إن غيرت رأيك فى وقت لاحق؛ فإننى لن أحمل أى ضغينة نحوك وسوف أقدر موقفك". مدت يدها لكى تلتقط إبريق الماء الذى كانت قد أحضرته معها لكى تنثر به الماء وتضع فيها شرائح الليمون الرقيقة.

أمسك يدها عبر المائدة وانتظر لحين التقت أعينهما، ثم قال: "ليس الطعام والدفء فقط. فأنا ...". سأل نفسه: ماذا؛ مشاعر؟! إن المشاعر قد تعنى أى شىء أحمق. "... أنا أكترث بما يجرى لك".

"أعلم ذلك".

"جيد. إذن ليس علينا أن نحلل ونتحقق من كل شىء على مدى الساعة ونصف الساعة التالية". شعر برقة ونعومة يدها فى يده. وضعها ولكنه وضع يده فوقها على المائدة. "سوف نتبين الأمر يا ريسى".

وفى هذه اللحظة نفسها؛ التى كان يضع فيها يده الدافئة فوق يدها شعرت أنها تصدقه.

بعدما فرغا من تناول الطعام وتنظيف المطبخ؛ عندما جلست فى هدوء تحتسى شايها المفضل، حاول أن يقدم على الخطوة التالية.

"هل يمكن أن أتركك هنا بمفردك على مدى الساعة التالية؟".

"لماذا؟".

"فكرت أننى يمكن أن أصحب ريك لمعاينة منزلك".

"لا تفعل". هزت رأسها وهى تحدق فى ألسنة اللهب فى مدفأة غرفة المعيشة. "إنه لا يصدق ما رأيته يوم الحادث. لقد فعل ما يمليه عليه واجبه وفعله على أكمل وجه بكل التقديرات. ولكنه لا يصدقنى. لقد مررت عليه اليوم فى مكتبه ورأيته ورأيت ديبى وهانك، وعندما استخرجت الصورة وأخبرته بأننى سأنشرها فى جاكسون هول كانت الشفقة هى كل ما رأيته على وجوههم جمعيا".

"إن كان أحدهم قد اقتحم شقتك -"

"إن كان هناك بالفعل من أقدم على ذلك؛ فلن نتمكن من الإثبات، وكيف يمكن ذلك؟ هناك قفل ثقيل على الباب".

"ولكن الأقفال تفتح. والمفاتيح تنسخ. أين تضعين مفاتيحك؟".

"فى جيب حقيبتى الداخلى".

"وأثناء عملك؟".

"فى جيب الحقيبة الداخلى وإن لم أكن أحمل حقيبة أضع المفتاح فى جيب سترتى. فى جيب السترة الأيمن لأننى أستخدم يدى اليمنى إن كنت تريد أن تعرف تحديدا".

"وأين تضعين الحقيبة أو السترة أثناء عملك؟".

"فى مكتب جوانى. لديها نسخة من المفاتيح فى خزانتها فوق الجدار. لا يمكن أن أستنتج من ذلك أننى أخطأت رؤية جوانى على أنها رجل، وأنها قتلت صديقتها لأنها سحاقية وأنها تتربص بشقتى لكى تعذبنى".

"لن يصعب على أى شخص أن يتسلل إلى المكتب ويعد نسخة من المفتاح ثم يعيده مكانه".

اهتز الكوب بين يديها قبل أن تضعه. "هل تظن أنه شخص من أنجيل فيست؟".

"ممكن، ويمكن أن يكون شخصاً كان مقيما فى المنطقة عند ارتكابه الجريمة، وبقى موجودا عندما ذاع . وسرعان ما ذاع . أمر رؤيتك لما حدث".

"ولكن أحداً لم يتعرف على القتيلة".

"لم أقل إنها من هنا أو تقيم فى الجوار".

تراجعت ريسى فى جلستها، قائلة: "كلا؛ كلا؛ لم تقل. أظن أننى افترضت فقط أنها إذا لم تكن من هنا، فهو أيضاً ليس من هنا".

"ربما، وربما لا. قد يكون شخصاً من أنجيل فيست، أو شخصًا يأتى إليها بانتظام، أو شخصاً كان يقيم فى مخيم أو جاء للصيد وركوب القوارب فى النهر، شخصاً يعرف كيف يغطى آثاره، مما يجعلنى أستبعد تماما أن يكون من سكان المدينة. إنه شخص يعرف خط سيرك لمعظم أوقات اليوم".

"وهل هناك من لا يعرف؟".

"أجل. هذه هى الإجابة. يجب أن تتبعى الوقت ". فكر قائلا: "لقد قلت إنك تحتفظين بمذكراتك".

"هذا صحيح".

"سوف ألقى نظرة عليها".

"كلا لن تفعل مطلقا".

بدأ يتذمر ثم ابتسم بدلا من ذلك وقال: "هل ستشركيننى فى الأمر أم لا؟".

"بالطبع لا. لن أطلعك على انطباعاتى وكل ما كتبته عن الرجل الذى شعرت بانجذاب نحوه ودونت مغامراتى العاطفية معه. هذا غير مقبول".

"ربما سأكتفى بقراءة الجزء الخاص بالمغامرات العاطفية لكى أتأكد من أنك قد التقطت كل التفاصيل".

"لقد التقطتها، وسوف أتحقق منها ثانية وأدون التواريخ والأوقات والتفاصيل التى ألاحظها".

"جيد ولكن ليس الليلة. تبدين منهكة للغاية. هيا اذهبى لتنامى".

"يمكننى أن أتمدد هنا فقط لبضع دقائق".

"وهذا يعنى أننى سوف أحملك إلى أعلى عندما تنامين. سوف أذهب إلى مكتبى لأنجز بعض العمل".

"يا إلهى!". ثبتت بصرها على الباب الأمامى. "حسنا؛ ربما ...".

"بعدما أتفقد الأقفال. اذهبى إلى فراشك أيتها النحيفة".

كان من السخف أن تتظاهر بأنها ليست منهكة لذا نهضت على قدميها، قائلة: "سوف أعمل فى مناوبة الإفطار غداً. سوف أحرص على عدم إيقاظك عند استيقاظى".

"سوف أقدر لك هذا".

"شكرا لك يا برودى".

"لم أفعل شيئا يستوجب الشكر".

انحنت وطبعت قبلة على فمه، قائلة: "بل فعلت. عشرات المرات الليلة".

كانت تعلم أنه سوف يتفقد الأقفال لأنه قال إنه سوف يفعل. وحتى بينما كانت تستعد للنوم فى فراشها سمعت وقع أقدامه على الدرج. وعندما استلقت فى فراشها؛ رأت نور المكتب مضاءً وسمعت ضغط أصابعه على أزرار الحاسوب.

كان إدراكها لوجوده كفيلا بأن يجعلها تستلقى فى فراشها وتترك الباب مفتوحا.

كان إدراكها لوجوده كفيلا بأن يجعلها تغمض عينيها وتستسلم للنوم.

١٨

انحنى برودى ليتفحص باب شقة ريسى حاملا كشافاً فى حجم القلم ونظارة مكبرة.

شعر بأنه يبدو أحمق بعض الشىء.

بالرغم من أنه تصور أنه يستطيع أن يواصل نومه فى الصباح مثلما يفعل كبار كتاب الخيال إلا أنه استيقظ عندما استيقظت هى، وتجاهل ادعاءها بأنها تستطيع أن تمضى لحالها ببساطة من الكابينة إلى المطعم.

بالطبع - فكر فى نفسه الآن - ليس هناك مشكلة بالمرة فى أن تسير امرأة. سواء كان أو لم يكن هناك قاتل يتربص بها. بمفردها

فى الظلام مسافة ميلين، وكأنها شخصية حمقاء فى أحد أفلام الإثارة غير المحبوكة.

فضلا عن أنه لم يتناول فقط قدحين من القهوة الطازجة عندما أوصلها إلى جوانى، وإنما تناول أيضا شرائح اللحم والبيض والبطاطس المحمرة قبل أن يفتح المكان أبوابه للزبائن.

لم تكن مقايضة سيئة.

أما الآن فقد جلس القرفصاء وهو يلعب دور المحقق، وبما أنه لم يكن يملك أى خبرة شخصية فى كسر الأبواب واقتحام الشقق؛ فإنه لم يكن واثقا إن كان القفل قد تعرض لأية محاولة سطو وفتح ولكنه لم ير مع ذلك أية إشارة تنم عن ذلك.

فكر ثانية أن يتجاهل ما قالته له وأن يخبر المأمور، ومع ذلك فقد رأى أن ريك لن يفعل أكثر مما يفعله هو الآن بنفسه.

ثم إن هناك أيضا عامل الثقة. فكر فى نفسه وهو يتراجع ليجلس على كعبيه؛ إنها تثق به مما يعنى أنه إن أقدم على مثل هذا التصرف بدون علمها فسوف يخسر هذه الثقة.

تدعى أنها تحبه . ولكن هذا لن يمثل عليه عبئا. إنها المرأة. إنها تخلط بين رغبتها الجارفة ... وشعورها بدفء الصحبة وكلمة الحب. هى حساسة؛ هذا فضلا عن كل التجارب التى مرت بها، والتى مازالت تمر بها.

اعتدل واستخرج المفتاح الذى أعطته إياه، ثم أخذ يحدق فيه وهو يضعه فى راحة يده.

الثقة. ما الذى كان يفترض بك أن تفعله؟

فتح الباب وخطا بالداخل.

كان هناك عبير فى المكان؛ عبير خفيف ورقيق. ريسى. يستطيع الآن أن يتعرف على هذه الرائحة فى أى مكان. اجتاحه شعور غير مبرر بالغضب عندما فكر أن هناك من اقتحم الشقة واشتم هذا العبير الخاص.

كان الضوء فى ذلك الوقت قد بدأ يتسلل من النافذة ويسقط على الأرض العارية والأثاث المستخدم البالى والملاءات الزرقاء الزاهية التى كانت قد اشترتها لفراشها الضيق.

رأى أنها تستحق ما هو أفضل من ذلك وأن عليه أن يساعدها؛ يمكنه أن يشترى لها سجادة وبعض الطلاء.

ذكر نفسه: "لقد بدأت تسقط فى منزلق يا برودى؛ تريد أن تشترى لامرأة سجادة حمقاء! بعدها سوف تطالبك بشراء الخاتم".

ولكنها فضلا عن ذلك كانت تملك مشهدا تفوق قيمته كل الأموال. من سيكون بحاجة لشراء سجادة أو تعليق بضع لوحات على الجدار وهو محاط بهذه الجبال الرائعة التى تشق عنان السماء عبر النافذة وماء البحيرة بالباب؟

فك حاسوبها المحمول والفأرة ووضعهما فى حقيبتها الخاصة لكى يأخذها معه. سوف تكون بحاجة إلى ليلة أخرى . على الأقل . بعيدا عن هذا المكان، كما أنها سوف تكون بحاجة إلى مستلزماتها الأخرى.

وببساطة؛ فتح درج المكتب الصغير الذى لابد أن جوانى كانت قد جلبته لريسى، وداخل الدرج؛ وجد قلمين من الرصاص مبريين وماركر أسود اللون وألبوم صور ذا غطاء جلدى من ذلك النوع الذى يستخدمه البعض لوضع صور الأبناء أو الحيوانات.

دفعه الفضول إلى فتح الألبوم.

طالعته صورة لامرأة كبيرة السن ذات ملامح حادة جالسة فوق أريكة داخل حديقة لطيفة؛ كانت علامة (X)مرسومة بالخط الأسود الكثيف على وجهها. كانت هناك صور أخرى لنفس المرأة وهى ترتدى قميصاً أبيض وبنطالاً أسود وتحمل كلباً صغير الحجم، وكان هناك شخصان فى مرايل المطبخ الطويلة ومجموعة من الأشخاص. رجل يفتح ذراعيه عن آخرهما أمام فرن كبير مثبت فى جدار.

كانت علامة (X) مرسومة فوق وجوه الجميع.

وفى آخر صورة؛ وجد ريسى واقفة وسط مجموعة من الأشخاص. إنه مطعم مانو. كان وجهها هو الوجه الوحيد فى الصورة الذى لم يكن يحمل علامة (X) وكانت كل الوجوه تضىء بالبسمة.

تحت صورة كل شخص؛ وجد مكتوبا بحروف منمقة واضحة كلمة واحدة (ميت)، وتحت صورة ريسى وجد كلمة (معتوهة).

سأل نفسه: هل عثرت على ذلك بعد؟ أمل أن تكون الإجابة هى لا. دس الألبوم فى الجيب الخارجى لحقيبة الحاسوب المحمول. سوف يستخرجه فيما بعد؛ سوف يقرر كيفية مواجهة هذا الأمر عندما يعود إلى المنزل.

بالرغم من أنه لم يكن قد اعتزم اختراق خصوصيتها إلا أن برودى وجد نفسه يفتش فى كل أدراج مرآة الزينة القبيحة.

دفن شعوره بعدم الارتياح وهو يفتش فى ملابسها الداخلية. أقر فى نفسه: حسنا، إنه أمر غريب.

ولكنه لم يستغرق وقتا طويلا فى تفحص الأدراج؛ لم تكن تملك الكثير. لم تكن تحمل الكثير من الأمتعة أثناء سفرها.

أما أدراج المطبخ فهى شأن آخر. كان هذا هو المكان الذى تضع فيه كل مهاراتها. كانت الأدراج منظمة بعناية، ليس هناك شىء فى غير محله. من الواضح أن تلك المرأة لم تكن تعرف معنى كلمة درج فوضوى. وجد مقاييس للمقادير وملاعق ومضارب خفق. هل هى بحاجة لكل هذا الكم؟ . وجد أيضا عددا كبيرا من معدات وأدوات الطهى.

كانت هناك العديد من الأشياء التى لم يكن يعرف الغرض من اقتنائها فضلا عن الأوانى والصوانى التى كانت تحتفظ بها فى منتهى العناية داخل الخزانة السفلية.

وجد مجموعة من الأوانى مختلفة الأحجام وصينيتين فى حجمين مختلفين.

وسأل نفسه ثانية: هل هى بحاجة لكل هذا الكم؟

فى الخزانة التالية وجد المدقة وإناء ممتلئاً عن آخره بالأقراص.

استخرجه ونحاه جانبا.

ثم ذهب برودى إلى الحمام. وجد فى خزانة الحمام كل الزجاجات التى كان قد شاهدها من قبل فى صف واحد فوق الرف. وفارغة.

فكر برودى وقد داهمته موجة غضب؛ ياله من أحمق عابث ياله من لعين ذكى!

و لأنه شعر أنه يريد أن يلكم الجدار بيديه؛ فقد دسها داخل جيبه ثم بدأ يتفحص الجدار.

خط سيمك واضح؛ لاحظ ثانية؛ ليست هناك أية كلمات غير واضحة؛ ولكن تداخل الكلمات مع بعضها البعض كان يترك انطباعا بالهوس. بالطبع بالجنون. إن تتابع الكلمات من الأرض حتى الجدار وثانية من الجدار إلى الأرض كانت تزيد من انطباع الجنون؛ محاولة ذكية.

أياً كان الشخص الذى أقدم على تلك الفعلة؛ فهو رابط الجأش؛ بالغ الحرص؛ شديد الذكاء.

استخرج برودى آلة التصوير الرقيمة التى كان قد أحضرها معه. التقط صورا لكل زاوية ممكنة داخل الغرفة متناهية الصغر ثم التقط صورة مقربة للسؤال كاملا ثم لكل كلمة على حدة ثم للحروف المتفرقة.

عندما اطمأن إلى أنه أنجز مهمته على أتم وجه؛ مال على إفريز الباب.

لا يمكن أن تعود إلى هنا فى وجود كل ذلك السخف. سوف يذهب إلى ماك الآن لكى يبحث عن مادة يمكن أن تزيل كل هذه العلامات من على الأرض والصنبور والقرميد. لا مشكلة.

يمكنه أن يحضر بعض الطلاء، فغرفة بهذ الحجم لن تستغرق الكثير من الوقت على الأرجح. ساعتان؛ كأقصى تقدير؛ لإنجاز المهمة.

هذا يختلف عن شراء سجادة أو أى شىء من هذا القبيل.

طرح ماك عليه بعض الأسئلة بالطبع. فقط المناديل الورقية هى التى يمكنك أن تقتنيها فى أنجيل فيست بدون إثارة أسئلة. أما أى شىء سوى ذلك فسوف يكون مصحوبا دائما بسؤال على شاكلة: إذن ما الذى تنوى عمله؟

لم يذكر له أى شىء عن طلاء شقة ريسى. إنهم يميلون دائما إلى فهم الأمور على نحو خاطئ عندما يجدون رجلا يؤدى بعض

المهام المنزلية لامرأة.

ومع أنه عادة لا يؤدى من المهام المنزلية ما يتعدى إعداد القهوة، فقد جثا أرضا فى الحمام على ركبتيه ويديه وأخذ يحك الأرضية.

أدارت ريسى مقبض الباب بحماس. كرهت كونه لم يكن مغلقا، كما كرهت هذا الشعور الذى أصابها بغصة فى حلقها بأن تجد برودى ملقى على الأرض مصابا بأذى أو بما هو أسوأ من هذا.

لمَ بقى هنا حتى الآن؟ كانت تتوقع أن يكون قد عاد إلى أسفل حاملا مفتاحها قبل فترة الاستراحة بكثير، ولكنه لم يفعل كما أن سيارته كانت لا تزال بالخارج.

كما أن باب الشقة كان مغلقا.

فتحته بهدوء، قائلة: "برودى؟".

"نعم، أنا هنا".

"هل أنت بخير؟ لقد رأيت سيارتك ولم ...". تمهلت فى مشيتها داخل الغرفة وأخذت تشتم الرائحة، قائلة: "ما هذا؟ طلاء؟".

خرج من الحمام حاملا فرشاة طلاء فى يده وآثار الطلاء فى يديه وعلى شعره. "إنه ليس عطرا بكل تأكيد".

"هل تطلى الحمام؟".

"لا مشكلة. فإنه مساحته لا تزيد بحال على قدمين مربعين على الأكثر".

"أكثر قليلا من هذا". كان صوتها يموج بالمشاعر. "شكرا لك". ثم سارت نحو الحمام لإلقاء نظرة.

كان قد انتهى من طلاء السقف بالفعل وما حول القرميد وبدأ فى طلاء الجدران. كان اللون الذى اختاره هو الأزرق الخافت؛ الخافت. كما لو كانت سحابة قد غمست فى البحيرة واكتسبت لمحة من لونها.

لم يكن هناك أى أثر للحروف أو البقع الحمراء.

مالت ريسى نحوه، قائلة: "يعجبنى اللون".

"ليس أمامك الكثير من الخيارات إن كنت تريدين أن تنجزى

مهمة الشراء من المتجر سريعا. بالرغم من أنه كان لديهم لون وردى زاه خطف بصرى".

ابتسمت عندها وأخذت تميل نحوه. "أقدر لك عدم شرائه وأحييك على ذوقك الراقى. سوف أسدد لك المقابل بإعداد الطعام".

"اتفقنا؛ ولكن إن أردت طلاء باقى الشقة؛ فعليك القيام بهذه المهمة فقد نسيت أننى أكره الطلاء".

استدارت نحوه وتشممت الرائحة وقالت: "يمكننى إنجاز هذه المهمة بعد انتهاء مناوبتى".

"أنا الذى بدأت وأنا الذى سوف أنهى المهة التى بدأتها". ضبط نفسه وهو يضغط شفتيه أعلى رأسها؛ ولكن الوقت كان قد تأخر كثيرا على التراجع. أدرك أنه تأخر كثيرا عن الكثير من الأشياء عندما دفعت رأسها إلى الوراء وركزت تلك العينين الرائعتين عليه.

"هذا أغلى عندى من الذهب. فقط أريدك أن تعلم".

"هذا جيد. لأن ذهبى كله قد نفد". عندما أرخت رأسها على صدره وتنهدت؛ شعر أنه تهاوى. "لم أكن أريدك أن ترى ذلك ثانية".

"أعلم؛ ولكن هل بوسعى أن أبيت عندك الليلة على أية حال؟".

اشتمت الرائحة ثانية. "تعلم أن رائحة الطلاء تستغرق بعض الوقت حتى تخبو".

"أجل ونحن لا نريدك أن تشتمى هذه الرائحة".

دفعت رأسها إلى الوراء ثانية، وفى هذه المرة رفعت فمها نحوه، وطبعت على فمه قبلة طويلة بطيئة ودافئة على نحو لا يقاوم ورقيقة إلى حد لا يمكن احتماله.

و بضحكة تراجعت إلى الوراء. مشرقة؛ هكذا فكر فى نفسه. كل الضغوط والإنهاك الذى رآه فيها الليلة الماضية كانت قد ولت.

"سوف أكون بحاجة إلى أشياء قليلة لكى ... ماذا؛ هل كنت بصدد طحن شىء؟".

كان مازال هائما فى مذاق القبلة ونظرة وجهها حتى أنه نجح بالكاد بالرد عليها قائلا: "ماذا؟".

"لقد أخرجت الهون والمدق".

لعن نفسه لأنه تركهما بالخارج. "ريسى ـ"

"ما الذى عثرت عليه هنا؟ يبدو لى ...". خمد البريق الذى كان قد توهج فى عينيها وانتقل إلى وجهه.

"أنا لا أحملهما معى". عندما نظرت إليه كانت عيناها ذاهلتين. "إننى فقط أحتفظ بهما لكى أذكر نفسى بما أبذل جهدى للفرار منه. لا أريدك أن تفكر أننى ـ"

"لم أضعهما هنا".

"إذن ... يا إلهى".

"إنها حيل لعينة يا ريسى". وضع الفرشاة فى الصينية واقترب منها. "إنه ينصب لك الكمائن ولا ينبغى أن تسقطى فيها".

"ما الذى تظن أنه يريد قوله بهذا؟". دست أصابعها فى الإناء وتركت الأقراص تتخللها. "لم لا تطحنين هذه الأقراص وتحيلينها إلى عجين ثم تضعينه على خبز جاف وتتناولينه وترسلين نفسك إلى الجحيم؟".

"لا يعنينا ما يريد قوله إن كنت لا تصغين لما يقول".

"لا يعنينا". استدارت فى المكان وحلت نظرة الغضب الجامح محل نظرة البؤس والذهول. "لا يمكننى أن أرد ما لم أصغ. لا يمكننى أن أعلمه بأننى لن أتراجع؛ لن أتناول الأقراص ولن أعود إلى الأطباء. لن أتراجع فى الظلمة لأنه قاتل وجبان وملعون".

أمسكت الإناء، وحتى عندما احتواها برودى لكى يجذبه منها؛ أفرغت محتواه فى الحوض وأجرت الماء عليه. "لم أعد بحاجة إلى الأقراص. لم أعد أريدها، وليذهب إلى الجحيم".

"كان يجب أن أدرك أنك لست من النوع الذى يتخلص من الأوانى الفخارية " وضع يديه على كتفيها ووقف معها يراقب الأقراص وهى تذوب. "إنه لا يدرى ما هو بصدد مواجهته بتحديه إياك "

"سوف أرتعد على الأرجح فيما بعد عندما أشعر أننى لم أعد أملك الأقراص. إنها غطائى الأمنى".

"ولكن دوك سوف يكتب لك الأقراص إن احتجت إليها".

"أجل، أظن ذلك". ثم قالت لنفسها: هيا إلى بالوعة الصرف. دفعتها فى البالوعة لكى تثبت لنفسها شيئا ما. "سوف أضع هذا فى اعتبارى، وأرى كيف سأتصرف بدون غطاء أمنى".

فكر فى ألبوم الصور الذى كان قد انتزعه من مكانه؛ ظنا منه أنه يسعى لحمايتها، ولكنها لم تكن بحاجة إلى الحماية؛ أدرك هذا، وإنما كانت بحاجة إلى إيمان وتصديق. كانت بحاجة إلى شخص يصدق أنها مستقرة عقليا ونفسيا.

"هناك شىء آخر. شىء سوف يصدمك أكثر من هذا قليلاً".

"ماذا؟".

حتى عندما جالت بنظرها فى المكان بحثا عن الكمين؛ سار نحو الحاسوب المحمول واستخرج الألبوم الصغير ، قائلاً: "لقد فعل هذا ليغضبك؛ فلا تدعيه يفوز".

فتحت الألبوم. لم ترتجف يدها فى هذه المرة ولكن قلبها هو الذى ارتجف. "كيف يمكن أن يفعل ذلك بهم. بعد كل ما مروا به؛ بعد كل ما عانوه وفقدوه؛ يمحوهم هكذا وكأنهم لا شىء".

"إنهم كذلك بالفعل؛ بالنسبة له".

قالت: "لا يمكن أن أكون أنا التى فعلت هذا، أياً كانت حدة الانهيار الذى أصابنى؛ لم يسبق لى أبدا أن فعلت شيئاً كهذا. لقد أخطأ هذه المرة لأننى أعلم تماما أنه ليس أنا من فعل هذا". مررت إصبعها على الوجوه المطموسة. "لقد كنت أحبهم. لم أسع أبدا لمحوهم".

تصفحت الألبوم كله كما فعل برودى ثم أغلقته، قائلة: "أيها الشقى اللعين. كلا؛ لن يفوز". ثم عادت إلى المكتب وأعادت الألبوم فى مكانه، مستطردة: "لن يفوز".

سار نحوها مما دفعها إلى الاستدارة. يمكنها أن تستريح على صدره. "أستطيع أن أجد نسخة لكل الصور؛ جدتى تحتفظ بنسخ. ولكن صورة المجموعة كلها هى الصورة الوحيدة التى أملكها أنا".

"ولكن قد تكون هناك نسخ لدى أسرهم".

"بالطبع، سوف تكون لديهم نسخ". تراجعت إلى الوراء ودفعت شعرها. "يمكننى أن أتصل بهم وأحصل على نسخ. يمكننى أن

أفعل ذلك. يجب أن أذهب إلى الدور السفلى الآن؛ يجب أن أنهى مناوبتى".

ربت على شعرها، قائلاً: "سوف أصعد إلى هنا فور انتهائى، ربما يمكننا أن نفعل شيئا فى وقت لاحق؛ نخرج فى نزهة، أو يمكننى أن أقترض قاربا، أو أى شىء".

"أى شىء يبدو لى جيدا. أنا على ما يرام. سوف أكون بخير".

كان بيتى قد عاد إلى العمل وغمز لها عندما دخلت المطبخ، قائلاً: "طبق الدجاج الذى أعددته هذا لاقى نجاحا منقطع النظير على الغداء. قدمنا منه الكثير ولم يعد لنا منه الكثير".

"جيد".

سألتها جوانى وهى واقفة عند الشواية: "هل أطلت قليلا فى فترة الاستراحة؟".

" آسفة، سوف أبقى قليلا بعد فترة مناوبتى".

"هل يطلى برودى الشقة بالأعلى؟".

توقفت ريسى قليلا وهى تغسل يديها، قائلة: "كيف تعرفين مثل هذه الأشياء؟".

"لقد جاء كارل هنا لتناول القهوة وأخبر ليندا أن برودى ذهب إلى المتجر، واشترى الطلاء وبعض المستلزمات، كما أن سيارة برودى مازالت بالخارج أمامنا. هذا أمر منطقى".

"أجل؛ إنه يسدى لى خدمة".

"أفضل ألا يكون لونا صارخا".

"إنه أزرق خافت للغاية. لقد طلى الحمام فقط. لقد ... لقد كان بحاجة لبعض الطلاء".

"أظن ذلك". وضعت جوانى شرائح اللحم فى سيخ كبير ثم وضعت البيض وبدأت تعد شطائر اللحم. "من اللطيف أن يكون لديك رجل يتولى بعض المهام المنزلية".

"بالفعل". وبعدما جففت يدها، التقطت ريسى التذكرة التالية.

"لا أذكر أن برودى قد أسدى مثل هذه الخدمات لأى امرأة هنا. هل تذكر أنه فعل شيئا من هذا القبيل يا بيتى؟".

"كلا؛ لم يفعل".

كان بيتى محقا فى أمر طبق الدجاج. تلقت طلبى دجاج؛ أحدهما بشرائح البصل والآخر مع حساء الحبوب. عادت ريسى إلى عملها.

قالت فى بساطة: "أنتما تعلمان أننى أحبه، وهذا ما يفعله الرجل عادة؛ يؤدى بعض المهام المنزلية للمرأة التى يحبها".

قالت جوانى: "ولكنك لست المرأة الأولى التى يقيم معها برودى علاقة هنا، ومع ذلك لم يطل لأى منهن الحمام".

"ربما أكون صاحبة التأثير الأقوى".

أطلقت جوانى ضحكة صاخبة؛ ووضعت البطاطس المقلية بجوار شطيرة اللحم فى أحد الأطباق ثم أضافت سلاطة الكرنب، قائلة: "الطلب جاهز! دينى؛ كيف حالك؟".

"على ما يرام يا جوانى". بدلاً من أن يجلس بقى النائب واقفا عند المنضدة، مستطرداً: "لقد أرسلنى المأمور إلى هنا. أردت أن أعرف إن كان يمكن أن تحضر ريسى إلى هناك؛ هل يمكنك الاستغناء عنها لبعض الوقت؟".

"اللعنة يا دينى؛ لقد عادت لتوها من فترة الاستراحة وقد بدأنا مناوبة الغداء".

دس دينى إحدى يديه تحت قبعته الرسمية وحك رأسه، قائلاً: "حسناً، كنا فقط ... هل يمكننى أن أدخل لدقيقة؟".

بشىء من القلق؛ دفعته جوانى بالداخل بتلويحة من يدها.

همست ليندا وهى تنظف المنضدة: "ما الذى يجرى هنا؟".

"لا شىء يخصك؛ هيا احملى هذا الطلب إلى هناك". عادت جوانى نحو المطبخ. "لمَ يريد ريك أن ينتزع منى طاهيتى فى وقت الغداء المحموم بينما أنا غارقة فى العمل هنا؟".

رفعت ريسى رأسها وهى تعد الدجاج، قائلة: "هل يريدنى المأمور؟".

"يريدك أن تذهبى إليه لبضع دقائق. هناك ...". ثم قال

لجوانى: "لم أكن أريد أن أثير الأمر بينما الجميع يتناول الطعام هنا. لقد عثروا على جثة لامرأة فى أحد مستنقعات الغابة فى منطقة (موظ بوندز)". ارتسمت علامات الأسف فى عينيه وهو ينظر إلى ريسى، قائلاً: " لقد التقط المأمور بعض الصور التى يريدك أن تلقى نظرة عليها لكى تتبينى ما إن كانت هى المرأة التى رأيتها ... أقصد التى رأيتها عند النهر".

قالت جوانى بسرعة: "هيا اذهبى".

"نعم". خرج صوتها متبلداً. "نعم؛ يجب أن أصعد ... سأنهى إعداد هذا الطلب أولاً".

"يمكننى أن أنهيه بنفسى. بيتى اصعد إلى أعلى واطلب من (برودى) أن يحضر".

"كلا؛ كلا؛ لا تزعجه". وبلا تفكير؛ خلعت ريسى مريلتها مستطردة: "سوف أكون بخير. سوف نذهب الآن".

انتظر بيتى لحين أصبحت ريسى بعيدا عن مرمى السمع ثم قال لجوانى: "هل تريديننى أن أصعد وأخبر برودى؟".

"لقد قالت لا وريسى تعلم جيدا ما تريد"، ومع ذلك فقد ارتسمت علامات القلق على وجه جوانى عندما استدارت لكى تكمل عملها على الشواية.

كان قد أحضر معه راديو السيارة، وهذا يعنى أن الرحلة كانت سريعة، ولم تمنحها وقتا كافيا لحين استقرار الفكرة فى عقلها أو مخاوفها. سوف ينتهى الأمر برمته فى غضون دقائق قليلة. سوف يكون بوسعها أن ترمى كل هذا وراء ظهرها؛ أو تحاول أن تفعل.

"سوف أصحبك إلى مكتب ريك فى الحال". ربت دينى فى تردد على كتفها عندما خرج من السيارة. "هل تريدين بعض القهوة؟ بعض الماء؟".

"كلا؛ كلا؛ أنا بخير". فكرت فى أنها لن تكون قادرة على البلع. "هل عرفت كيف ... كيف ماتت؟".

"يجدر بك أن تتحدثى مع المأمور". فتح دينى لها باب السيارة.

أرسل هانك رسالة سريعة، قائلاً: "زمرة من السائحين المهووسين كانوا يطاردون جاموسا بسيارة فى محاولة لالتقاط

بعض الصور، والآن أصبح لدى سيارة غارقة وجاموس ثائر. ريسى!".

رسم على وجهه ابتسامة لها، قائلاً: "هل أنت بخير؟".

"نعم".

"دينى، سوف تخرج أنت مع لينت لكى تنقل هذه الزمرة بشاحنة جر. زمرة لقطاء؛ آسف يا ريسى".

"سوف أعود الآن إلى مكتب المأمور مردسون".

سمعت دانى يسأل: "أين هم؟" بينما كانت هى تسير مبتعدة.

كان الباب مفتوحا؛ وكان مردسون قد نهض ولف حول مكتبه بالفعل لكى يستقبلها. "شكرا على مجيئك".

"لقد عثروا على شخص ما. سيدة. أقصد جثة سيدة".

أمسك ذراعها برفق وقادها إلى الكرسى،مستطرداً: "اجلسى الآن، لقد عثر عليها بعض الأطفال. إنها تتفق مع المواصفات التى أدليت بها. لدى بعض الصور هنا. يجب أن أخبرك بأنها ليست صورا يسهل النظر إليها؛ ولكن إن كان بوسعك النظر إليها، أخبرينى إن كانت هذه هى المرأة التى رأيتها، سوف يكون ذلك بمثابة مساعدة كبيرة لنا".

"هل تعرضت للخنق؟".

"هناك بعض المؤشرات إلى إمكانية تعرضها لبعض الخنق. هل يمكنك مطالعة الصور؟".

"يمكننى أن أطالعها". قبضت على يديها معا ووضعتهما فى حجرها لكى تتمالك نفسها بينما استخرج هو ملفا من مكتبه.

"خذى وقتك".

جلس على مقعد الزائر الآخر ثم أخرج الصورة. لم تأخذها منه؛ لم تتمكن من فك يديها، ولكنها نظرت.

ثم نظرت بعيداً بينما كانت تزفر نفسها، قائلة: "إنها ... آه؛ يا إلهى!".

"أعلم أن هذا صعب. لقد بقيت مدفونة لفترة؛ ربما ليوم أو اثنين. سوف يحدد كورونر وقت الوفاة ومثل هذه التفاصيل".

"يوم أو اثنان؟ ولكنه قد مضى على الحادث أسابيع".

"إذا كانت قد غادرت بصحبته فى ذلك اليوم بعد أن أصيبت ولكن بدون وفاة، فهذا يعنى أن هذا ربما قد حدث فى وقت لاحق".

عندما بدأت تهز رأسها، رفع ريك إحدى يديه، قائلاً: "هل يمكنك أن تجزمى بدون أدنى شك أنه يستحيل أن تكون قد بقيت على قيد الحياة فى ذلك اليوم؟".

أرادت أن تقول إنه يمكن أن يكون هذا قد حدث؛ بالطبع أرادت، ولكن أنى لها هذا؟

"كلا، ليس لدى أى شك فى أنها قد ماتت".

"هذا يكفى الآن. هل هذه هى المرأة التى رأيتها يا ريسى؟".

قبضت على أصابعها إلى أن شعرت بألم ثم استغلت هذا الألم لكى يمنحها دفعة لمطالعة الصورة ثانية.

كان وجهها مشوها بفعل الجروح والتورم وآثار الجروح والتى كانت تمتد حتى حلقها الذى بدا مسلوخا أحمر اللون. كانت كل الكائنات الحية التى تقطن المكان قد نالت من جسدها. كانت قد سمعت ذات مرة أن الأسماك والطيور تتجه إلى العين أولا، والآن أدركت أن هذه حقيقة بالفعل.

كان شعرها أسود وطويلاً. وبدت كتفها مهلهلة.

حاولت ريسى أن تفرض صورة المرأة التى مازالت تحملها فى ذكراها على هذا الوجه المشوه أمامها.

"لا أظن ... تبدو لى أصغر سناً ... كما أن شعرها ... كما أن شعرها أقصر طولا. لا أدرى".

"ولكنك كنت على بعد مسافة كبيرة فى ذلك اليوم؛ كما عرفت".

"إنه لم يضربها؛ ولكن وجهها. هذا الوجه. قد تعرض للضرب. لقد دفعها فقط على الأرض ... ولكنه لم يضرب وجهها هكذا!".

بقى ريك بدون أن ينطق بكلمة واحدة للحظة ثم نظرت ريسى بعيدا ثانية، فقلب هو الصورة على وجهها.

"ربما لم تمت عندما هرعت أنت لطلب المساعدة. ربما يكون قد سحبها وغطى آثاره. ربما تكون قد عادت واتفقا لفترة. وسافرا

مع بعضهما البعض، ثم نشب بينهما شجار آخر بعدها بأسابيع فى البقعة التى رأيت فيها الجريمة، فإذا وضع الرجل يديه حول رقبة امرأة مرة فلن يتورع فى إعادة الكرة ثانية".

"وما الذى يعنيه هذا؟".

"يجب أن ننتظرى لحين تشريح الجثة وتفحص الأدلة الأخرى. أرجح أن تكون هذه الجثة للمرأة التى رأيتها أنت؛ ولكن أريدك أن تلقى نظرة أخرى؛ صفى عقلك أولا؛ سوف يكون هذا مجديا. لم تكن تحمل أية بطاقة هوية معها. لقد أخذنا بصماتها، ولكننا لم نعثر عليها فى السجلات. سوف يتفحصون أسنانها، ويتفقدون كل الأشخاص المفقودين؛ ولكننا إن عرفنا أنها كانت فى المكان الذى رأيت فيه هذين الشخصين، وأنها هى التى كانت بصحبة الرجل الذى رأيته سوف يفيدنا أيضا إلى حد كبير".

أبقت ريسى عينيها مثبتتين عليه، قائلة: "ولكنك لم تصدقنى من قبل. لم تصدق أننى رأيت ما قصصته عليك وأنه كان أحد بالفعل هناك".

"كانت لدى شكوك؛ لن أكذبك القول؛ ولكن هذا لا يعنى أننى لم أبحث الأمر أو أننى لا أواصل بحثى حتى الآن".

"حسناً". فى هذه المرة أمسكت الصورة بيدها. كان شعورها بالصدمة قد زال وحل محله الشعور بالشفقة وهى تتفحص الوجه. "لا أدرى. أنا آسفة. ليتنى أستطيع أن أقول إن هذه هى المرأة التى رأيتها، ولكننى لا أستطيع. أظن أنها كانت أكبر سنا من ذلك وأن شعرها كان أكثر طولا وأن وجهها كان أكثر نحافة ... أظن لو أننى كنت قد شاهدت صورة لها قبل أن يفعل بها كل هذا لجزمت برأى قاطع بقدر أكبر من الثقة".

"حسناً". أخذ الصورة ثم وضع إحدى يديه على يديها وضغط عليهما. كانت يدها باردة كالثلج. "أعلم أن هذا كان صعبا عليك؛ هل تريدين بعض الماء؟".

"كلا. شكراً".

"ما إن يتم التعرف عليها فسوف نجعلك تلقين نظرة. أقدر لك مجيئك هنا. سوف أطلب من دينى أن يوصلك إلى منزلك".

"أظن أنه خرج فى مهمة".

"إذن سأوصلك بنفسى".

"يمكننى أن أمشى". ولكنها عندما نهضت على قدميها؛ لم تتمالك نفسها، فقالت: "أو ربما لا".

"سوف أصحبك. هل تريدين البقاء لبضع دقائق هنا أولا؟".

هزت ريسى رأسها، قائلة: "إن كنت محقاً فى قولك بأنها قد بقيت على قيد الحياة فى ذلك اليوم؛ فما الذى يبقيها معه؟ ما الذى يدفعها للبقاء مع رجل حاول أن يقتلها؟".

"ليس هناك ما يجعلنا نجزم بما يمكن أن يفعله أى شخص. هانك، سوف أوصل ريسى إلى منزلها". أضاف وهو يلتقط قبعته من فوق المشجب ويفتح الباب: "ربما أكون مخطئا، ربما لا يكون لهذا الأمر أية علاقة بما شاهدته أنت فى الشهر الماضى؛ ولكن من المواصفات التى أدليت بها؛ أستطيع أن أقول إن هناك احتمالاً قويا".

"لم يتم الإبلاغ عن اختفائها لأنها كانت معه وهو لم يستطع أن يبلغ. أو لم يفعل".

"ممكن".

ركبت السيارة وتركت رأسها يسقط للوراء، قائلة: "أتمنى أن أقول إنها المرأة التى رأيتها. سوف يكون من الأسهل كثيرا على أن أقول إنها هى، لأن هذا يعنى أن الأمر برمته انتهى بالنسبة لى".

"عليك أن تنسى هذا الأمر الآن؛ على الأقل الآن. دعى الشرطة تقوم بدورها".

"ليتنى أستطيع".

عندما وصلا إلى مطعم جوانى، نظرت ريسى فوجدت برودى يخرج لتوه من باب شقتها.

عندما رآها تخرج من سيارة الشرطة؛ هرع نازلا على الدرج.

"ما الذى يجرى هنا؟ هل حدث شىء؟".

بدا قلقا للغاية ولم تكن هى قد اعتادت أن ترى القلق على وجهه. كان كل ما بداخلها يريد أن يرتجف. "لقد عثروا على جثة سيدة وذهبت لكى ألقى نظرة على الصور ... لا أدرى ما إذا كانت هى

المرأة التى رأيتها. كان وجهها مطموسا ومشوها. لا أظن أنها المرأة التى رأيتها ولكن ـ"

قال ريك وهو يهبط من مقعد السائق: "لقد عثروا عليها فى المستنقع فى الغابة بالقرب من (موظ بوندز)".

"سوف أجلس على الدرج لدقيقة قبل أن أعود. المزيد من الهواء". سارت ريسى نحو الدرج وارتمت بثقلها فوقه.

قال ريك هامسا لبرودى: "جثة امرأة لها شعر أسود طويل. تشير الأدلة إلى أنها قد خنقت. ضربت وتعرضت للاغتصاب. ربما غرقت. إن كورونر يقوم بمهمة التشريح. لقد عثر الأطفال عليها. كانت عارية بلا هوية؛ كما أننا لم نعثر على ملابس فى المنطقة".

"عثروا عليها لتوهم؟".

"بالأمس، وأخطرت اليوم وحصلت على صور لمسرح الجريمة".

"يا إلهى يا ريك، وهل تظن أن ريسى سوف تتعرف على سيدة بقيت مدفونة لما يقرب من شهر؟".

قال ريك مصححاً: "يوم أو اثنان، إن كانت ريسى قد شاهدت شخصا فى الشهر الماضى، وإن لم تكن المرأة التى شاهدتها قد لقت حتفها فى ذلك الوقت ونهضت وسارت أو حملت وهى مازالت على قيد الحياة؛ فهذا يعنى أنها يمكن أن تكون هى. كنت أريد أن أرى ريسى لكى تتعرف عليها؛ ولكنها تعاملت مع الأمر برباطة جأش. إنها شجاعة".

"كان يجب عليك أن تتصل بى أولا وتطلب منى أن أحضرها لك". قالها برودى وهى يشير بوجهه نحو ريسى. "أنت تعلم جيدا أن هناك علاقة بيننا".

"لو كانت تريدك معها لاتصلت بك. ما هذا الذى علق بشعرك؟".

مرر برودى يده فى شعره، قائلاً: "اللعنة! إنه الطلاء. كنت أقوم ببعض الطلاء بالأعلى".

رفع ريك أحد حاجبيه، قائلاً: "هكذا إذن! أظن أن علاقتك أقوى مما كنت أتصور".

"إنه طلاء لا أكثر".

رسم ريك ابتسامة مصطنعة، قائلاً: "لون أزرق لطيف؛ جميل. عندما بدأت علاقتي بـ ديبي، جعلتني أصلح لها شرفتها ثم أقتني لها هذا وذاك من السوق، وقبل أن أفيق؛ وجدت نفسي في حفل الزفاف أقول (نعم، سوف أحافظ على عهود الزواج)".

"اللعنة عليك يا ريك. إنه مجرد طلاء".

"لابد أن تكون هناك نقطة بداية". سار نحو ريسي وانحنى نحوها لكي لا تضطر إلى رفع رأسها نحوه، ثم قال: "هل أنت بخير الآن؟".

"أجل. سوف أكون بخير. شكراً على توصيلي إلى هنا".

"إنه جزء من عملي".

نادته وهو يعود أدراجه نحو السيارة: "أيها المأمور؟ سوف تخطرني بمجرد أن يتم التعرف على الجثة؟".

"سوف أفعل. لا تقلقي. اعتني بنفسك الآن". أضاف قائلا لبرودي: "احترس؛ لا تدعها تُلبسك مريلة المطبخ".

"يا لك من -" ولكن ريك كان قد انسل داخل سيارته بالفعل وأغلق الباب.

بينما كانت ريسي تدفع نفسها ناهضة من فوق الدرج؛ سار برودي نحوها، قائلاً: "سوف أجمع كل الأشياء الأخرى التي تحتاجين إليها وآخذها إلى المنزل. سوف نخرج في نزهة بالسيارة أو نفعل أي شيء".

"كلا. يجب أن أعود إلى عملي الآن".

"إن جواني لن تطردك من العمل بحق الله".

"ولكنني بحاجة لأن أعمل. أريد المال، كما أنني مدينة لها بساعة عمل. يجدر بي أن أبقى مشغولة الآن على أية حال".

أخرج مفتاحها من جيبه ومنحها إياه قائلاً: "سوف تبقين إذن. سوف أكون بالمنزل إن ... سوف أكون بالمنزل".

"حسنا". بما أنه لم يسع للاقتراب منها فقد مالت هي نحوه وقبلته.

"اعتبرها تحت حساب الطلاء".

"كنت أظن أن الدفع سوف يسدد بالطعام".

"بداية".

١٩

لم تطرح جوانى أية أسئلة وشددت على الجميع بعدم توجيه أية كلمة إلى ريسى خارج إطار الطعام.

عندما بدأت ضوضاء الغداء تنفض؛ رأت ريسى وهى تقطع شرائح البصل والكرفس. لقد كانت الفتاة تملك فى تعاملها مع السكين سرعة ودقة الفارس على جواده؛ ولكن عقلها كان شاردا بعيدا عن العمل.

قالت لها جوانى: "لقد انتهت مناوبتك".

"ولكننى مدينة لك ببعض الوقت، كما أننا بحاجة إلى إعداد سلاطة البطاطس".

"كنت مدينة لى بعشر دقائق؛ وقد تم تسديدها بالفعل".

هزت ريسى رأسها وواصلت التقطيع، قائلة: "ولكننى قضيت ثلاثين دقيقة كاملة مع المأمور".

شعرت جوانى بالإهانة وقبضت على يديها فوق ساقيها وقالت: "ألم يسبق لى أن نوهت إلى هذا الأمر؟ يا إلهى!".

"أنا مدينة لك بثلاثين دقيقة". وضعت ريسى البصل والكرفس فوق البطاطس التى كانت قد غلتها وقطعتها مكعبات وبردتها، قائلة: "سوف يكون مذاقها أفضل إن أضفنا إليها الشبت الطازج".

"حسنا؛ سوف أكون فى حال أفضل أنا أيضا لو كنت بصحبة جورج كلاونى وهريسون فورد؛ سوف نشكل ثلاثيا ولكن لا أنت ولا أنا سوف ننال أمانينا. إننى لا أسمع أى شكوى من الزبائن وقد قلت لك إن مناوبتك قد انتهت. أنا لا أدفع وقتا إضافيا".

"أنا لا أريد أجر أى وقت إضافى لعين، وإنما أريد بعض الشبت الطازج والكارى والجبن الجيد الذى لا يشبه البلاستيك. وإن كان الزبائن لا يتذمرون فهذا لأن حاسة التذوق لديهم قد ضمرت".

"أهكذا؟". قالتها جوانى ببساطة بينما انسل بيتى بعيدا عن الحوض نحو الباب الخارجى، ثم أضافت: "إنهم لن يكترثوا ألبتة بهذا الشبت الطازج بل ولا يعرفونه من الأصل".

"حسناً؛ عليهم أن يعرفوه". صفعت ريسى إناء التتبيل على المنضدة. "وعليك أنت أن تفعلى ذلك. لمَ يفرض على كل شخص أن ينجز مهمته بما هو متاح فحسب؟ لقد سئمت ذلك".

"إذن اخرجى من مطبخى".

"حسناً". خلعت ريسى مريلتها فى عصبية. "حسنا؛ أنا راحلة". سارت بخطى الغضب المحموم إلى مكتب جوانى والتقطت حقيبة يدها وسارت نحو الباب. توقفت عند إحدى الموائد التى كان يجلس عليها ثلاثة من متسلقى الجبال بعد أن أنهوا غداءهم متظاهرين بعدم الإصغاء. أشارت بإصبعها نحو إحدى زجاجات التوابل " الكمون، ينقصها الكمون ". ثم خرجت ثائرة.

همست جوانى: "كمون؛ يا إلهى!". ثم استدارت جهة بيتى، قائلة: "هيا عد إلى العمل؛ أنا لا أدفع لك راتبك لكى تبقى واقفا

فى حالة أسف. يمكننى أن أطردك أنت الآخر من العمل أيضا". فكرت جوانى: الكمون! وهى تزفر فى غضب وتتجه إلى المناضد لاستكمال السلاطة.

صفقت ريسى باب سيارتها. قالت لنفسها: على أن أقود وأظل فى حالة قيادة، لم أكن بحاجة إلى هذه البلدة؛ لهؤلاء الأشخاص؛ لهذا العمل السخيف الذى كان يهزأ من المطبخ الراقى. على أن أتجه إلى لوس أنجلوس، هذا هو المكان الذى يجب أن تتجه إليه. عليها أن تذهب إلى هناك وتلتحق بالعمل فى مطعم حقيقى؛ يعرف رواده معنى الطعام الحقيقى وأنه أكثر من مجرد إشباع للجوع.

خرجت من سيارتها وصفعت الباب ثانية عند المتجر. كانت مدينة لجوانى ببعض الوقت ولكن تلك اللعينة لم تكن تريده، كما أنها كانت مدينة لبرودى بالطلاء، ولكنها بالطبع سوف تسدد دينها له.

ولجت من الباب وسارت مسرعة نحو المنضدة حيث كان ماك يحزم بعض الأشياء لـ ديبى مردسون.

قالت بسرعة: "أريد البندق".

"آه، ولكن لم يعد لدينا بندق".

"ولكن كيف يمكن أن تعد دجاج الفرانجيليكو بدون بندق؟ ولمَ لا؟".

"لأنه ليس لدينا طلب على البندق، ولكننى أستطيع أن أجلب لك بعض البندق".

"ولكننى أريده الآن". ابتعدت وسارت نحو قسم البقالة لكى تتفقد الأرفف والمعلبات بحثا عن أى إلهام وعن مكونات. فكرت؛ سخيفة وحمقاء، تحاولين العثور على الإلهام فى مكان قروى مغمور كهذا.

همست: "آه؛ يا إلهى! معجزة، طماطم مجففة بأشعة الشمس". وضعتها فى سلتها وتفقدت الطماطم الطازجة. فكرت فى ازدراء؛ إنها طماطم الصوب، ملفوفة فى ورق السلوفان؛ يا إلهى. إنها بلا طعم وبلا لون.

هيا أنجزى بما هو متاح، ولكن ليس هناك الكثير.

ليس هناك بورتوبيلو؛ يا لها من مفاجأة كبرى. ليس هناك خرشوف أو قرنبيط. ليس هناك أيضا شبت طازج.

"مرحى يا ريسى".

ألقت بعض ثمار الفلفل التى لم تكن راضية عنها فى سلتها وتجهمت فى وجه لو، قائلة: "إن كانت والدتك قد أرسلتك إلى هنا، يمكنك أن تعود إليها فورا وتخبرها بأننى لن أعود".

"أمى؟ إننى لم أذهب إليها بعد؛ ولكننى رأيت سيارتك بالخارج. دعينى أحمل عنك هذا".

"سوف أحمله أنا". حملت سلتها بعيدا عن متناول يده. "أو ربما تكون قد نسيت أننى قد سبق وقلت لك إننى لن أرتبط معك بعلاقة من أى نوع".

فتح فمه ثم أغلقه ثم تنحنح، قائلاً: "كلا؛ لم أنس هذا. اسمعى؛ إننى جئت إلى هنا فقط عندما رأيت سيارتك لأننى تصورت أنك ربما غاضبة بعض الشىء".

"لماذا؟ بطاطس ذات قشرة حمراء! معجزة أخرى".

"لقد سمعت بأمر الجثة التى عثروا عليها بالقرب من (موظ بوندز). إن مثل هذه الأخبار سرعان ما تنتشر". أضاف قائلا عندما اكتفت بالتحديق فى وجهه: "لابد أن هذا كان عصيبا عليك".

"ولكنه كان أشد قسوة عليها هى؛ أؤكد لك". ثم تقدمت لتلتقط لفافة من شرائح صدور الدجاج.

"أظن أنك محقة، ولكن مع هذا لابد أن الأمر كان عصيبا عليك. رؤيتها ثانية؛ حتى إن كنت قد رأيت صورة لها. لابد أن هذا قد أعاد إلى ذاكرتك يوم الحادث". حرك قدمه عندما بقيت صامتة بلا استجابة. "ولكنهم على الأقل عثروا عليها".

"لست واثقة من أنها المرأة التى شاهدتها".

"بالطبع هى كذلك. لابد أنها هى".

"لماذا؟".

"يبدو لى هذا منطقيا". سار معها نحو المنضدة، مستطرداً: "الكل يقول ذلك".

"الكل لا يعرف الحقيقة؛ ولا يمكننى أن أقول إن المرأة التى

عثروا عليها هى المرأة التى رأيتها لكى أرضى الجميع".

"حسنا؛ يا إلهى يا ريسى لم أكن أعنى ـ"

"يا له من أمر مضحك؛ أكان لابد أن تعثر زمرة أطفال على جثة لكى يقرر الجميع هنا بأننى لم أختلق الأمر، يا إلهى! ربما لا تكون ريسى فاقدة لصوابها تماما على أية حال".

وبمزيد من الاهتمام يفوق المعتاد؛ وضع لها ماك مشترياتها فى صندوق، قائلاً: "لا أحد هنا يظن أنك مجنونة يا ريسى".

"بالطبع هم يظنون كذلك، فبما أنها قد فقدت صوابها ذات مرة فهذا يعنى أنها سوف تفقده فى كل مرة. هذا هو الحال". استخرجت محفظتها ولاحظت بعد مراجعة الحساب أنه لن يبقى معها سوف عشرة دولارات. ثانية!

"لا يجب أن تتكلمى هكذا". أخذ منها ماك النقود وأعاد إليها ستة وثلاثين سنتا. "إنها إهانة لك ولنا جميعا".

"ربما. من المهين أن تسير فى الشارع أو تدخل مكانا وتجد الناس يشيرون نحو هذه السيدة المسكينة التى جاءت من الغرب أو ينظرون إلى بطرف أعينهم وكأننى معتوهة. حاول أن تضع نفسك مكان الطرف الآخر قليلاً". أضافت موجهة كلامها إلى لو وهى ترفع صندوقها: "إن كان بوسعك أن تسدى لى خدمة، يمكنك أن تخبرك والدتك بأنها مدينة لى بأجرة ثمانٍ وعشرين ساعة عمل".

ثم سارت بعدها نحو الباب، قائلة: "أخبرها بأننى سوف أمر عليها غدا لكى آخذها".

كان صوت صفق الباب الأمامى قد أخرج برودى من استغراقه فى مشهد حافل بالتوتر بين بطلة روايته والرجل الذى ليس أمامها خيار إلا أن تثق فيه.

أخذ يسب ومد يده ليلتقط قهوته ليكتشف أن قدحه الكبير قد فرغ. فكر للوهلة الأولى أن ينزل ويعيد ملء القدح ولكنه سمع بعض الصفع والطرق فى خزانات الأطباق فآثر البقاء بعيدا عن

وطيس المعركة ويتخلى عن الكافيين.

أخذ يفرك مؤخرة عنقه الذى كان قد تيبس ربما من طلاء سقف الحمام، ثم أغمض عينيه ودفع نفسه ثانية إلى المشهد.

عند حد معين اعتقد أنه سمع إما الباب الأمامى أو الخلفى وهو يفتح، ولكنه كان فى وسط المشهد؛ فواصل الكتابة إلى أن انتهى.

ابتعد عن لوحة مفاتيح حاسوبه وقد انتابه شعور بالرضا. لقد قطع هو و(مادى) - بطلة روايته - طريقا طويلا اليوم، وبينما كان مازال أمامها الكثير لتقطعه؛ كان هو الآن يستحق احتساء زجاجة من العصير ويأخذ حماما دافئاً.

بينما كان يتوجه إلى الأسفل لكى يجلب زجاجة؛ حك وجهه بيده، فسمع صوتا خشنا. ربما يجدر به أن يحلق أولا؛ فكر بلا مبالاة. إن تحرره من أداء هذه المهمة ليومين أو ثلاثة أيام كانت من الأمور التى لا بأس بها بالنسبة لرجل يعيش بمفرده؛ ولكن بدخول امرأة فى المعادلة يختلف الأمر ويفرض عليه أن يلتزم بالحلاقة على أساس دورى بواسطة ماكينة الحلاقة اللعينة.

سوف يحلق أثناء الاستحمام.

هذا هو ما سوف يفعله . قرر فى نفسه . إنها خطة ممتازة.

ولكنه صُدم عندما وجد الموقد خاليا من أى إناء يسوى فوقه. كان قد اعتاد أن يمر بالمطبخ فيجد أحدا يطهو بالداخل، وكانت الصدمة الثانية هى أن خلو المطبخ أثار حنقه.

لم يكن هناك طهو؛ لم تكن هناك أطباق مزينة وشموع على المائدة كما أن الباب الخلفى كان مفتوحا عن آخره .نسى أمر الحلاقة وسار نحو الباب.

كانت ريسى تجلس القرفصاء فى الشرفة الخلفية وهى تحمل كوباً من القهوة. أدرك أنها كانت تجلس هنا منذ فترة.

خرج إليها وجلس بجوارها قائلاً: "ثمة احتفال هنا؟".

"بالطبع، إنه حفل كبير. يمكنك أن تحتفل معى، ولكن فقط حاول أن تقتنى (شبت) طازجا أو بعض البندق".

"لقد شكوت هذا للعمدة الأسبوع الماضى".

"أنت لا تعرف شكل الشبت الطازج حتى إن وضعته تحت أنفك،

وأنت من شيكاغو ؛ فلا بد أن تتسم ببعض الرقى".

"أنا فى شدة الخجل".

"كنت بصدد إعداد دجاج ال فرانجيلكو، ولكننى لم أعثر على البندق، ثم فكرت أننى يمكن أن أعد البولو أروستو، ولكننى لم أعثر على طماطم جيدة فضلا عن أن فكرة الحصول على جبن بارما غير مجفف فى برطمان سيكون أقرب إلى المزحة".

"إنها مأساة".

"ولكن هذا شىء مهم".

"على ما يبدو. تعالى أيتها النحيفة؛ أنت فى حال سيئة. هيا نصعد إلى أعلى لكى تحصلى على قسط من النوم".

"ليس بعد".

"لك ما شئت إذن".

"تريد أن تعد سلاطة البطاطس بالتوابل الجاهزة وبدون شبت؛ فلتفعلها إذن. أما أنا فقد تركت العمل".

قال برودى: " هل تعنين بذلك جوانى؟ إذن سوف يلقنها هذا درساً".

"هيا؛ أنجزى بما هو متاح؛ لا تثيرى ضجة حتى لا يلحظ أحد. لا تلفتى النظر؛ هيا أنجزى عملك واعتنى بشئونك".

لوحت بيدها بلا مبالاة مما دفعه أن يضع يده على كوبها لكيلا تتناثر القهوة فى وجهه.

"لقد سئمت ذلك؛ لقد سئمت كل هذا. لمَ أقبل بعمل يقل كثيرا عن مستوى كفاءتى؛ عمل أستطيع أن أنجزه بيد واحدة دون تفكير؟ لمَ أعيش فى شقة متواضعة كهذه فوق مطعم؟ أنا أهدر وقتى فحسب؛ هذا كل ما فى الأمر. كل ما أفعله أننى أهدر وقتى".

فكر فى كلامها. إنها ليست فى حالة سيئة فحسب؛ إنها فى حالة انهيار. "هل تنوين مواصلة السب والنواح لأكثر من هذا؟ إن كان هذا هو ما تنوين مواصلته؛ فسوف أتركك لحالك إذن وأواصل عملى لساعتين".

"أنت نموذج للرجل. الرجل بعينه. إن لم يكن للأمر علاقة بك؛ فلا جدوى من الإصغاء. ما الذى أفعله معك إذن على أية

حال؛ بحق الله؟".

"الآن تحديداً أنت فى حديقة منزلى الخلفية؛ أنت تنوحين وتثيرين ضيقى".

ربما كانت عيناها مازالت زجاجية فى ذلك الوقت، ولكنها مع ذلك لم تفقد توهجها وتأثيرها عندما نظرت إليه، قائلة: "أنت أنانى؛ لا ترى إلا نفسك، وفظ أيضا. الوجبة الساخنة التى كنت أضعها أمامك هى الشىء الوحيد الذى سوف تفتقده عندما أتركك. إذن؛ فلتذهب إلى الجحيم يا برودى؛ إلى الجحيم. سوف أذهب لأنوح فى مكان آخر".

نهضت على قدميها وهى تترنح قليلاً، مستطردة: "كان لابد أن أواصل قيادتى وأتخطى هذه البلدة البائسة. كان لابد أن أطلب منك أن تذهب إلى الجحيم فى أول مرة سعيت فيها للاقتراب منى. كان لابد أن أخبر مردسون أن هذه هى السيدة التى رأيتها. كان لابد أن أقول ذلك وأنسى الأمر برمته، وهذا هو بالفعل ما سوف أفعله".

سارت بضع خطوات متعثرة نحو المطبخ. "ولكن ليس بهذا الترتيب. أنت أولا؛ اذهب إلى الجحيم".

سارت نحو المطبخ ومدت يدها وأمسكت بحقيبتها، ولكنه كان أسرع منها. "مرحى"؛ حاولت أن تلتقط منه المفتاح. "هذا ملكى".

"يمكنك أن تأخذى الحقيبة ولكنك لن تأخذى هذا". استخرج مفتاحها من السحاب الداخلى؛ تماما فى المكان الذى قالت له أنها تضعها فيه. لاحظ أنها يمكن أن تكون مجنونة أو مريضة أو أى شىء، إلا أنها تحافظ دائما على نظامها.

أخذ مفتاح السيارة من داخل ميدالية المفاتيح وأسقط الميدالية بمفاتيح الشقة فوق المائدة ثم وضع مفتاح السيارة فى جيبه، قائلاً: "اذهبى إلى حيث شئت ولكنك لن تقودى سيارتك. عليك أن تسيرى إذن".

"حسناً. سوف أذهب إلى المأمور مردسون الذى يؤدى ما عليه دائما؛ وأخبره بما يريد سماعه ثم ألقى بالأمر وراء ظهرى. وألقى بك وبهذا المكان".

كانت فى منتصف طريقها نحو الباب عندما شعرت بغصة فى معدتها وكأنها دودة تتلوى فى اتجاهين معاكسين. هرعت نحو الحمام.

سار وراءها. لم يندهش من رغبتها فى التقيؤ. بل . فكر فى نفسه . إن هذا الأفضل؛ إنها وسيلة الجسم للدفاع عن نفسه ضد أى شىء يضر بصاحبه.

أمسك برأسها ثم وضع منشفة مبتلة فى يدها عندما أفرغت ما فى معدتها.

"هل أنت على استعداد للنوم الآن؟".

بقيت حيث هى وهى تضغط بالمنشفة المبتلة على وجهها. "هل يمكنك فقط أن تتركنى بمفردى؟".

"لا شىء يروقنى أكثر من ذلك. سوف أنصرف فى الحال". ولكنه أمسك بها ورفعها. أصدرت صوتا ضعيفا ينم عن الألم عندما رفعها. "إن كنت تريدين مواصلة ضجيجك؛ أخبرينى".

هزت رأسها؛ وأغمضت عينيها حيث استقرت رموشها السوداء الطويلة على صفحة وجهها الأبيض. حملها إلى أعلى لكى يضعها فى الفراش. وضع غطاء فوقها وكإجراء وقائى؛ دفع سلة المهملات بجوار الفراش.

"هيا نامى". كان هذا كل ما قاله قبل أن يخرج من الغرفة.

وحدها؛ استدارت على جنبها وهى ترتجف وسحبت الغطاء حتى ذقنها. تعهدت لنفسها أنها سوف تبقى لحين تستعيد دفأها وثباتها، ثم تمضى لحال سبيلها.

ولكنها لم تتمالك نفسها وراحت فى ثبات عميق.

رأت فى منامها أنها تركب العجلة الدوارة فى الملاهى؛ حيث الألوان والحركة وتلك الدائرة السريعة التى تأخذ الأنفاس. فى البداية كانت صرخاتها تنم عن السعادة والمرح.

و ى ى ى ى ى!

ولكنها أخذت تسرع وتسرع وأخذت الموسيقى تتعالى وتتعالى. تحول الشعور بالمرح إلى شعور بالاضطراب.

اهدئى. أرجوك. من فضلك؟

ولكن سرعتها تضاعفت وتحولت صيحات السعادة إلى صرخات رعب وفزع بينما أخذت العجلة تتأرجح بها يمنة ويسرة إلى أن خنق الفزع حلقها.

هذا خطير. أريد أن أنزل. أوقفوها! أوقفوها وأنزلونى منها!

ولكن السرعة ظلت تتزايد إلى أن تجاوزت كل حدود السيطرة وخمدت الموسيقى من حولها، وطارت بها العجلة من وهج النور لتسقطها فى الظلام.

فتحت عينيها فجأة. وجدت أصابعها مغروسة فى الغطاء وصرخاتها مكتومة الأنفاس تتردد فى رأسها.

لم تكن تطير فى الهواء؛ طمأنت نفسها. لم تكن بصدد ملاقاة حتفها. إنه مجرد حلم. مجرد كابوس مرعب. نظمت نَفَسَها وتمددت فى سكون، وحاولت أن تستعيد رباطة جأشها.

كان هناك مصباح بجوار فراشها وكانت الأنوار تتلألأ من البهو. للحظة؛ لم تتذكر شيئا. وعندما تذكرت كل شىء؛ لم تكن ريسى تريد شيئا إلا أن تسحب الغطاء فوق رأسها وتغوص ثانية فى أعماق النسيان.

حتى العجلة الدوارة بالملاهى سوف تكون أقل وطأة من الخروج.

كيف يمكن أن تواجهه؟ كيف تواجه أى أحد؟ كانت تريد أن تعثر على مفتاحها لتنسل هاربة من البلدة وكأنها لص.

اتكأت على أحد مرفقيها وانتظرت لكى تتبين مدى استقرار معدتها ثم اعتدلت فى جلستها. كان هناك كوب مغطى بورق حرارى على الطاولة المجاورة لها، وفى ذهول، التقطت الكوب وأزاحت الغطاء واشتمت الرائحة.

إنه شايها. لقد أعد لها الشاى وتركه قريبا منها ودافئا عندما تستيقظ من نومها.

لو كان قد فرش لها الأرض ورودا بيضاء لكى تسير عليها لما تأثرت إلى هذا الحد. لقد نعتته بأشياء فظيعة وتصرفت بشكل فظ، ومع ذلك أعد لها الشاى.

احتسته وتركته ينساب بهدوء ليريح معدتها المضطربة. عندما تمكنت من سماع نقر أصابعه على لوحة مفاتيح الحاسوب، ضيقت عينيها لكى تستجمع شجاعتها. بشىء من التعثر؛ نهضت على قدميها لكى تواجه الموسيقى.

رفع رأسه نحوها عندما تخطت عتبة باب مكتبه واكتفى برفع أحد حاجبيه.

فكرت؛ مذهل! كل تلك التعبيرات التى يمكن أن تنقلها بحركة واحدة. الاهتمام والدهشة والغيظ. أما الآن تحديدا؟ السأم التام.

كانت تفضل أن يصفعها صفعة قوية قاسية بدلا من ذلك.

"شكرا على الشاى". بقى صامتا منتظرا، ولكنها أدركت أنها لا تكن تملك بعد الشجاعة الكافية لكى تبدأ: "هل يمكننى أن آخذ حماما؟".

"تعلمين مكان الحمام".

بدأ ينقر على حاسوبه ثانية بالرغم من أن كل الهراء الذى كتبه على شاشته كان بحاجة لأن يمحى. محاه بالفعل وأغلق حاسوبه، ثم هبط لكى يعد لها الحساء.

لم يكن يسعى للعناية بها؛ كان الحنق مازال يتملكه ويشوش على تفكيره، وإنما كان فقط يؤدى واجبه نحو شخص مريض. بعض الحساء؛ ربما بعض الخبز المحمص. فقط الحد الأدنى للعناية.

أخذ يسائل نفسه عن كم السموم التى ابتلعتها وكم ما تخلصت منه وهى تتقيأ.

إن بدأت تعيد كرة النواح والشكوى ثانية؛ فسوف ...

لا شىء؛ هكذا فكر. لم تكن ريسى فقط هى التى تثير حنقه؛ أدرك ذلك. لقد كان حانقا على نفسه. كان لابد أن يتوقع أن تنفجر فى وقت ما عند حد ما. لقد كانت تجيد تمالك نفسها؛ كانت تجيد النهوض على قدميها بعد كل لكمة تتلقاها. كانت تبتلع الخوف والغضب والثورة والألم. كان يجب أن يحدث لها ما حدث إن عاجلا أم آجلا.

لقد كان اليوم هو اليوم المقدر لهذه الثورة.